

# تنبيه الأغبيا

على استحالة رؤية الباري تعالى بالأبصار  
في الدنيا شرعا لغير خاتم الأنبياء عليه السلام  
وعلى آله وصحبه الأصفياء

تأليف

العالم العلامة الحاج أحمد بن محمد الأمين باردم

السوكوني السنغالي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .  
الحمد لله الواحد في ألوهيته المتفرد في حضرة أهديته العلي في كبرياء  
عظمته ، الرفيع في صفات قدرته ، الذي لا يبلغ الوصفون كنه صفته ،  
ولا يتفكر المتفكرون في حقيقة ذاته سبحانه من بينه وبين مفعولاته  
سبعون ألف حجاب من نور جلال حضرته لو كشفها لأحرقت سبحات  
وجهه ما أدركه بصره من مخلوقاته .

والصلاة والسلام على زبدة الكائنات وخالصة الموجودات المسرى به  
وحده إلى أعلى السماوات ، المخصوص برؤية الذات العلية التي هي  
غاية الغايات . وعلى آله وأصحابه السادات .

أما بعد ، فهذه رسالة كتبها المعترف بذنوبه المتلطف بعيوبه الراجي  
من ربه غفران حوبه أحمد بن محمد الأمين بار دم إلى جميع المعاصرين  
من أبناء جنسه من المسلمين ، نصيحة لهم وعملا بحديث (( الدين  
النصيحة )) إلخ . وذلك لما ظهرت في بلادنا هذه الغربية طائفة من  
إخواننا التجانيين فأدخلوا حيرة على العامة في دينهم بإفشاء كلمات لم  
يقول بها أحد من العلماء المحققين من أهل السنة والجماعة من عصر  
الصحابة إلى يومنا هذا ، ومن جعلتها التحدث برؤية الله تبارك وتعالى  
حتى صار هذا الكلام متداولاً بين هذه الطائفة بقولهم فلان يرى الله  
سبحانه وتعالى وفلان يقدر الآن على أن يريك المولى جلا وعلا وفلان  
قد وصل وفلان سيصل وفلان مفتوح عليه ، بل فلانة قد جاوزت الآن  
مقام سيدي فلان من أكابر الأولياء والعارفين ثم زيد وعمرو وخالد  
وبكر بل هند وزينب لا يصلون ولا يصومون لكونهم متلبسين بالفناء  
والاصطلام والمحو ، إلى غير ذلك . وكنا أول الأمر نكذب كل من  
يحدث بهذه عنهم ونؤول ما يبلغنا منهم ونلتمس لهم جواباً ومخرجا حسناً  
عملاً بحسن الظن بالمأمور به بين المسلمين لأن المؤمن يلتبس المعاذير  
والمنافق يتبع العيوب كما قيل :

**ما كان من شيم الأبرار أن يسموا بالفسق شيخا على الخيرات قد جبلا**

**لا لا ولكن إذا ما أبصروا خلا لا كسوه من حسن تأويلاتهم حلالا**

فكنا نحمل كلامهم في الرؤية على الرؤية القلبية التي هي في التمكن في المعرفة على إرادة التورية ، ثم لما أكثرنا من هذه الترهات وملأوا البلاد بهاتيك الخرافات توقفنا عن الجواب عنهم لكثرة القائلين فسلمنا العلم فيه إلى الله حتى أتانا سيد هذه الطائفة وأرسل إلينا بتأليف له في الطريق والسلوك فأذن لي في مطالعته فوجدته يجوز فيه وقوع ما يشيعه هؤلاء ويسر حسوا في الارتغاء ويدعي لنفسه فيه أمورا لا ننازعه فيها وسلمنا الأمر فيها إلى الله لدخولها في حيز الإمكان .

**وما أعجبتني قط دعوى عريضة ولو قام في تصديقها ألف شاهد**

ثم قمنا لله ولرسوله ﷺ غيرة للدين الإسلامي فبذلنا وسعنا في سد الثلمة الحاصلة من فشاء هذه الكلمة وبيان الحق من الباطل فيما أوردوه من المسائل ، فإن من أحال رؤيته تعالى بالأبصار مطلقا كالمعتزلة قد فرط ، ومن أجازها في الدنيا شرعا حتى لغيره ﷺ فقد أفرط . ومن أجاز وقوعها راسا ثم أثبتها له ﷺ خاصة في الدنيا وله وللمؤمنين عامة في الجنة فقد توسط وهدى إلى صراط مستقيم كما ستقف عليه من كلام الأئمة والمحققين إن شاء الله تعالى ، وما تكلمنا إلا على لسان العلماء والمحققين من أهل السنة والجماعة من عصر الصحابة إلى يومنا هذا :  
{ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة }

**علي نحت القوافي من مواضعها وما علي إذا لم تفهم البقر**

فسميتها تنبيه الأغبياء على استحالة رؤية الباري تعالى بالأبصار في الدنيا شرعا لغير خاتم الأنبياء وعلى آله وصحبه الأصفياء . ورتبتها على ستة فصول وختمتها بخاتمة .

**الفصل الأول:** في جواز رؤية الباري جلا وعلا بالأبصار عقلا في الدنيا ووجوبها سمعا في الآخرة عند أهل السنة ودليلهم فيه .

**والثاني :** في وقوعها له ﷺ خاصة ليلة الإسراء والخلاف فيه وفي تكفير من ادعاها من بعده ﷺ .

**والثالث :** في جواز رؤية الباري تعالى في المنام ووقوعها لكثير من الأولياء والصالحين والخلاف فيه .

**والرابع :** في مراد القوم بالمشاهدة والمعرفة والفرق بين الرؤية والمشاهدة ومرادهم بالكشف والوصول والمسمى بالعارف عندهم وأن من أعظم المكر والضلال قول بعضهم العارف لا يضره ذنب.

**والخامس:** في مرادهم بالفناء والبقاء والجمع والتفرقة وأقسام الفناء ممدوحها ومذمومها ومتوسطها .

**والسادس:** في التحذير من إيقاظ الفتنة والسعي فيما يوحد نارها بين المسلمين وما جاء في ذلك من الوعيد الشديد .

**والخاتمة –** من الله علينا بحسنا - في إعلام الإخوان وتنبيههم على أن طرق ساداتنا الأولياء رضي الله عنهم لم تزل فيما مضى توصل إلى الله تعالى ولا تزال فيما يأتي موصلة إلى أن يأتي المنتظر وينزل سيدنا عيسى عليه السلام فتصير واحدة حين تصير المذاهب كلها مذهباً واحداً كما قال المحققون خلاف ما زعمه بعضهم من نسخها كلها سوى طريقة شيخنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه . حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فأقول وبالله تبارك وتعالى التوفيق :

## الفصل الأول

**في جواز رؤية الباري جلا وعلا بالأبصار عقلا في الدنيا  
ووجوبها سمعا في الآخرة عند أهل السنة ودليلهم فيه .**

فلنقدم كلام الفقهاء والمتكلمين في هذه المسألة . قال الباجوري في شرح الجوهرة عند قول الناظم :

**ومنه أن ينظر بالأبصار لكن بلا كيف ولا انحصار**

ومن الجائز عقلا عليه تعالى أن يُنظر إلخ فالرؤية جائزة عقلا دنيا وأخرى لأن الباري سبحانه وتعالى موجود وكل موجود يصح أن يرى فالباري عز وجل يصح أن يرى لكن لم تقع دنيا لغير نبينا ﷺ . وواجبة شرعا في الآخرة كما أطبق عليه أهل السنة للكتاب والسنة والإجماع .

أما الكتاب فأيات كثيرة منها قوله تعالى : { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة } ومنها قوله تعالى : { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة } فإن الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر لوجهه الكريم كما قاله جمهور المفسرين . ومنها قوله تعالى { على الأرائك ينظرون }

وأما السنة فأحاديث كحديث ( إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ) والتشبيه للرؤية في عدم الشك والخفاء لا للمرئي كما يتوهم . وأما المعتزلة فيفسرون النظر في قوله تعالى { إلى ربها ناظرة } بالانتظار ، وجعلوا إلى اسما بمعنى النعمة والمعنى عندهم منتظرة نعمة ربها ، وأولوا الحديث بأن المعنى سترون رحمة ربكم .

وأما الإجماع فهو أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا مجمعين على وقوع الرؤية في الآخرة ، قال إمامنا مالك رضي الله عنه : لما حجب

أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الكافرين بالحجاب ، قال تعالى : { كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون } وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه : لما حجب قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا ، ثم قال : أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس بأنه يرى ربه في الميعاد لما عبده في الدنيا . وهذا من كلام المدلين نفعنا الله بهم وإلا فالله يستحق العبادة لذاته . وقال ابن العربي : إن رؤية الله جعلت تقوية للمعرفة الحاصلة في الدنيا ، فما راء كمن سمعا . ثم قال : قوله بالأبصار ظاهره أن الرؤية بالحدق وهو أحد أقوال ثلاثة ثانيها أنه بجميع الوجه لظاهر قوله تعالى : { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة } ثالثها أنها بكل جزء من أجزاء البدن كما نقل عن أبي يزيد البسطامي . ثم قال : قوله لكن بلا كيف ، لما كان يتوهم من قوله أن ينظر بالأبصار أنه تعالى يرى بكيف كما في رؤية بعضنا بعضا استدرك عليه بقوله لكن بلا كيف أي بلا تكيف للمرئي بكيفية من كفيات الحوادث من مقابلة وجهة وتحيّز وغير ذلك . وغرض المصنف بذلك الجواب عن شبهة المعتزلة العقلية التي تمسكوا بها في قولهم بإحالة الرؤية ، وحاصلها أنه تعالى لو كان مرئيا لكان مقابلا للرأي بالضرورة فيكون في جهة وحيّز . وحاصل الجواب أن قولهم : **لكان مقابلا للرأي بالضرورة ممنوع** ، فلزوم الجهة والحيّز ممنوع ، إذ الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه لا يشترط فيها مقابلة المرئي ولا كونه في جهة وحيّز ولا غير ذلك ، ودعوى الضرورة فيما نازع فيه الجم الغفير من العقلاء غير مسموعة، غاية الأمر أن هذه الأمور لازمة عادة لا عقلا ، إلى أن قال : قوله ولا انحصار أي ولا انحصار المرئي عند الرأي بحيث يحيط به لاستحالة الحدود والنهايات

عليه تعالى ، وغرض المصنف بذلك الجواب عن شبهة المعتزلة التي تمسكوا بها في قولهم بإحالة الرؤية ، وهي قوله تعالى : { لا تدركه الأبصار } فإنه يدل على أنه تعالى لا يدرك بالبصر والإدراك هو الرؤية فلا يرى بالبصر . وحاصل الجواب أنا لا نسلم أن الإدراك بالبصر هو مطلق الرؤية بل هو رؤية مخصوصة وهي التي تكون على وجه الإحاطة بحيث يكون المرئي منحصرا بحدود ونهايات ، فالإدراك المنفي في الآية الكريمة أخص من الرؤية ولا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم . والحاصل أنه تعالى يرى من غير إحاطة بل يحار العبد في العظمة والجلال حتى لا يعرف اسمه ولا يشعر بمن حوله من الخلائق ، فإن العقل يعجز هنالك عن الفهم ويتلاشى الكل في جنب عظمته تعالى . ثم قال : قوله للمؤمنين ما يشمل المؤمنات ففيه تغليب فإنهن يرينه تعالى على الصحيح وعمومه يشمل الملائكة . قال السيوطي: وهو الأقوى . وقيل لا رؤية للملائكة أصلا . وقيل إن جبريل يراه دون سائر الملائكة . ويشمل أيضا مؤمني الجن فيحصل لهم الرؤية في الموقف مع سائر المؤمنين قطعا وفي الجنة على الأرجح . ويشمل أيضا مؤمني الأمم السابقة، ولابن أبي جمرة فيهم احتمالات، قال : والأظهر مساواتهم لهذه الأمة في الرؤية . ويشمل أيضا أهل الفترة على القول بنجاتهم وإن غيروا وبدلوا . ويخرج بالمؤمنين الكفار والمنافقون فلا يرونه تعالى على الراجح لقوله { كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون } ولأنهم ليسوا من أهل الإكرام والتشريف ، وقيل إنهم يرونه ثم يحجبون فتكون الحجة حسرة عليهم . وقال الجلال : وله شواهد رويها عن الحسن البصري . ولا يراه سائر الحيوانات غير العقلاء حتى الحيوانات التي تدخل الجنة مثل ناقة صالح وكبش إسماعيل كما هو

ظاهر كلامهم . ومحل الرؤية الجنة بلا خلاف فيراه أهلها في مثل يوم الجمعة والعيد ويراه خواصهم كل يوم بكرة و عشيا ، وبعضهم لا يزال مستمرا في الشهود حتى قال أبو يزيد البسطامي: إن لله خواصا من عباده لو حجبهم في الجنة عن الرؤية ساعة لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار وعذابها . وأما في عرصات القيامة كالموقف فالصحيح وقوعها لهم فيها ، ففي الحديث ينادي إذا كان يوم القيامة لتلزم كل أمة معبودها فتقول هذه الأمة هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فيظهر لهم - أي على الوجه الذي لا يعرفونه بأن يدخل عليهم غلطا في كشفهم وإلا فهو تعالى منزه عن أن يتصف بما لا يليق به - فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لست ربنا ، فيتجلى لهم تجليا لائقا بحال المقام ويكشف عن الساق ويقول أنا ربكم فيراه المؤمنون كما يعلمون أي على وفق ما يعتقدون فيخرون سجدا إلا المنافق ، وهذا معنى قوله تعالى : ( يوم يكشف عن ساق ) الآية . وكشف الساق عند الخلف بمعنى رفع الحجاب والسلف يفوضون ، انظر شراح البخاري . ثم قال : قوله إذ بجائز علقته ، فكأنه قال : حكمنا بجواز الرؤية عقلا لأن الله علقها بأمر جائز عقلا وهو استقرار الجبل حين سأله موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام حيث قال { أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني } والاستدلال بالآية من وجهين:

**الأول** ما أشار إليه المصنف وحاصله قياس اقتراني أشار إلى صغراه وحذف كبراه للعلم بها كالنتيجة وتقريره أن تقول : رؤية الباري علقته على أمر ممكن وكل ما علق على علم الممكن لا يكون إلا ممكنا فرؤية الباري لا تكون إلا ممكنة . ومنعت المعتزلة الأخرى قائلين إن المراد فإن



استقر مكانه حال تحركه وهو مستحيل فالرؤية متعلقة على مستحيل فتكون مستحيلة ، وهو تقوّل لا دليل عليه ولا داعي يدعو إليه كقولهم إن لن في قوله تعالى { لن تراني } للتأييد .

**والثاني** سكت عنه المصنف، وحاصله قياس استثنائي وتقريره هكذا : لو كانت الرؤية ممتعة في الدنيا ما سألتها موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لأنه نبي يعلم ما يجب في حق الله وما يستحيل وما يجوز ، إذ لا يجوز على أحد من الأنبياء الجهل بشيء من أحكام الألوهية لكنه سألتها موسى عليه الصلاة والسلام فدل على أنها جائزة . وقول المعتزلة سألتها لأجل جهلة قومه مردود بأن سياق الآية حيث قال { أرني أنظر إليك } صريح في حال نفسه اهـ ملفقا .

**قلت:** والحاصل أن شبه المعتزلة النقلية التي تمسكوا بها في استحالة الرؤية كثيرة أقواها قوله تعالى { لا تدركه الأبصار } وقد مر أن الإدراك أخص من الرؤية ولا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم ، ومنها قوله تعالى { قالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة } { أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم } إلخ . وأجيب كما في المحلى بأن ذلك للتعنت في الطلب لا لكون المطلوب محالا ، ومنها قوله تعالى { لن تراني } وقد مر ما فيه ، ومنها غير ذلك . قال الإمام الشعراني رضي الله عنه في اليواقيت والجواهر ما نصه: قال جمهور المتكلمين والأصوليين وتكون رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة بالانكشاف المنزه عن المقابلة والجهة والمكان ، وذلك لأن الرؤية نوع كشف وعلم للمدرك بالمرئي يخلقه الله تعالى عند مقابلة الحاسة له بأبعاده فجاز أن يخلق هذا القدر بعينه من الإدراك من غير مقابلة لهذه الحاسة أصلا كما كان ﷺ يرانا من وراء ظهره وكما أن

الحق يرانا من غير مقابلة ولا جهة باتفاقنا إذ الرؤية نسبة خاصة بين طرفي الرائي والمرئي ، فإذا اقتضت عقلا كون أحدهما في جهة اقتضت كون الآخر كذلك فإذا ثبت عدم لزوم ذلك في أحدهما ثبت مثله في الآخر . وخرج بقولنا يراه المؤمنون غير المؤمنين من الكفار فلا يروونه يوم القيامة ولا في الجنة لعدم دخولهم لها. قال تعالى: { كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون }

**قلت :** ومسألة رؤية الكفار للباري جل وعلا خلافية كما تقدم ، وجعل النووي محل الخلاف في المناق. وأما الكافر فلا يراه اتفاقا .

قال النفراوي في شرح الرسالة عند قوله وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم : أي بالأبصار والمراد بالوجه الذات عند الجمهور إلى أن قال : فينكشف لهم انكشافا تاما منزها عن المقابلة والمواجهة لأن الرؤية عند أهل الحق قوة يجعلها الله في خلقه ينكشف لهم بها المرئي ولا تستدعي جرمية ولا جهة ولا مقابلة وإنما تستدعي مطلق محل تقوم به وإن جرت العادة بالمقابلة والمواجهة في رؤية بعضنا بعضا فإنما ذلك على جهة الاتفاق لا الشرطية ألا ترى أنا نعلمه سبحانه لا في جهة ولا مكان . والمعول عليه في إثبات الرؤية عند أهل السنة الدليل السمعي كالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، أما الكتاب ... إلى آخر كلامه .

وأما كلام الأئمة الصوفية فقد قال الشيخ الكامل المحقق الإمام محي الدين ابن العربي رضي الله عنه كما نقله عنه الإمام القطب الشعراني رضي الله عنه في اليواقيت : وإذا صح أن العقل يدرك الحق تعالى جاز أن يدرك بالبصر من غير إحاطة لأنه لا فضل لمحدث على محدث

من حيث الحدوث وإنما الفضل من حيث الصفات الجميلة ومن قال إن الحق تعالى يدرك عقلا ولا يدرك بصرا فمتلاعب لا علم له بحكم العقل ولا بحكم البصر ولا بالحقائق على ما هي عليه وذلك كالمعتزلة فإن هذه رتبهم وكل من لا يفرق بين الأمور العلمية والطبيعية فلا ينبغي لأحد الكلام معه في شيء من الأمور العلمية ، ولولا أن موسى عليه الصلاة والسلام فهم من الأمر إذ كلمه ربه بارتفاع الوسائط ما جراه على طلب الرؤية ما فعل فإن سماع كلام الله تعالى بارتفاع الوسائط عن الفهم فلا يفتقر إلى فكر وتأويل ، فلما كان عين السمع في هذا المقام عن الفهم سأل الله الرؤية ليعلم قومه ومن له هذه المرتبة من الله تعالى أن رؤية الله تعالى ليست بمحال . وقال أيضا في الفتوحات المكية : اعلم أن أعظم النعم في الدنيا والآخرة نعم رؤية الباري جل وعلا لكن هنا دقيقة وهي أن الالتذاذ برؤيته تعالى إنما هو راجع إلى رؤية المظاهر التي تجلى الحق تعالى فيها تنزلا للعقول لا إلى الذات المتعالي ، وإيضاح ذلك أن الالتذاذ بالرؤية لا يكون إلا برؤية من بيننا وبينه مجانسة ومناسبة ولا مناسبة بيننا وبين الحق تعالى بوجه من الوجوه . وعبارته في كتاب لوائح الأنوار : اعلم أنه لا بد من فناء المشاهد عند رؤية الباري جل وعلا فيغيب عن حسه وعن لذاته لأن النفس أحدية الذات ليس في قدرتها أن تشتغل بالأمرين معا في آن واحد فلا بد أن تكون متوجهة بكليتها لإدراك الرؤية أو قبولها فإذا أشهدك تعالى نفسه أفناك عنه فلا يجد الخطاب محلا بتوجه إليه ، وإذا كلمك أوجدك لأنه لا بد للقبول منك حتى تقبل الخطاب و إلا فلا فائدة للخطاب . وقال الشعراني رضي الله عنه: سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : ما أطمع موسى في طلب الرؤية إلا ما قام عنده من التقريب ، ومعلوم أن الرسل أعلم الناس بالله تعالى ، فهم يعرفون أن الحق تعالى مدرك بالإدراك البصري كما ينبغي لجلاله تعالى ، وعلى ذلك فما سأل موسى إلا ما يجوز له السؤال فيه ذوقا ونقلا لا عقلا لأن ذلك من محالات العقول

انتهى . وقال في اليواقيت أيضا بعد كلام في تدكدك الجبل : ثم لما وقع التجلي للجبل واندك علم موسى أنه وقع فيما لم يكن ينبغي له سؤاله وإن كان الحامل له على ذلك كثرة الشوق فقال { تبت إليك وأنا أول المؤمنين } يعني بوقوع هذا الجائر . قلت : قوله بوقوع هذا الجائر أي الجبل لما تجلى سبحانه وتعالى له و تدكدك لأن الرؤية هي التي أوجبت له التدكدك. ثم قال : قلت فهل ثم وجه جامع بين قول من أثبت رؤية الباري وبين قول من نفاها ؟ فالجواب نعم كما قال الشيخ في الفتوحات ولفظه : اعلم أن الجامع بين من أثبت رؤية الله وجل وبين من أنكرها ونفاها أن من أثبتها أراد أن حجاب العظمة مانع من رؤية حقيقة الذات وكل من لا يحيط بشيء كأنه ما رآه مع أنه رآه اهـ .

وقال في لواقح الأنوار أيضا: اعلم أن حجاب الكبرياء على الذات المتعالي لا يرتفع أبدا كما أشار إليه خبر مسلم بقوله صلى الله عليه وسلم وليس على وجهه تعالى إلا رضاء الكبرياء في جنة عدن ، وإذا كان هذا الحجاب لا يرتفع فما وقعت الرؤية دائما إلا على الحجاب فصح قول من قال أي من أهل السنة أن الحق يصح أن يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة بحمله على هاتين الحالتين اهـ .

وفي حديث الطبراني وغيره مرفوعا بين العبد وبين ربه سبعون ألف حجاب من نور وظلمة فما من نفس تسمع بشيء من حس تلك الحجب إلا صعقت اهـ. وفي رواية أخرى: إن الله تعالى سبعين ألف حجاب بينه وبين خلقه لو كشفها لاحتترقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه اهـ . ثم قال الشعراني رضي الله عنه بعد هذين الحديثين : فإن قيل فكيف رؤية الباري جل وعلا لخلقه فالجواب كما قال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في الفتوحات إن صورة نظر الحق تعالى إلى العالم أنه ينظر إليه بعين الرحمة لا بعين العظمة كما يليق بجلاله تعالى ولهذا ثبت العالم معه تعالى عند الرؤية ، ولو أنه تعالى نظر إلى العالم بعين

العظمة كما يليق بجلاله لاحترق العالم كله لسبحات وجهه كما مر آنفا في الحديث ، قال : وهذه الرحمة هي عين الحجاب الذي بين العالم وبين السبحات المحرقة إلخ . ثم قال : وقال الشيخ في باب الأسرار إذا عوين الحق تعالى فلا يعاين إلا من حيث العلم والمعتقد ، والله أجل وأعلى من أن يحاط بذاته اهـ . ثم قال في اليواقيت بعد كلام : فإن قلت فما سبب تفاضل الناس في الرؤية كمالا ونقصا من أن المرئي سبحانه وتعالى لا تقبل ذاته الزيادة ولا النقصان ؟ فالجواب سبب التفاضل كونهم لا يشهدون في مرآة معرفة الحق تعالى إلا حقائقهم ، ولو أنهم شهدوا عين الذات لتساووا في الرؤية ولم يصح بينهم تفاضل ، ولكن أين حقائق الأنبياء من غيرهم ؟ فإن قلت فهل يتفاوتون في الآخرة كما يتفاوتون في الدنيا ؟ فالجواب نعم فإن تفاوتهم في الآخرة فرع تفاوتهم في الدنيا ، إلى أن قال : أكمل الرؤية رؤية الأنبياء ثم رؤية كمل أتباعهم فإن الكُمَّل لا يرون ربهم إلا في مرآة نبيهم المأخوذة من شرعه الثابت عنه . واعلم أن عدد رؤية كل عبد للحق في الآخرة على قدر مجالسته للحق تعالى في جميع الأمور واجتناب المنهيات على الكشف والشهود، فتزيد الرؤية والمعرفة بزيادة الطاعات وتنقص بفعل المنهيات، وكل من قلت مجالسته للحق تعالى جهله فيما لم يجالسه فيه والسلام اهـ . ثم قال بعد كلام : قال الشيخ تقي الدين ابن أبي المنصور : إن رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة تكون بجميع أجسادهم وذلك لكمال النعيم الأبدي فلا يتقيد رؤيتهم له تعالى بباصر العين بل كلهم أبصار ، قال : وبعضهم يراه بجميع وجهه فقط اهـ فإن قيل هل النور الذي يرى الحق تعالى فيه في الآخرة نور له شعاع كما رآه ﷺ في الدنيا أم نور لا شعاع له ؟ فالجواب كما قال الشيخ في الفتوحات إن النور الذي يرى الحق تعالى فيه نور لا شعاع له ، فلا يتعدى ضوؤه نفسه ويدركه البصر في غاية الوضوح

وذلك ليخالف النور الدنيوي وذلك لما قيل له ﷺ أريت ربك ؟ فقال : نوراني رآه . يقول كيف أراه وهو نور شعشعاني والأشعة تذهب بالأبصار وتمنع من إدراك من تتشقق عنه تلك الأشعة فلا يدرك تعالى في ذلك النور لاندرج نور الإدراك فيه ، فلذلك لم يدركه مع أن من شأن النور أن يدرك ويدرك به كما أن من شأن الظلمة أن تدرك ولا يدرك بها . قال : وإذا عظم النور أدرك ولم يدرك به لشدة لطافته ، ثم إنه لا يكون إدراك قط إلا بنور من المدرك زائد من ذلك عقلا وحسا إلى أن قال فإن قيل من شرط الرائي أن تعطيه الرؤية العلم بالمرئي والإحاطة ورأينا الذي يرى الحق لا ينضبط له رؤية لمخالفة حقيقته لسائر الحقائق فكيف يقال إنه رأى ربه عز وجل ؟ فالجواب كما قاله الشيخ في الفتوحات : إن رؤية الحق تعالى لا يصح فيها إحاطة ولا تدخل تحت هذا الحد ، وغاية العلم التجليات على قلبه في حال رؤيته له تعالى ، إلى أن قال : ولو كان الرائي يحيط بالحق تعالى ما تفاوتت الرؤية . ثم قال : الحجاب الذي يحجب العبد عن الإحاطة شغله بروؤية نفسه فما حجبنا إلا بأنفسنا على أننا ولو زلنا عنا أيضا ما رأيناه لأنه لم يبق ثم بعد زوالنا من يراه وإذا لم نزل نحن فما رأيناه في المرآة الصافية حينئذ إلا أنفسنا ، وقد نتوسع في العبارة فنقول إنا رأيناه فلا يخرج أحد عن الحيرة في الله تعالى اهـ

**قلت :** وهذا كله في رؤية المؤمنين له في الآخرة وأما وقوعها في الدنيا لغير نبينا صلى الله عليه وسلم يقظة بعيني رأس الرائي فأقول ما قاله العلماء وأجمع عليه الحكماء في ذلك وبالله التوفيق .

## الفصل الثاني

في وقوعها له صلى الله عليه وسلم خاصة ليلية الإسراء  
والخلاف فيه وفي تكفير من ادعاها من بعده ﷺ

قال الباجوري في شرح الجوهرة عند قول الناظم: { هذا وللمختار دنيا }  
أي وقعت رؤيته تعالى في الدنيا ليلة الإسراء للمختار الذي هو نبينا ﷺ  
وفي التعبير بالمختار مناسبة لأنه اختير لهذا المقام والراجح عند أكثر  
العلماء أنه ﷺ رأى ربه سبحانه وتعالى بعيني رأسه وهما في محلها  
خلافاً لمن قال إنها حولاً لقلبه لحديث ابن عباس وغيره ، ونفت السيدة  
عائشة رضي الله عنها وقوعها له ﷺ لكن قدم عليها ابن عباس لأنه  
مثبت والقاعدة أن المثبت مقدم على النافي حتى قال معمر بن راشد  
ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ، وكان ﷺ يراه تعالى في كل مرة  
من مرات المراجعة ، ومن كلام ابن وفا إنما كان ترجيع موسى عليه  
الصلاة والسلام للنبي ﷺ في شأن الصلوات ليتكرر مشاهدة أنوار  
المرات وأنشد يقول :

والسر في قول موسى إذ يراجعه      ليجتلي النور فيه حيث يشهده  
يبدو سناه على وجه الرسول فيا      لله حسن رسول إذ يردده

فالحكمة الباطنية اقتباس النور من وجهه ﷺ ففي كل مرة يزداد نورا ،  
والحكمة الظاهرة التخفيف . ثم قال: واختلف في وقوعها للأولياء أي  
جوازه وقوعها لهم شرعا لا في نفس الوقوع على قولين للأشعري  
أرجحهما المنع ، فالحق أنها لم تثبت إلا له ﷺ ومن ادعاها غيره في  
الدنيا يقظة فو ضال مضل بإطباق المشايخ حتى ذهب بعضهم إلى تكفيره

قاله العلامة القونوي فإن صح عن أحد من المعتبرين وقوع ذلك أي دعوى الرؤية أمكن تأويله ، وذلك أن غلبات الأحوال تجعل الغائب كالشاهد حتى إذا كثر اشتغال السر بشيء صار كأنه حاضر بين يديه كما هو معلوم بالوجدان لكل أحد اهـ . وعلى هذا يحمل ما وقع في كلام ابن الفارض رضي الله عنه .

قلت : وهذا من باب المشاهدة القلبية وسيأتي في الفصول بعد هذا الفصل الفرق بين الرؤية والمشاهدة إن شاء الله تعالى . وإنما أنكر العلماء الرؤية بعيني الرأس في هذه الدنيا لغيره ﷺ ، وأما القلبية التي يعبر عنها بالمعرفة فما أنكرها أحد من علماء الأمة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، وعلى هذا أيضا يحمل قول بعضهم الذي استدل به وبغيره بعض علماء بلادنا على جواز وقوعها لغيره ﷺ في الدنيا ، يقول المختار الكنتي : فالأنبياء والأولياء يرون الله قبل كل شيء أي يشاهدون وحدانيته في أفعاله وصفاته كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، وأكثر من هذا لا يقال . ثم قال : يقال يعني الأبى وأما من ادعاه ممن ليس من أهله كالعاصي والمقصر فإننا نكذبه ، إلى أن قال : قال في الفروق : رؤية الله تعالى على ما يليق به في النوم يجوزونها في الدنيا كما يجوزونها في الآخرة ولكن من ادعى هذه الحالة وهو من غير أهلها من العصاة والمقصرين كذبناه . ومن ادعاه من الأولياء من المعتبرين لا نكذبه ونسلم له حاله .

**قلت** : وسيأتي في الفصل الذي بعد هذا الفصل من رسالتنا ما في رؤية الباري جل وعلا في النوم إن شاء الله تعالى وإنه لا نزاع في وقوعها مناما وصحتها في صورة رجل وإنما كلامنا في الرؤية على من يستدل بهذه الأقوال على جوازها شرعا بعيني رأس الرائي يقظة لغيره ﷺ .



ولنرجع إلى ما نحن بصدده من وقوعها له ﷺ بعيني رأسه في الدنيا. قال عبد السلام في شرح البيت المتقدم من الجوهرة بعدما قال مثل ما قال الباجوري : وأما حديث (( واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا )) فإنه أفاد أن الرؤية في الدنيا وإن جازت عقلا فقد امتنعت سمعا لكن من أثبتها للذبي ﷺ له أن يقول المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ولم تثبت في الدنيا لغير نبينا ﷺ على ما في ذلك من الخلاف ومن ادعاها غيره يقظة فهو ضال مضل بإطباق المشايخ ، وذهب الكواشي والمهدي إلى تكفيره إلخ . وعبارة نفرأوي في شرح الرسالة : وأما رؤيته تعالى في الدنيا فهو من الجائزات العقلية بدليل طلب سيدنا موسى عليه السلام لها من ربه ، ولكن لم تقع له على الأصح ولا لغيره في الدنيا يقظة إلا لمحمد عليه السلام ليلة الإسراء . قال النووي : الذي عليه أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء وأما موسى عليه السلام ففي رؤيته خلاف الأصح أنه لم ير ، فمن ادعاها من آحاد الناس غيرهما في الدنيا يقظة فهو ضال مضل بإطباق المشايخ وفي كفره قولان . وفي الحديث : (( واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا )) وهو قاطع للنزاع وما يقع لبعض المشهورين بالولاية من دعوى رؤيته تعالى يقظة فيجب حمله على المعرفة لا الرؤية البصرية . قلت : هذا وما تقدم من كلام القوني يؤكد ما قلناه في لفظ يرون الله قبل وفي بعد إلخ من أن المعنى يشاهدون وحدانيته في أفعاله وصفاته ، ومعلوم أيضا أن الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين . قال رأى زيدا عالما ورأى رأيا وراءه أي بالعين فمفعول يرون الله الأول لفظ الجلالة والثاني إما محذوف تقديره واحدا أو ما في معناه على أن

الجار والمجرور متعلق بيرون أو هو متعلق الجار والمجرور كما قدره النحاة في قول الشاعر :

**ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم**

وإنما وجب حمل كلامهم في دعوى الرؤية على الرؤية القلبية المعبرة عنها بالمشاهدة مرة وبالمعرفة أخرى لأن الرؤية في الدنيا لغيره ﷺ وإن جازت عقلا فقد امتنعت سمعا كما تقدم وساداتنا الأولياء رضي الله عنهم أثبتت قداما من غيرهم على جادة الشريعة ولذلك وجب علينا تأويل ما أشكل من كلامهم إن كان يقبل التأويل لأن أدنى المؤمنين فضلا عن العلماء والفقهاء لا يسارع إلى الفتوى بتكفير أحد من المسلمين في كلام يقبل التأويل فأحرى ساداتنا الأولياء رضي الله عنهم لخطر التكفير كما ورد في الحديث. ثم قال: وأما رؤية الحق جلا وعلا في اليقظة لغير نبينا محمد ﷺ فمنعها جمهور العلماء ، واستدلوا لذلك بقوله تعالى : { لا تدركه الأبصار } وبقوله تعالى لموسى : { لن تراني } وبقوله ﷺ : (( لن يرى أحدكم ربه حتى يموت )) رواه مسلم في كتاب الفتن في صفة الدجال. وأما نبينا محمد ﷺ فقد اختلف الصحابة في وقوع الرؤية له ليلة المعراج، قال الجلال المحلي رحمه الله والصحيح نعم ، وإليه استند القائل بوقوع الرؤية في الجملة لكن روى مسلم عن أبي ذر سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ فقال : (( نور أنى أراه )) بتشديد نون " أنى " مفتوحة وضمير أراه لله تعالى أي حجبي النور المغشي للبصر عن رؤيته اهـ ما قاله الشيخ جلال الدين المحلي والشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته . قال في روح البيان في تفسير قوله تعالى : { ما كذب

الفؤاد ما رأى { الآية ما نصه : اعلم أن المرئي إن كان صورة جبريل عليه السلام فرؤية من رؤية العين وإن كان هو الله تعالى على ما ذهب إليه البعض فقد اختلفوا في أنه عليه السلام هل رأى الله تعالى ليلة الإسراء بقلبه أو بعين رأسه فقال بعضهم جعل بصره في فؤاده فرآه في فؤاده فيكون المعنى ما كذب الفؤاد ما رآه الفؤاد أي لم يقل فؤاده له أن ما رأيته هاجس شيطاني وأنه ليس من شأنك أن ترى الرب تعالى بل تيقن أن ما رآه الفؤاد حق صحيح ، وقال بعضهم رآه بعينه لقوله عليه السلام (( إن الله أعطى موسى الكلام وأعطاني الرؤية )) وقوله عليه السلام (( رأيت ربي في أحسن صورة )) أي صفة ، إلى أن قال : إيراد رؤية العين في مقابلة الكلام يدل على الرؤية لأن موسى عليه السلام قد سألها ومنع منها فافتضى أن يفضل النبي عليه السلام عليه لما منع منه وهو الرؤية البصرية ولا شك أن الرؤية القلبية الحاصلة بالانسلاخ يشترك فيها جميع الأنبياء حتى الأولياء ، وقد صح أن موسى رأى ربه بعين قلبه حين خر في الطور مغشياً عليه وحملها على زيادة المعرفة لا يجدي نفعا . ثم قال : بعد ذلك ذكر كلام السيدة عائشة رضي الله عنها وكلام ابن عباس رضي الله عنهما وترجيح كلام ابن عباس على كلام السيدة عائشة كما تقدم ما نصه وقال في عين المعاني : ولا يثبت مثل هذا أي الرؤية بالعين إلا بالإجماع وقول بعضهم رآه بقلبه دون عينه خلاف السنة والمذهب الصحيح أنه عليه السلام رأى ربه بعين رأسه اهـ ملفقا . قال الشيخ الشبلنجي في نور الأبصار : وفي ليلة الإسراء رأى ربه بعيني رأسه على الصحيح وكلمه ورؤيته له في الدنيا من خصوصياته ﷺ وهي مستحيلة شرعا على غيره في الدنيا اهـ . وقال

الشيخ محمد الصَّبَّاب في إسعاف الراغبين : ورأى في تلك الليلة ربه بعين رأسه على الصحيح وكلمه، ورؤية الله في الدنيا من خصوصياته ﷺ وهي مستحيلة شرعا على غيره . وأما كلام ساداتنا الصوفية في هذه المسألة فقد قال في روح البيان : وقال بعض المفسرين إن الإدراك إذا قرن بالبصر كان المراد منه الرؤية فإنه يقال أدركت ببصري ورأيت ببصري بمعنى واحد ، فمعنى قوله { لا تدركه الأبصار } لا تراه في الدنيا فهو مخصوص برؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالى : { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة } والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الجلاء والوضوح لا تشبيه المرئي بالمرئي في الجهة وإنما يرونه في الآخرة لأنها قلب الدنيا فالبصيرة هناك كالبصر في الدنيا فيكون البصر الظاهر في الدنيا باطنا في الآخرة والبصيرة الباطنة ظاهرة فيستعد الكل للرؤية بحسب حاله ، وأما في الدنيا فالرؤية غاية الكرامة فيها وغاية الكرامة فيها لأكرم الخلق وهو سيدنا محمد ﷺ صاحب المقام المحمود الذي شاهد ربه ليلة المعراج بعيني رأسه يعني رآه بالسر والروح في صورة الجسم فكان كل وجوده الشريف عينا لأنه تجاوز في تلك الليلة عن عالم العناصر ثم عن عالم الطبيعة ثم عن عالم الأرواح حتى وصل إلى عالم الأمر وعين الرأس من عالم الأجسام فانسلك عن الكل ورأى ربه بالكل فافهم هدانا الله إلى خير السبيل فإن العبارة هنا لا تسع غير هذا . اهـ .

ثم قال في تفسير سورة النجم : ومعتقد رؤية الله هنا بالعين لغير محمد ﷺ غير مسلم أيضا اهـ . قال ابن الشيخ : اعلم أن رؤية الله تعالى جائزة لأن دليل الجواز غير مخصوص بالآخرة ، ولأن مذهب أهل

السنة الرؤية بالإرادة لا بقدره العبد فإذا حصل العلم بالشيء من طريق البصر كان رؤية بالإرادة وإن حصل من طريق القلب كان معرفة ، والله تعالى قادر على أن يحصل العلم بخلق مدرك المعلوم في البصر كما قد قدر أن يحصله بخلق مدرك المعلوم في القلب ، والمسألة مختلف فيها بين الصحابة والاختلاف في الوقوع مما ينبئ عن الاتفاق على الجواز اهـ . وكان الحسن البصري رحمه الله يحلف بالله أن محمدا رأى ربه ليلة المعراج وحكى النقاش عن الإمام أحمد رحمه الله انه قال : أنا أقول بحديث ابن عباس رضي الله عنهما بعينه رآه رآه حتى انقطع نفس الإمام أحمد رحمه الله اهـ قال بعض الكبار : الممنوع من رؤية الحق في هذه الدار إنما هو عدم معرفتهم له وإلا فهم يرونه ولا يعرفون أنه هو على غير ما يتعقل البصر ، فالخلق حجاب عليه دائما ، فإنه تعالى جل عن التكيف دنيا وأخرى فافهم يرونه ولا يرونه ، وأكثر من هذا الإفصاح لا يكون . ثم قال : يقول الفقير الشيخ إسماعيل حقي نعم إن الله جل عن الكيفية في الدارين لكن فرق بين الدنيا والآخرة كثافة ولطافة فإن الشهود بالدنيا بالسر المجرد لغير نبينا عليه السلام بخلافه في الآخرة فإن القلب ينقلب هناك قالبا فيفعل القلب هناك ما يفعل القلب والسر في هذه الدار ، فإذا كانت لطافة جسم النبي عليه السلام تعطي الرؤية في الدنيا فما ظنك بلطافة رؤيته في الآخرة فيكون شهوده أكمل شهود في الدارين حيث رأى ربه بالسر والروح في صورة الجسم إلى آخر ما ذكره في رؤيته ﷺ مولاة جل وعلا . ثم قال في تفسير { لن تراني } بعد كلام أن أمر الرؤية وإن كان محتاجا إلى الانسلاخ التام عن الأكوان مطلقا إلا أن الانسلاخ بالقلب والقلب مختص بنبينا عليه السلام : فإن موسى وكذا غيره من الأنبياء عليهم السلام إنما يرون

بالانسلاخ حين كون قوالبهم في عالم العناصر ، وأما محمد ﷺ فقد تجاوز عن عالم العناصر ثم عالم الطبيعة ، وذلك بالقلب والقلب جميعا فأنى يكون هذا لغيره فافهم جدا . وقال أيضا في تفسير: { حتى نرى الله جهرة } قال بعض العلماء الحكماء : الحكمة في أن الله تعالى لا يرى في الدنيا وجوه :

**الأول** - أن الدنيا دار أعدائه لأن الدنيا جنة الكافر .

**الثاني** - لو رآه المؤمن لقال الكافر : لو رأيت له عبدة ولو رأياه جميعا لم يكن لأحدهما مزية على الآخر .

**الثالث** - أن المحبة على غيب ليست كالمحبة على عين .

**الرابع** - أن الدنيا محل المعيشة ولو رآه الخلق لانشغلوا عن معاشهم فتعطلت .

**الخامس** - أنه جعلها بالبصيرة دون البصر ليرى الملائكة صفاء قلوب المؤمنين .

**السادس** - ليقدر قدرها . إذ كل ممنوع عزيز .

**السابع** - إنما منعها رحمة بالعباد لما جبلوا عليه في هذه الدار من الغيرة . إذ لو رآه أحد تصدع قلبه غيرة من رؤية غيره إياه كما تصدع الجبل غيرة من أن يراه موسى اهـ . بخ بخ

وقال أيضا : ولو رآه إنسان في الموطن الدنيوي لوجب عليه شكره ولو شكره لاستحق الزيادة ولا مزيدة على الرؤية ولذلك حرمها . وهذا هو المعني في قوله ﷺ: (( لن تزوا ربكم حتى تموتوا )) قال ابن عطاء الله ( إتمام النعيم بالنظر إلى وجه الله الكريم على الوجه اللائق بجلاله في الدار الآخرة حسبما جاء في الوعد الصدق بذلك في الدنيا . إذ غالب

النصوص يقتضي منع ذلك . بل يكاد يقع الإجماع على نفي وقوع ذلك ومنعه شرعا وإن جاز عقلا . وعبرة شيخنا أبي العباس مولانا أحمد التجاني رضي الله عنه في شرح الهمزية بعد ما تكلم على الإسراء والمعراج وكتمانه ﷺ أسراراً يجب كتمانها قال : وقد كتم ﷺ حتى الرؤية لما سألته عائشة رضي الله عنها هل رأيت ربك ؟ قال : لا ، قالت : أوليس يقول الله عز وجل { ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى } ؟ قال : وإن ذلك جبريل فكانت تكذب كل من يخبر أنه ﷺ رأى ربه فكانت تقول : من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب . والصحابة كلهم مطبقون على عدم الرؤية إلا من سارّه بذلك ﷺ سرا . مثل ابن عباس فإنه مرة قال كما قالت عائشة : ما رآه . ومرة حين أكثروا عليه : رآه رآه رآه . ومن أخبر بها ﷺ سرا قال لهم : لم أر عند رؤية ربي أحداً من خلقه فظننت أن من في السماوات والأرض كلهم قداماتوا إلخ كلامه . قال محيي الدين في الفتوحات : وسبب عجز الناس عن رؤية ربهم في الدنيا ضعف نشأة هذه الدار إلا لمن أمدّه الله بالقوة . بخلاف نشأة الآخرة لقوتها . قال محقق الإسلام ابن القيم الدمشقي : لما علم سبحانه أن قوى البشر لا تحمل في هذه الدار رؤيته احتجب عن عبادته إلى يوم القيامة فينشأهم نشأة يتمكنون بها من مشاهدة جماله ورؤية وجهه . وقال في باب اللحظ من المنازل { ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني } قال الشارح : يريد - والله أعلم - بالاستشهاد بالآية أن الله سبحانه أراد أن يري موسى ﷺ من كمال عظمته وجلاله ما يعلم به أن القوة البشرية في هذه الدار لا تثبت لرؤيته ومشاهدته عياناً لصيرورة الجبل دكا عند تجلي ربه

سبحانه أدنى تجل كما رواه ابن جرير في تفسيره اهـ . وعبارة ابن جرير رضي الله عنه عند قوله تعالى { فلما أفاق قال سبحانك } تنزيها لك وتبرئة أن يراك أحد في الدنيا ثم يعيش . { تبت إليك } من مسألتي إياك ما سألتك من الرؤية { وأنا أول المؤمنين } أي بك من قومي أن لا يراك في الدنيا أحد إلا هلك . أو أول من آمن بأنه لا يراك أحد إلا هلك . أو أنا أول من آمن أنه لن يراك أحد قبل يوم القيامة . أو أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد من خلقك يعني في الدنيا اهـ . وعبارة الإمام النيسابوري رضي الله عنه في تفسيره : وقالت الأشاعرة : وأنا أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا . روي أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم يقولون : يا ابن النساء الحيض أطعمت في رؤية رب العزة ، لقد سألت ربك أمرا عظيما اهـ باختصار من الطبري والنيسابوري . قال إمامنا مالك رحمه الله كما في الشفاء لقاضي عياض : لم ير لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني . فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية روي الباقي بالباقي اهـ قال الشعراني رضي الله عنه في اليواقيت : فإن قيل : فهل وقعت رؤية الله تعالى يقظة في الدنيا لأحد غير رسول الله ﷺ بحكم الإرث له في المقام ؟ فالجواب كما قاله الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه لم يبلغنا وقوع ذلك في الدنيا لأحد غير رسول الله ﷺ فقيل له : إن فلانا يزعم أنه يرى الله تعالى بعين رأسه فأرسل الشيخ خلفه وقال له : أحق ما يقول هؤلاء عنك ؟ فقال نعم فانتهره الشيخ وزجره عن هذا القول . وأخذ عليه العهد ألا يعود إليه . فقيل للشيخ : أمحق هذا الرجل أو مبطل ؟ فقال هو محق ملبس عليه وذلك أنه شهد ببصيرته نور ذلك الجمال البديع ثم خرق من



بصيرته إلى بصره منفذ فرأى ببصيرة بصيرته حالة اتصال شعاعها بنور شهوده فظن أن بصره الظاهر رأى ما شهدته بصيرته ، وإنما رأى بصره حقيقة بصيرته فقط من حيث لا يدري ، قال تعالى : { مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان } . وكان جمع من المشايخ حاضرين فأعجبهم هذا وأطربوا ودهشوا من حسن إفصاحه رضي الله عنه عن حال ذلك الرجل . قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه : وقد تراءى لي مرة نور عظيم ملاً الأفق ثم بدت فيه صورة تتاديني يا عبد القادر : أنا ربك ، وقد أسقطت عنك التكليف ، فإن شئت فاعبدني وإن شئت فاترك . فقلت له اخساً يا لعين ، فإذا ذلك النور قد صار ظلاماً وتلك الصورة صارت دخاناً ثم خاطبني اللعين وقال لي : يا عبد القادر : فمن أين عرفت أنه شيطان ؟ فقال بإحلاله ما حرم الله على لسان رسول الله ﷺ فإنه تعالى لا يحرم شيئاً على السنة رسله ثم يبيحه لأحد في السر اهـ . قلت وزاد في بعض الروايات أنه لما أجاب اللعين بهذا الجواب قال له : قد نفعت علمك ولقد أضللت كثيراً من أمثالك في المقام بهذه الصورة . قال الشيخ إسماعيل حقي : إن هذا الشيطان اسمه الأبيض وهو يلبس الطريق على كثير من السالكين اهـ بالمعنى . قال محقق الإسلام ابن القيم : ولهذا عظمت وصية القوم بالعلم وحذروا من السلوك بلا علم وأمروا بهجر من هجر العلم وأعرض عنه وعدم القبول منه لمعرفتهم بمآل أمره وسوء عاقبته في سيره ، وعامة من تزندق من السالكين فأعرضه عن دواعي العلم وسيره على جادة الذوق والوجد ذاهبة به الطريق كل كذهب ، فهذا فتنته والفتنة به شديدة وبالله التوفيق .

قال سيد الطائفة الجنيد بن محمد رضي الله عنه : من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في طريقنا هذا لأن طريقنا وعلما مقيد بالكتاب والسنة. وقال أيضا : علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله ﷺ . قال في الأنوار القدسية للشعراني : فمن شأن الفقير أن لا يدخل في طريق القوم إلا بعد تزلعه من علم الشريعة والحديث وإلا فيخاف عليه الزندقة والابتلاء لأنه يفتح للسالك أمور بحيث لا ينضبط على الشريعة منها لا فاعل إلا الله . ولا مالك إلا الله . ولا موجود إلا الله . وهذا وإن كان حقا لكن على هذا فالأحكام المأمور بها تتوجه على من أو يقول هو الأمر نفسه بنفسه وغير ذلك فإن كان معه الميزان الشرعي وزن هذه الأمور وعلم أن الله الحجة البالغة ، وإذا علمت ذلك علمت أنها طريق كثيرة المهالك والحجر والأوحال والمهاوي والحيات وغيرها لأنها طريق مجهولة لا يعرف فيها السالك ما يستقبله من المهالك ولا أين ينتهي . فلا بد من دليل له يمشي فيها به . وهو نور الشرع مع نور البصيرة . قال تعالى : { نور على نور } فلو كان نورا واحدا لما ظهر له ضوء فافهم . والله در اليوسي حيث يقول :

والوجه ذو شحط على من رامه	يعيا على العود النباطي الأجلد
ومجاهل ما للقطا بفجاجها	سبيل ولا فيها دعي ميص صدى
ومداحض من زل فيها يعتلق	أشطان شيطان غوي مفسد
ومخاوف من شد عن رفاقه	فيها تروى من لعاب العريد
فلذلك كان على مرید سالك	فيها مصاحبة الدليل المرشد

إخ . ثم قال : ومن شأنه أن يقرأ شيئا من عقائد السنة قبل دخوله في طريق الفقراء ليصح اعتقاده مما يتوهمه غالب الخلق من الجسمية ونحوها أو أنه تعالى فوق العرش فمن يعتقد ذلك على معنى الجلوس فهو عابد وثن . فتعالى الله عن ذلك .

ولنرجع إلى ما نحن بصدد في أمر الرؤية . قال في الرسالة القشيرية: فإن قيل هل تجوز رؤية الله تعالى بالأبصار اليوم في الدنيا على جهة الكرامة ؟ فالجواب عنه أن الأقوى فيه أنه لا يجوز لحصول الإجماع عليه . ولقد سمعت الإمام أبا بكر بن فورك يحكي عن أبي

الحسن الأشعري أنه قال في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبير . **قلت** :  
فالقولان في الجواز لا في الوقوع لغيره ﷺ في الدنيا إلا ما مر في موسى  
هل رأى ربه بعيني قبله لما غشي عليه أم لا ؟ والأصح أنه ما رأى . اهـ  
وقال بعض علماء بلادنا بعد الكلام المتقدم للإمام القشيري رضي الله  
عنه : قد صح أن النبي ﷺ رآه ليلة الإسراء وما جاز أن يكون معجزة  
لنبي يجوز أن يكون كرامة لولي ولا فرق بينهما إلا التحدي على  
الصحيح المقبول . قلت : وهذا الكلام مردود من وجوه :

❖ **الأول** : أن إخباره ﷺ للصحابة بالإسراء وما وقع فيه من الرؤية  
وسماع كلام الله بلا واسطة كإخباره لهم بأحوال الآخرة وما وقع فيها مما  
لم يشاهدوه بأعينهم لأن الإسراء والمعراج وإن كان خرق عادة ولكنه أمر  
لم يشهده المخاطبون بأعينهم فكلا الإخبارين تكليف لهم بالإيمان به على  
ما أخبر فاحتاج إلى إظهار معجزة يتحدى بها عليهم حتى يصدقوه في  
كل ما يخبر عن مولاه تعالى . ولذلك لما كذبه كفار قريش وارتد ناس  
ممن كان آمنه به ﷺ وصف لهم بيت المقدس لما استنعتوه المسجد . أي  
قالوا له يا محمد ، صف لنا بيت المقدس كم له من باب بوجود صورته  
ومثاله في جناح جبريل أو برفع الحجاب بينه وبين بيت المقدس حتى  
رآه عليه السلام وهو في مكانه ، ولما فرغ من النعت قالوا : أما النعت  
فقد أصاب . وسألوه آية أهرى أيضا على ذلك بأن قالوا له : هل رأيت  
في مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك لأن وصفك لبيت  
المقدس يحتمل أن تكون حفظته عن ذهب إليه ؟ فقال عليه السلام : آية  
ذلك أنه مررت بعير بني فلان بواد كذا قد أضلوا ناقة لهم وانتهيت إلى  
رحالهم وإذا قدح ماء فشربت منه فاسألوهم عن ذلك . ثم قالوا له :  
فأخبرنا عن عيرنا فقال: مررت بها في التنعيم وإنها تقدم مع طلوع  
الشمس يتقدمها جمل أورق أي بياضه إلى السواد عليه غرارتان أي  
الجوالق أحدهما سوداء والآخر برقاء فيها بياض وسواد . فابتدر القوم  
الثنية أي الجبل . فقال قائل منهم : هذه والله الشمس قد أشرقت . فقال  
آخر: هذه والله العير قد أقبلت يتقدمها جمل أورق كما قال محمد عليه  
الغرارتان فتاب المرتدون وأصر المشركون وقالوا : إنه لساحر . أي  
تاب المشركون لما أظهر لهم المعجزة في إخباره بقدم العير يوم كذا

ووقت كذا فوقع كما قال لهم . وقال المشركون : إنه لساحر لخرقه العادة في إخباره بالمغيبات وبهذا تعلم يقينا أن الإسراء بجسده وروحه إلى بيت المقدس بل إلى المستوى وسماعه كلام الله تعالى بلا واسطة ورؤيته مولاه على القول الراجح بوقوعها له ﷺ ورؤيته من آيات ربه الكبرى والمقام المحمود هذه وأمثالها مقامات له ﷺ أخبرنا بحصوله عليه لا من قبيل المعجزات حتى يقال فيها : ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي . فقد علمت أن الإسراء وما وقع فيه وإن كان خرق عادة كما تقدم فلا يقال فيه إنه معجزة لأن المعجزة كما قال السعد هي أمر يظهر خلاف العادة على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله وقد اعتبر المحققون فيها سبعة قيود :

**الأول :** عتكون قولاً أو فعلاً أو تركاً . فالأول كالقرآن . والثاني كنبع الماء من بين أصابعه ﷺ . والثالث كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام .

**الثاني :** أن تكون خارقة للعادة .

**الثالث :** أن تكون على يد مدعي النبوة أو الرسالة .

**الرابع :** أن تكون مقرونة بدعوة النبوة أو الرسالة .

**الخامس :** أن تكون موافقة للدعوة .

**السادس :** أن لا تكون مكذبة له

**السابع :** أن تتعذر معارضته .

فقد علمت أن كل المعجزات خارقة للعادة وليس كل خارق للعادة معجزة . لأن من شروطها الظهور للرئين . ولهذا كذبه ﷺ كفار قريش في خبر الإسراء وما وقع فيه وارتد ناس ممن كان آمن به ﷺ لما لم يروا لخبره أثراً يظهر فيه بل إنما زادهم حكماً في التكليف . وانظر إلى موسى عليه السلام لما رجع من المناجاة كساه الله نورا على وجهه يعرف به صدق ما ادعاه ، فما رآه أحد إلا عمي فكان يمسح وجهه الرائي له بثوب مما عليه فيرد الله عليه بصره من شدة نوره ،

ولذلك كان يتبرقع حتى لا يتأذى الناظرون إليه إذا رأوه . انظر كتاب اليواقيت للشعراني . وكذلك معجزاته ﷺ ومعجزات إخوانه الأنبياء عليهم السلام ما أنكر الكفار وقوع واحدة منها لما ظهرت كالقرآن وانشقاق القمر وحنين الجذع ونبع الماء من أصابعه ﷺ إلخ . وإنما أحالوها إلى السحر والكهانة والشعر جدا لها وعنادا ، وما بلغنا أن واحدا منهم أنكر وقوع عين تلك المعجزة وقال إنه لم يقع .

❖ **والثاني:** فإننا ولو سلمنا أن الإسراء بالجسم وما وقع فيه من قبيل المعجزات فلا يجوز أن يأتي مثله من ولي كرامة له . وهكذا يقال في رؤية الباري لغيره ﷺ . وقال في الرسالة القشيرية : واعلم أن كثيرا من المقدورات يعلم اليوم قطعا أنه لا يجوز أن يظهر كرامة للأولياء بضرورة أو شبه ضرورة يعلم ذلك . فمنها حصول إنسان لا من أبوين وقلب جماد بهيمة أو حيوانا . وأمثال هذا كثير .

**قلت :** مسألة ما جاز أن يكون معجزة لنبي إلى آخرها خلافية لأن الشيخ أبا إسحاق الأسفرانيي من أهل السنة والمعتزلة خالفوا في ذلك فقالوا لا يجوز أن يكون ما ظهر معجزة لنبي أن يكون مثله كرامة لولي من سائر الخوارق . وإنما مبالغ الكرامة إجابة دعوة أو موافاة ماء في بادية لا ماء فيه ونحو ذلك مما ينحط عن خرق العادات . قال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في الفتوحات المكية : وهذا الذي قاله الأستاذ هو الصحيح عندنا إلا أنني اشترط شرطا آخر لم يذكر الأستاذ وهو أنا نقول : لا يجوز أن تكون المعجزة كرامة لولي إلا أن يقوم ذلك الولي بذلك الأمر المعجز على وجه التصديق لذلك النبي دون أن يقوم به على وجه الكرامة لنفسه فلا يمتنع ذلك كما هو مشهود بين الأولياء اللهم إلا أن يقول : ذلك الرسول في وقت تحديه بمنع وقوعها في ذلك الوقت خاصة أو في مدة حياته خاصة فإنه جائز أن يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذي اشترطه . وأما إن أطلق ذلك النبي ولم يقيد فلا سبيل إلى ما قاله الأستاذ . اهـ من اليواقيت ملفقا .

❖ **والثالث:** ما كل جائز عقلا يجوز شرعا لأن وجود نبي بعده ﷺ جائز عقلا غير جائز شرعا . ومن قال بعد نبينا نبي يكفر لأنه أنكر النص . وكذلك لو شك فيه . قال في روح البيان: ذكر بعضهم أن رؤية الله تعالى ممكنة في الدنيا. قال حضرة الشيخ الشهير بافتادة أفندي : الرؤية في الآخرة موعودة وأما في الدنيا وإن كانت في حيز الإمكان لكنها غير موعودة ولم تجر عادة الله عليها انتهى. وقد تقدم من كلام عبد السلام أن الرؤية في الدنيا وإن كانت جائزة عقلا فقد امتنعت سمعا .

❖ **والرابع :** مقام لم يوته البارئ جل وعلا نبيا من الأنبياء ولا رسولا من الرسل حتى أولي العزم منهم سوى نبيا ﷺ على الخلاف فيه أيضا من الصحابة كما تقدم لا يتأتى وجوده لغيرهم شرعا ولو بلغ ما بلغ لأن الله تبارك وتعالى ما من كمال يليق بهم إلا وأتاهم به وليس هناك كامل من الخلق مطلقا إلا ومنهم عليهم السلام قد استمد كماله . وكلام أكابر الأولياء والأقطاب متفق عليه . قال الإمام محيي الدين رضي الله عنه : والمقام المحمدي ممنوع دخوله لنا وغاية معرفتنا بالنظر إليه كما تظهر الكواكب في السماء وكما ينظر أهل الجنة السفلى إلى من هو في عليين . وقد وقع للشيخ أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه في مقام النبي قدر خرم إبرة تجليا لا دخولا فاحترق . قال في الرسالة القشرية : فأما رتبة الأولياء فلا تبلغ رتبة الأنبياء عليه السلام للإجماع المنعقد على ذلك . وهذا أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه سئل عن هذه المسألة فقال : مثل ما حصل للأنبياء عليهم السلام كمثل زق فيه عسل ترشح منه قطرة فتلك القطرة مثل ما لجميع الأولياء وما في الظرف مثل ما لنبينا ﷺ . اهـ . قال في اليواقيت : فلا تلحق نهاية الولاية بداية النبوة أبدا . ولو أن وليا تقدم إلى العين التي يأخذ منها الأنبياء لاحترق . وغاية أمر الأولياء أنهم يتعبدون بشريعة محمد ﷺ قبل الفتح عليهم وبعده ومتى خرجوا عن شريعة محمد ﷺ هلكوا وانقطع عنهم الإمداد فلا يمكنهم أن يستقلوا بالأخذ عن الله أبدا . اهـ . قال في الفتوحات : اعلم أنه لا ذوق لنا في مقام النبوة لنتكلم عليه وإنما

نتكلم على ذلك بقدر ما أعطينا من مقام الإرث فقط . لأنه لا يصح لأحد منا دخول مقام النبوة . وإنما نراه كالنجوم على الماء ؟ اهـ والله در الإمام البوصيري حيث يقول :

### إنما مثلوا صفاتك لنا س كما مثل النجوم الماء

وقال أيضا في الفتوحات: لقد أعطيت من مقام العبودية التي اختص بها رسول الله ﷺ مقدار الشعرة الواحدة من جلدة الثور فما استطعت القيام به . اهـ . وقال شيخنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه كما في جواهر المعاني : اعلم أن الأصل الأصيل الذي لا محيد عنه ولا بد لكل مؤمن من اعتقاده ومن خرج عنه خرج عن قاعدة الإيمان ؛ هو أن الحق سبحانه وتعالى تجلى بعلو كبريائه وعظمته وجلاله وعموم صفاته العلية وأسمائه وخصوصها وأن ذلك التجلي ليس هو في كل شخص كما عند الآخر ولا على قانون واحد ولا على كيفية مطردة بل البصائر فيه متفاوتة وأسرار الخلق في ذلك متباينة من كثير وقليل فهو يتجلى لكل شخص على قدر طاقته وعلى قدر ما تسعه حوصلته من تجلي الجمال القدسي الذي لا يدرك له غاية ولا يوقف له على حد ولا نهاية ، وإذا عرفت هذا فاعلم أن الذي في مرتبته ﷺ من تجليات الصفات والأسماء والحقائق لا مطمع في دركه لأحد من أكابر أولي العزم من الرسل فضلا عن دونهم من النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام . وأن الذي في مرتبة أولي العزم من الرسل لا مطمع لأحد في دركه من عموم المرسلين وأن الذي في مرتبة النبوة لا مطمع لأحد في دركه من عموم الصديقين . إلى آخر ما قاله . ثم قال في شرح الهمزية : إن رتبة تجلي الذات المقدسة حيث ما هي هي قد فاز بها ﷺ وحده بلا مشاركة فإن الذات العلية العظيمة الجليلة المقدسة هي غاية الغايات لجميع الطالبين والقاصدين ، وقد حرمها سبحانه وتعالى على جميع خلقه أن يرومها أحد غير نبينا ﷺ وجعله صاحبها والفائز بها لهذا قال يعني البوصيري : ما وراءهن وراء . لأنها جعل دونها حجاب لا يمكن خرقها . فلو تمزقت تلك الحجب حتى أبصرها من أبصرها من الوجود لصار محض العدم في أسرع من طرفة العين كما قال في الحديث حجاب النور لو كشف لأحرقت سبحات وجهه ما

أدرکه بصره من خلقه . وكما في الآية حيث قال سيدنا موسى عليه السلام : { رب أرني أنظر إليك قال لن تراني } ثم استدرکه { ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا { الآية . وفي بعض الأخبار أن الجبل تقطع سبعين قطعة من هيبة الله تعالى ثم خلق الله من كل قطعة شخصا يقول رب أرني أنظر إليك . وموسى ينظر فقال : أتظن أنك مشتاق إليّ وحدك؟ فإن الشوق إلى الحضرة جاذب إلى الذات لجميع الوجود . يعني جذبا ذاتيا لا يمكن انفكاكه ولكن الله منعمهم . اهـ ثم قال في شرح الهمزية : ومقامات جميع الأنبياء والمرسلين حضرة مرتبة الألوهية والذات عنهم غيب فإنه لو تجلى لجميعهم سبحانه وتعالى بذاته كما تجلى له ﷺ لصاروا محض العدم في أسرع من طرفة العين فلذا قال لموسى عليه السلام : { لن تراني } منع من الرؤية كأنه يقول له : لا مطمع لك في رؤيتي . وقال بعض أهل الإشارات في قوله سبحانه وتعالى : { ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن } . قال: فيها إشارة لنهي موسى عليه السلام عن طلب تلك المرتبة وهي رؤية الذات . أنما هي مخبرة لليتيم ﷺ وهي ماله ﷺ . اهـ . والله در القائل :

**وكل نبي خصه بفضيلة وخص برؤياه النبي محمدا**

و در من قال :

**ومن قال في الدنيا يراه بعينه فذلك زنديق طغى وتمردا**

إلى غير ذلك مما قاله فحول العلماء وأكابر الأولياء مما يعلمنا بأن رؤية ذات الباري لغيره ﷺ في الدنيا لا يجوز لأحد شرعا فليس وراء عبادان قرية . هذا كله في الرؤية بالبصر في الدنيا لغيره ﷺ وأما رؤية الباري في المنام فأقول وبالله التوفيق :



## الفصل الثالث

### في جواز رؤية الباري جل وعلا في المنام ووقوعها لكثير من الأولياء والصالحين والخلاف فيه :

قال الباجوري في شرح الجوهرة : وأما رؤيته تعالى مناما فنقل عن القاضي عياض أنه لا نزاع في وقوعها وصحتها فإن الشيطان لا يتمثل به تعالى كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وذكر غيره الخلاف . وقال بعضهم : إن الشيطان يتمثل به دون النبي . والفرق أن النبي بشر فيلزم من التمثيل به اللبس بخلاف المولى فأمره معلوم . وقال بعضهم : ولا يتمثل بالملائكة ولا بالشمس ولا بالقمر ولا بالنجوم المضيئة ولا بالسحاب الذي فيه الغيم . وحكي أن الإمام أحمد رأى المولى سبحانه وتعالى في المنام تسعا وتسعين مرة وقال : وعزته إن رأيتهم تمام المائة لأسألنه فرآه فقال : سيدي ومولاي ما أقرب ما يتقرب به المتقربون ؟ قال : تلاوة كلامي . فقال : بفهم أو بغير فهم ؟ فقال : يا أحمد ، بفهم وبغير فهم .

والمرئي إن كان بوجه لا يستحيل عليه تعالى فهو هو تعالى . وإلا بأن كان بصورة رجل مثلا فليس هو هو تعالى بل خلق من خلقه تعالى . ويقال حينئذ إنه رأى ربه في الجملة لحكمة تظهر عند المعبرين بأن يقولوا : وتدل على كذلك . وقيل : هو هو أيضا وكونه بهذا الوجه إنما هو باعتبار ذهن الرائي . وأما في الحقيقة فليس تعالى كذلك . وقد قال بعض الصوفية إنه رأى ربه في منامه على وصفه فقيل له : كيف رأيتهم ؟ فقال : انعكس بصري في بصيرتي فصرت كلي بصرا فرأيت من ليس كمثلته شيء . اهـ بلفظه . قال العلامة الأمير في حاشيته على عبد السلام

على الجوهرة بعدما ذكر كلام الإمام أحمد، كل الخلق يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني . اهـ وقال في روح البيان : وأما الرؤية في المنام فقد حكيت عن كثير من السلف كأبي حنيفة . وعن أبي يزيد رحمه الله : رأيت ربي في المنام فقلت له: كيف الطريق إليك ؟ فقال : اترك نفسك ثم تعال . وروي عن حمزة القارئ أنه قرأ على الله القرآن من أوله إلى آخره في المنام حتى إذا بلغ إلى قوله : { وهو القاهر فوق عباده } قال الله تعالى : يا حمزة وأنت القاهر. ولا خفاء في أن الرؤية في المنام نوع مشاهدة يكون بالقلب دون العين. وفي الحديث: رأيت ربي في المنام في صورة شاب أمرد. إلى آخر ما قاله . أنظره . وفي بغية المستفيد أن سيدي عيسى بو عكاز المضايي التجاني شيخ شيخنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه في القرآن رأى رب العزة في النوم وقرأ عليه القرآن برواية ورش من أوله إلى آخره فقال له تبارك وتعالى : هكذا أنزل وحصل على يديه النفع في قراءة القرآن . اهـ . قال في اليواقيت : وأما دليل امتناعها في النوم فلأن المرئي فيه خيال ومثال . وذلك محال على القديم سبحانه وتعالى . ودليل المجيز لها أنه لا استحالة في الرؤية في المنام . وقد ذكر العلماء وقوعها في المنام لكثير من السلف الصالح منهم الإمام أحمد وحمزة الزيات والإمام أبو حنيفة . وكان حمزة الزيات يقول : قرأت سورة يس على الحق تعالى حين رأته فلما قرأت : { تنزيل العزيز الرحيم } بضم اللام فرد علي الحق تعالى { تنزيل العزيز الرحيم } بفتح اللام وقال : نزلته تنزيلا . وقال : قرأت عليه سورة طه فلما بلغت إلى قوله : { وأنا اخترتك } فقال تعالى : وأنا اخترناك فهي قراءة برزخية . وقد أجمع علماء التعبير على

جواز رؤية الله تعالى في المنام وإنما بالغ ابن الصلاح في إنكارها تبعا لمن منع وقوعها من العلماء . اهـ وعبارة شيخ أبي طاهر القزويني في كتاب **سراج العقول** في هذه المسألة : واعلم أن أكثر المتكلمين من الفرق ينكرون جواز رؤية الله تعالى في المنام فضلا عن اليقظة لغير رسول الله ﷺ واحتجوا في ذلك بأن ما يراه النائم يكون مصورا لا محالة ولا صورة للرب تعالى . وإنه يراه بواسطة مثال مناسب له ولا مثل ولا مثال لله رب العالمين . وقال تعالى : { فلا تضربوا الله الأمثال } . وقال { ليس كمثل شيء } وقال : { ولم يكن له كفوا أحد } قال : فمن رأى من ذلك شيئا وتخيل أنه الإله فذلك من إراءة الشيطان وتخيله وإغوائه وتضليله أو هو مشبه يعتقد ذلك في اليقظة . وأطال في ذلك . ثم قال : والذي عليه جمهور مشايخ السلف رضي الله تعالى عنهم أنه يجوز رؤية الله في صورة في المنام وبه جاءت الأحاديث نحو قوله ﷺ (( خير الرؤيا أن يرى العبد ربه في منامه أو يرى نبيه أو يرى أبويه إن كانا مسلمين )) . وقوله ﷺ : (( رأيت ربي في أحسن صورة )) الحديث . وقال محمد بن سيرين : من رأى ربه في المنام دخل الجنة . قالوا وتكون رؤية الله تعالى بواسطة مثال يليق به منزله عن الشكل والصورة فيكون تخيله في ذلك المثال كتفهيم الحق تعالى كلامه القديم لعباده بواسطة الحروف والأصوات مع تنزيه كلامه تعالى عن ذلك . فكما أن الكلام الأزلي منزله عن الصوت والحروف الحادثين ويفهم بواسطتهما كلام الله القديم فكذلك يجوز أن تكون ذاته الأزلية المنزهة عن الصورة والشكل ترى بواسطة مثال يناسبها بأدنى معنى فيكون كالمثل بفتح المثلثة المذكور في القرآن في قوله تعالى : { مثل

نوره كمشكاة { لا كالمثل بسكون المثلثة الذي يوجب المماثلة من كل وجه ، أما إذا رآه في صورة لا تناسب جلال الصمدية في معنى ما فالرأى ممن عبث به الشيطان . فإن قيل إن رؤية الله تعالى على ما هو عليه في ذاته غير ممكن لعدم صحة المثل والمثال في نفس الأمر والنائم لا يرى شيئاً إلا بصورة ومثل ، فالجواب إذا تجلى الحق تعالى بذاته المقدس لعبد في منامه فالروح تعرف بالفطرة الأولية أنه هو الإله الحق بخلاف سائر رؤياه المحتاجة للتعبير ، إذ النفس بآلاتها الخيالية لا تستطيع رؤية من لا صورة له ولكن تتصور بوسائط وأمثلة ثم تذهب الأمثلة كالزبد يذهب جفاء ويبقى معها رؤية الله تعالى حقا كما أن الكلام القديم يتعلمه الناس بأمثلة الحروف في اللوح ويبقى القرآن في الحفظ . ثم قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله : فعلم أنه لا يلزم من كون الشيء لا صورة له أن لا يرى في صورة على ما قررناه ألا ترى أن كثيرا من الأشياء التي لا أشخاص لها ولا صورة ترى في المنام بأمثلة تناسبها بأدنى معنى ولا يوجب التشبيه ولا التمثيل، وذلك كالمعاني المجردة مثل الإيمان والكفر والشرف والقرآن والهدى والضلالة والحياة الدنيا ونحو ذلك ، فأما الإيمان فكقول النبي ﷺ (( رأيت الناس في المنام يعرضون منهم من قميصه إلى كعبه ومنهم من قميصه إلى أنصاف ساقيه ف جاء عمر بن الخطاب يجر قميصه . قالوا يا رسول الله ، ما أولت ذلك ؟ قال الإيمان)) فالإيمان لا شكل له ولا صورة ولكن جعل القميص له مثلا فرؤى بواسطته وكذلك الكفر يمثل في المنام بالظلمة وكذلك الشرف والعز يرى بواسطة صورة الفرس وكذلك يمثل القرآن باللؤلؤ ويمثل الهدى بالنور والضلالة بالعمى ولا شك أن بين هذه الأشياء مضاهاة

لنتلك المعاني المرئية وتجسد المعاني لا ينكره العلماء بالله تعالى . قال وموضع الغلط في ذلك لمن منع رؤية الله في صورة ظنه أن المثل بفتحتين كالمثل بكسر الميم وسكون المثناة وفي ذلك خطأ فاحش فإن المثل بالسكون يستدعي المساواة في جميع الصفات كالسوادين والجوهرين ويقوم كل واحد منهما مقام الآخر من جميع الوجوه في كل حال بخلاف المثل بفتحتين فإنه لا يشترط فيه المساواة من كل وجه وإنما يستعمل فيما يشاركه بأدنى وصف قال : { إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء } والحياة لا صورة لها ولا شكل والماء ذو شكل وصورة وقد مثل الله تعالى به الحياة . وكذلك قوله تعالى : { مثل نوره كمشكاة فيها مصباح } وغير ذلك ، فعلم أنه لا مثل لله تعالى ولكن له المثل الأعلى في السماوات والأرض ، قال ومن هنا جوّز الأكثرون من السلف تجليه لعبده في المنام كما مر في الأمثال وأطال في ذلك . ثم قال : واللسان يقصر حقيقة عن البيان لأنها أمور ذوقية لا تضبطها عبارة والله تعالى أعلم اهـ هذا ما رأيته في كتب المتكلمين. وأما ما رأيته في كتب الصوفية كما قال في اليواقيت فمن أفصحهم عبارة الشيخ محيي الدين رضي الله عنه فقال في الفتوحات المكية : اعلم أنه لا ينبغي لمسلم أن يتوقف في رؤية الله تعالى في المنام لأنه لا شيء في الأكوان أوسع من عالم الخيال وذلك أنه يحكم بحقيقته على كل شيء وعلى ما ليس بشيء ويصور العدم المحض والمحال والواجب فضلا عن الممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا ويريك العلم لبنا والإسلام قبة والثبات في الدين قيّدا . قال : ودليلنا فيما قلناه قوله تعالى : { فأينما تولوا فثم وجه الله } ووجه الشيء حقيقته وعينه . فقد صور

الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتصوير فعلم أن كل ما جاز وقوعه في المنام والدار الآخرة جاز وقوعه وتعجيله لمن شاء في اليقظة والحياة الدنيا . اهـ ثم قال الإمام الشعراني رضي الله عنه في اليواقيت بعد كلام : اعلم أن الأصل في صحة الرؤية في المنام ما رواه الطبراني وغيره مرفوعا : (( رأيت الليلة ربي في صورة شاب أمرد ققط أي جعد الشعر قصيره له وفرة من شعر وفي رجليه نعلان من ذهب )) الحديث . قال الحافظ السيوطي رحمه الله: وهو حديث صحيح . قال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في الفتوحات : قد اضطربت عقول العلماء في معناه وفي صحته فنفاه بعضهم وأثبتته بعضهم وتوقف في معناه وأوله ولا يحتاج الأمر إلى تأويل فإنه ﷺ إنما رأى هذه الرؤيا في عالم الخيال الذي هو النوم ومن شأن الخيال أن النائم يرى فيه تجرد المعاني في الصور المحسوسة وتجسد ما ليس من شأنه أن يكون جسدا لأن حضرته تعطي ذلك فما ثم أوسع من الخيال. قال: ومن حضرته أيضا ظهر وجود المحال فإنك ترى فيه واجب الوجود الذي لا يقبل الصورة في صورة . ويقول لك معبر المنام صحيح ما رأيت ولكن تأويلها كذا وكذا فقد قبل المحال الوجود في هذه الحضرة . فإذا كان الخيال بهذه القوة من التحكم في الأمور من تجسد المعاني وجعله ما ليس قائما بنفسه كما هو مخلوق فكيف بالخالق وكيف يقول بعضهم : إن الله تعالى غير قادر على خلق المحال وهو يشهد من نفسه قدرة الخيال على المحال ، إلى آخر كلامه أنظره . ثم قال : فإن قلت : فإذا المواطن تحكم بنفسها على كل من ظهر فيها فمن مر على موطن انصبغ به كما حكم الخيال على صاحبه برؤية الحق تعالى في

صورة . فالجواب كما قاله الشيخ في الفتوحات المكية نعم وهو كذلك والدليل الواضح في ذلك ما ذكرته في السؤال من رؤيتك الله تعالى في المنام الذي هو موطن الخيال في صورة . فإذا كان حكم الموطن قد حكم عليك في الحق تعالى بما هو منزله عنه فلا تراه إلا كذلك فكيف بغيره ؟ ثم إنك إذا خرجت من حضرة الخيال إلى موطن النظر العقلي لم تدرك الحق تعالى إلا منزلها عن تلك الصورة التي أدركته فيها في موطن الخيال فإذا كان الحكم للموطن عرفت إذا رأيت الحق تعالى ما رأيت وأثبت ذلك الحكم للموطن حتى يبقى الحق تعالى لك مجهولاً أبداً فلا يحصل لك به إحاطة أبداً . وغاية أمرك توحيد المرتبة له لا غير . وأما علمك بذاته تعالى فهو محال لأنك لا تخلو عن موطن تكون فيه يحكم عليك ذلك الموطن بحاله . فلا تعرف الله تعالى من حيث ما يعرف الله بنفسه أبداً . فما عندك من معرفته في موطن ينفذ منك في موضع آخر . فما عندك من العلم به ينفذ وما عنده تعالى من علمه بنفسه لا يتغير ولا يتبدل . اهـ ثم قال: فإن قلت : فإذا كان ما يراه الإنسان في النوم بهذه المثابة فلا يصح لأحد القطع بما يراه في النوم أبداً . فالجواب: نعم وهو كذلك كما ذكره الشيخ في لواقع الأنوار. قال: لأن دائرة الخيال واسعة وكل ما يظهر فيها ومنها يحتمل التأويلات فلا يصح القطع إلا أن استند الرائي إلى علم آخر وراء ذلك إذ الخيال ليس له حقيقة في نفسه لأنه أمر برزخي بين حقيقتين وهما المعاني المجردة والمحسوسات . فلهذا يقع فيه الغلط . ثم قال : وانظر إلى قوله ﷺ حين أتته جبريل بصورة عائشة في شرفة أي شقة كيف قال له : إن يكن من عند الله يمضه . ولو أن جبريل أتاه بذلك من طريق الوحي المعهود في

الحس أو بطريق المعاني المجردة الموجبة لليقين لما كان يمكنه الجواب  
بمثل ذلك . لأن النصوص لا يدخلها تأويل ولا خطأ ولا تردد. اهـ ثم قال  
: فإن قلت فما السبب لرؤية الله في المنام كون النوم أخوا الموت فمعنى  
الحديث : إنكم ترونه بعد موتكم لا في حال موتكم . فما نفى الشارع إلا  
رؤية الله في الدنيا يقظة لغير من استثنى . وسبب عجز الناس عن رؤية  
ربهم في الدنيا ضعف نشأة هذه الدار إلا لمن أمده الله بالقوة . بخلاف نشأة  
الآخرة لقوتها كما مر . اهـ ثم قال : فإن قلت : فما محل وقوع النوم في  
العالم ؟ فالجواب: محل النوم ما تحت مقعر فلك القمر خاصة وما فوق  
فلك القمر لا نوم فيه . وأما محله في الآخرة فهو ما تحت مقعر فلك الكواكب  
الثابتة . ثم قال: فإن قلت : فما الفرق بين النوم والموت ؟ فالجواب كما قال  
الشيخ في الفتوحات: إن الموت فيه إعراض الروح عن تدبير الجسم بالكلية  
ويزول بذلك جميع القوى كما يدخل الليل بمغيب الشمس . وأما النوم فليس هو  
إعراضا عن الجسم بالكلية وإنما هو حجب أبخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها  
الحسية مع وجود الحياة في النائم كالشمس إذا حال السحاب دونها ودون موضع  
خاص من الأرض يكون الضوء موجودا كالحياة وإن لم يقع إدراك الشمس  
لذلك السحاب المتراكم بينهما وبين الأرض . اهـ **قلت** : هذا كله في الرؤية  
في عالم الخيال المعبر عنه بعالم النوم . وأما رؤية القلب المعبر عنها  
بالمشاهدة والمعرفة والعلم فأقول وبالله التوفيق :



## الفصل الرابع

**في مراد القوم بالمشاهدة والمعرفة والفرق بين الرؤية والمشاهدة  
ومرادهم بالكشف والوصول والمسمى بالعارف عندهم .  
وأن من أعظم المكر والضلال قول بعضهم : العارف لا يضره ذنب .**

اعلم أن المشاهدة عبارة عن الوصول إلى مقام الإحسان الذي يعبر عنه القوم تارة بمقام المشاهدة وأخرى بالمعرفة والاستقامة . والوصول عندهم عبارة عن ارتفاع حجاب النفس وزواله . والمراد بالنفس العلل التي هي بقايا في العبد تحول بينه وبين استجلائه صفات محبوبه وتعوقه عنه . فمهما بقي في العبد بقية فهي سحاب وغيم سائر على قدره فكثيف ورقيق وبين بين . اهـ وعبارة أبي قاسم القشيري في رسالته : إنما أرادوا بالنفس ما كان معلولا من أوصاف العبد ومذموما من أخلاقه وأفعاله . ثم إن المعلولات من أوصاف العبد على ضربين أحدهما يكون كسبا له كمعاصيه ومخالفاته . والثاني أخلاقه الدنيئة فهي في أنفسها مذمومة فإذا عالجهما العبد ونازلها تنتقي عنه بالمجاهدة تلك الأخلاق على مستمر العادة . والقسم الأول من أحكام النفس ما نهى عنه نهى تحريم أو نهى تنزيه ، وأما القسم الثاني من قسمي النفس فسفساف الأخلاق والدنيء منها هذا حده على الجملة ثم تفصيلها: فالكبر ، والغضب ، والحقد ، والحسد ، وسوء الخلق، وقلة الاحتمال ، وغير ذلك من الأخلاق المذمومة . وأشد أحكام النفس وأصعبها توهمها أن شيئا منها حسن وأن لها استحقاق قدر . ولهذا عد ذلك من الشرك الخفي ومعالجة الأخلاق في ترك النفس وكسرها

أتم من مقاساة الجوع والعطش والسهر وغير ذلك من المجاهدات التي تتضمن سقوط القوة وإن كان ذلك أيضا من ترك النفس . ويحتمل أن تكون النفس لطيفة مودعة في هذا القلب هي محل الأخلاق المعلولة كما أن الروح لطيفة في هذا القلب هي محل الأخلاق المحمودة . وتكون الجملة مسخرا بعضها لبعض والجميع إنسان واحد وكون الروح والنفس من الأجسام اللطيفة في الصورة ككون الملائكة والشياطين بصفة اللطافة وكما يصح أن يكون البصر محل الرؤية والأذن محل السمع والأنف محل الشم والفم محل الذوق والسميع والبصير والشام والذائق إنما هي الجملة التي هي الإنسان، وكذلك محل الأوصاف الحميدة القلب والروح . ومحل الأوصاف المذمومة النفس . والنفس جزء من هذه الجملة . والقلب جزء من هذه الجملة والحكم والاسم راجع إلى الجملة . اهـ قلت: وعددت آفات النفس وعيوبها في الطريقة المحمدية إلى ستين آفة . وقد نظمتها في أرجوزة مستقلة . فقد علمت أن المراد بالحجاب في لسان الطائفة النفس وصفاتها المذمومة وأحكامها المعلولة وهم مجمعون على أن النفس من أعظم الحجب . بل هي الحجاب الأكبر . فأما حجاب الرب سبحانه عن ذاته هو النور كما في الحديث الصحيح . فلو كشفه لأحرقت سبحات أي أنوار وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه وحجابه من عنده هو نفسه وظلمته . فلو كشف عنه هذا الحجاب لوصل إلى ربه . والوصول عند القوم عبارة عن ارتفاع هذا الحجاب وزواله كما تقدم أنفا . وأما الحجاب الذي بين الله وبين خلقه هو حجاب النور فلا سبيل إلى كشفه في هذا العالم البتة . ولا يطمع في ذلك بشر . ولم يكلم الله بشرا إلا من وراء حجاب . وهذا الحجاب أي حجاب النور كاشف للعبد موصل له إلى مقام الإحسان الذي يعبر عنه القوم بمقام

المشاهدة كما تقدم . والأولى أي حجاب النفس سائر للعبد قاطع له حائل بينه وبين الإحسان وحقيقة الإيمان . والتفرقة كلها عندهم حجاب إلا تفرقة في الله وبالله والله فإنها لا تحجب العبد عنه بل توصله إليه . فإن التفرقة إنما تكون حجابا إذا كانت بالنفس ولها . وسيأتي مرادهم بالتفرقة والجمع في بابه إن شاء الله ، قال في باب الصفاء من شرح المنازل : ومراد القوم بالاتصال والوصول اتصال العبد بربه ووصوله إليه . لا بمعنى اتصال ذاته بذات الرب كما تتصل الذاتان إحداهما بالأخرى . ولا بمعنى انضمام إحدى الذاتين إلى الأخرى والتصاقها بها . وإنما مرادهم بالاتصال والوصول إزالة النفس والخلق من طريق السير إلى الله ولا تتوهم سوى ذلك فإنه عين المحال . فإن السالك لا يزال سائرا إلى الله تعالى حتى يموت فلا ينقطع سيره إلا بالموت . فليس في هذه الحياة وصول يفرغ معه السير وينتهي . وليس ثم اتصال حسي بين ذات العبد وذات الرب . فالأولى تعطيل وإلحاد ، والثاني حلول واتحاد . وإنما حقيقة الأمر تنحية النفس والخلق عن الطريق . فإن الوقوف معهما هو الانقطاع وتنحيتهما هو الاتصال . وأما الملاحظة القائلون بوحدة الوجود فإنهم قالوا : العبد من أفعال الله وأفعاله من صفاته وصفاته من ذاته فأنتج لهم هذا التركيب أن العبد من ذات الرب تعالى وتقدس عما يقولون علوا كبيرا . وموضع الغلط أن العبد من مفعولات الرب تعالى لا من أفعاله القائمة بذاته . ومفعولاته آثار أفعاله وأفعاله من صفاته القائمة بذاته . فذاته سبحانه وتعالى مستلزمة لصفاته وأفعاله ومفعولاته منفصلة عنه، تلك مخلوقة محدثة والرب تعالى هو الخالق بذاته وصفاته وأفعاله . فإياك والألفاظ المجملة المشتبهة التي وقع اصطلاح القوم عليها فإنها أصل البلاء وهي مورد الصديق والزنديق . فإذا سمع

ضعيف المعرفة والعلم بالله تعالى لفظ اتصال وانفصال ومسامرة ومكالمة وأنه لا وجود في الحقيقة إلا وجود الله وأن وجود الكائنات خيال ووهم وهو بمنزلة وجود الظل القائم بغيره فاسمع منه ما يملأ الأذن من حلول واتحاد وشطحات. والعارفون من القوم أطلقوا هذه الألفاظ ونحوها وأرادوا بها معاني صحيحة في أنفسها فغلط الغالطون في فهم ما أرادوه فنسبوهم إلى الحادهم وكفرهم واتخذوا كلماتهم المتشابهة ترسا وجنة حتى قال قائلهم :

**ومنك بدا حب بعز تمازجا بنا ووصالا كنت أنت وصلته**

**ظهرت لمن أبقيت بعد فنائه وكان بلا كون لأنك كنته**

فيسمع الغر التمازج والوصول فيظن أنه سبحانه نفس كون العبد فلا يشك أن هذا هو غاية التحقيق ونهاية الطريق . اهـ ثم قال : واعلم أنه لا يصح لأحد في الدنيا مقام المشاهدة أي مشاهدة الذات المقدسة . وأن هذا من أوهام غلاة القوم وترهاتهم . وإنما غاية ما يصل إليه العبد الشواهد وسيأتي المراد بها عن قريب إن شاء الله . ولا سبيل لأحد قط في الدنيا إلى مشاهدة الحق وإنما وصوله إلى شواهد الحق . ومن زعم غير هذا فلغلبة الوهم وحسن ظنه بترهات غلاة القوم وخيالاتهم . والله در الشبلي حيث سئل عن المشاهدة فقال : من أين لنا مشاهدة الحق لنا شاهد الحق هذا وهو صاحب الشطحات المعروفة وهذا من أحسن كلامه وامتنه وأراد بشاهد الحق ما يغلب على القلوب الصادقة العارفة الصافية من ذكره ومحبته وإجلاله وتعظيمه ووقاره بحيث يكون حاضرا فيها مشهودا لها غير غائب عنها . ومن أشار إلى غير ذلك فمغرور ومخدوع وغايته أن يكون في خفارة صدقه وضعف تمييزه وعلمه . ولا ريب أن القلوب تشاهد أنوار

الأعمال والإيمان والمعارف وصفاء البواطن والأسرار . لا أنها أنوار الذات المقدسة فإن الجبل لم يثبت لليسير من ذلك النور حتى تدكدك وخر الكليم صعقا مع عدم تجليه له فما الظن بغيره ؟ فإياك ثم إياك وترهات غلاة القوم وخيالاتهم وأوهامهم فإنها عند العارفين أعظم من حجب النفس وأحكامها فإن المحجوب بنفسه معترف بأنه في ذل الحجاب وصاحب هذه الخبالات والأوهام يرى أن الحقيقة قد تجلت له أنوارها ولم يحصل ذلك لموسى بن عمران كليم الرحمان عليه السلام . فحجاب هؤلاء أغلظ بلا شك من حجاب أولئك . والله المستعان . اهـ من منازل السائرين لمحقق الإسلام ابن القيم الدمشقي رحمه الله ملقا . ثم قال في باب الطمأنينة : فقد خر موسى صعقا لما تجلى ربه للجبل وتدكدك الجبل وساخ في الأرض من تجليه سبحانه هذا ولا يتوهم أن الحاصل في الدنيا للبشر كذلك ولا قريب منه أبدا وإنما هي أي شهود الحضرة المعارف واستيلاء مقام الإحسان على القلب فقط . وإياك وترهات القوم وخيالاتهم ورعوناتهم وإن سموك محجوبا فقل اللهم زدني من هذا الحجاب الذي ما وراءه إلا الخيالات والترهات والشطحات فكليم الرحمان وحده مع هذا لم تتجل الذات له وأراه ربه تعالى أنه لا يثبت لتجلي ذاته لما أشهده من حال الجبل عند تجلي ربه له ولم يكن تجليا مطلقا . قال الضحاك : أظهر الله من نور الحجب مثل منخرة ثور . وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحمري : ما تجلى من عظمة الله للجبل إلا مثل سم الخياط حتى صار دكا . وقال السدي : ما تجلى إلا مقدار الخنصر . وفي صحيح الحاكم من حديث ثابت عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية وقال : هكذا ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل . وإسناده على شرط مسلم . لما حدث به حميد عن

ثابت استعظمه بعض أصحابه وقال أتحدث بهذا فضرب بيده في صدره وقال يحدث به ثابت عن أنس عن رسول الله ﷺ وتتكبره أنت ولا أحدث به ثم قال : فإذا شهد لك المخدوعون بأنك محجوب عن ترهاتهم وخيالاتهم فتلك الشهادة لك بالاستقامة فلا تستوحش منها وبالله التوفيق وهو المستعان . اهـ قال بعض الأكابر مراد القوم بالوصول وصول القلب إلى نوع معرفة الله تعالى والتأدب معه فإذا قيل : فلان وصل إلى الله تعالى فذلك على حذف مضافين أي وصل قلب فلان إلى معرفة الله قال في الخلاصة :

### وما يلي المضاف يأتي خلفاً عنه في الإعراب إذا ما حذف

قوله عنه أي عن المضاف إذا حذف ودلت عليه قرينة نحو : واسأل القرية . أي أهل القرية . والعيير . أي أهل العير . اهـ وقال شارح المنازل أيضاً في باب المكاشفة بعد كلام : وليس مراد الشيخ في هذا الباب الكشف الجزئي المشترك بين المؤمنين والكفار والأبرار والفجار كالكشف عما في دار العبد أو في يده أو تحت ثيابه أو ما حملت به امرأته بعد انعقاده ذكراً أو أنثى . وما غاب عن العيان من أحوال البعد الشاسع ونحو ذلك فإن ذلك يكون من الشيطان تارة ومن النفس تارة . ولذلك يقع من الكفار كالنصارى وعابدي النيران والصلبان . فقد كشف ابن صياد النبي ﷺ بما أضمره له وخباه فقال له رسول الله ﷺ : إنما أنت من إخوان الكهان . فأخبر أن ذلك الكشف من جنس كشف الكهان وأن ذلك قدره . وكذلك مسيلمة الكذاب مع فرط كفره كان يكشف أصحابه بما فعله أحدهم في بيته وما قاله لأهله . يخبره به شيطانه ليغوي الناس . وكذلك الأسود العنسي والحارث المتنبلي الدمشقي الذي في دولة عبد الملك بن مروان .

وأمثال هؤلاء ممن لا يحصيهم إلا الله وقد رأينا نحن وغيرنا منهم جماعة وشاهد الناس من كشف الرهبان عباد الصلب ما هو معروف . ثم قال: والكشف الرحماني من هذا النوع هو مثل كشف أبي بكر لما قال لعائشة رضي الله عنهما : إن امرأته حامل بأنثى . وكشف عمر لما قال : يا سارية الجبل . وأضعاف هذا من كشف أولياء الرحمن . والمقصود أن مراد القوم بالكشف في هذا الباب أمر وراء ذلك وأفضله وأجله أن يكشف السالك عن طريق سلوكه ليستقيم عليها . وعن عيوب نفسه ليصلحها . وعن ذنوبه ليتوب منها . فما أكرم الله الصادقين بكرامة أعظم من هذا الكشف وجعلهم منقادين له عاملين بمقتضاه .

فإذا انضم هذا الكشف إلى كشف تلك الحجب المتقدمة أي حجب النفس عن قلوبهم سارت القلوب إلى ربها سير الغيث إذا استدبره الريح إلى أن قال : فكشف العلم أن يكون مطابقا لمعلومه . وكشف العيان أن يصير المعلوم مشاهدا للقلوب كما تشاهد العين المرئي . ومن ظن من القوم أن كشف العين ظهور الذات المقدسة لعينه حقيقة فقد غلط أقبح الغلط . وأحسن أحواله أن يكون صادقا ملبوسا عليه . قلت: كالرجل الذي قال فيه الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه : إنه صادق ملبس عليه كما تقدم في الفصول التي قبل هذا الفصل . ثم قال : فإن هذا لم يقع لبشر قط وقد منع كلهم الرحمان ﷺ . وقد اختلف السف والخلف هل حصل لسيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه فالأكثر على أنه لم يره سبحانه وحكاه عثمان بن سعيد الدارمي إجماعا من الصحابة . قلت : قد تقدم في كلام شيخنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه ما سبب الخلاف بين الصحابة في

إثبات الرؤية له ﷺ ونفيها ما يكشف الغطاء عن هذه المسألة ثم قال : فمن ادعى كشف العيان البصري عن الحقيقة الإلهية فقد وهم وأخطأ . وإن قال : إنما هو كشف العيان القلبي بحيث يصير سبحانه كأنه مرئي للعبد كما قال النبي ﷺ : (( أعبد الله كأنك تراه )) فهذا حق وهو قوة يقين ومزيد علم فقط ، نعم قد يظهر له نور عظيم فيتوهم أن ذلك نور الحقيقة وأنها تجلت وذلك غلط أيضا . فإن نور الرب تعالى لا يقوم له شيء . ولما ظهر للجبل منه أدنى شيء ساخ الجبل وتدكدك . وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : { لا تدركه الأبصار } قال ذلك نوره الذي هو رآه إذا تجلى به لم يقم له شيء . وهذا النور الذي يظهر للصادق نور الإيمان الذي أخبر الله عنه في قوله : { مثل نوره كمشكاة فيها مصباح } وقال أبي ابن كعب : مثل نوره في قلب المؤمن فهذا نور يضاف إلى الرب ويقال هو نور الله كما أضافه سبحانه إلى نفسه ، والمراد نور الإيمان الذي جعله الله له خلقا وتكويننا كما قال تعالى : { ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور }؛ فهذا النور إذا تمكن في القلب وأشرق فيه فاض على الجوارح فيرى أثره في الوجه والعين ويظهر في القول والعمل وقد يقوى حتى يشاهده صاحبه عيانا وذلك لاستيلاء أحكام القلب عليه وغيبة أحكام النفس والعين شديدة الارتباط بالقلب تظهر ما فيه فتقوى مادة النور في القلب ويغيب صاحبه بما في قلبه عن أحكام حسه بل وعن أحكام العلم فينتقل من أحكام العلم إلى أحكام العيان . وسر المسألة أن أحكام الطبيعة والنفس وأحكام القلب شيء وأحكام الروح شيء وأنوار العبادات شيء وأنوار استيلاء معاني الصفات والأسماء على القلب شيء ونور الذات المقدسة شيء وراء ذلك كله فهذا الباب يغلط فيه رجلان أحدهما غليظ الحجاب كثيف الطبع



والآخر قليل العلم يلتبس عليه ما في الذهن بما في الخارج . ونور المعاملات بنور رب الأرض والسماوات: { ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور } اهـ . بخ بخ ثم قال في هذا الباب بعد كلام : وإنما غاية ما يصل إليه العارف مزيد إيمان ويقين بحيث يعبد الله كأنه يراه لقوة يقينه وإيمانه بوجوده وأسمائه وصفاته وإن الأنوار اللوامع والبوارق إنما هي أنوار الإيمان والطاعات من الذكر وقراءة القرآن ونحوها وأنوار استغراقه في مطالعة الأسماء والصفات وإثباتها والإيمان بها بحيث يبقى كالمعائن لها فيشرق على قلبه نور المعرفة فيظنه نور الذات والصفات وتقديم بيان السبب الموقع لهم في ذلك وأطال في ذلك . اهـ وقال أيضا : فالمعينة نوعان : معينة بصر ومعينة بصيرة . فالمعينة البصر وقوعه على نفس المرئي أو أمثاله الخارجي كرؤية مثال الصورة في المرآة والماء . ومعينة البصيرة وقوع القوة العاقلة على المثال العلمي المطابق للخارجي فيكون إدراكه له بمنزلة إدراك العين للصورة الخارجة . وقد يقوى سلطان هذا الإدراك الباطن بحيث يصير الحكم له ويقوى استحضار القوة العاقلة لمدرَكها بحيث يراه ويسمع خطابه في الخارج وهو في النفس والذهن لكن لغلبة الشهود وقوة الاستحضار وتمكن حكم القلب واستيلائه على القوى صار كأنه مرئي بالعين مسموع بالأذن بحيث لا يشك المدرك في ذلك ولا يرتاب البتة ولا يقبل عدلا . قلت: وقد اجتمعنا بمن مات له ولد كان يحبه جدا حتى تعلق عليه قلبه بعد موته وفني عن حسه وشعوره واستغرق في استحضاره في ذهنه حتى صار يخاطبه كأنه حي قائم معه ومكث على هذه الحالة مدة حتى بلغ به الحال أن صار يرى الموتى وأهل البرزخ ممن كان يعرفهم قبل ذلك . وقص لنا أموراً لا نطول بذكرها . ثم قال : وليس للعبد

في الحقيقة مشاهدة ولا مكاشفة لا للذات ولا للصفات . أعني مشاهدة عيان وكشف عيان ، وإنما هو مزيد إيمان وإيقان ويجب التنبيه والتنبيه هاهنا على أمر وهو أن المشاهدة نتائج العقائد . فمن كان معتقده ثابتا في أمر من الأمور فإنه إذا صفت نفسه وارتاضت وفارقت الشهوات والرذائل وصارت روحانية تجلى لها صورة معتقدها كما اعتقدته . وربما قوي ذلك التجلي حتى يصير كالعيان وليس به فيقع الغلط من وجهين أحدهما أن ذلك ثابت في الخارج وإنما هو في الذهن ولكن لما صفا وارتاض وانجلى عنه ظلمات الطبع وغاب بمشهوده عن شهوده واستولت عليه أحكام القلب بل أحكام الروح ظن أن ما ظهر له في الخارج أي ظاهر في الخارج ولا تأخذه في ذلك لومة لائم ولو جاءت كل بية في السماوات والأرض ، وذلك عنده بمنزلة من عاين الهلال ببصره جهرة . فلو قال له أهل السماوات والأرض لم يره لم يلتفت إليهم . ولعمر الله إنا لا نكذبه فيما أخبر به عن رؤيته ولكن إنما رأى صورة معتقده في ذاته ونفسه لا الحقيقة في الخارج فهذا أحد الغلطين وسببه قوة ارتباط حاسة البصر بالقلب فالعين مرآة القلب شديدة الاتصال به وينضم إلى ذلك قوة الاعتقاد وضعف التمييز وغلبة حكم الحال على العلم وسماعه من القوم أن العلم حجاب . والغلط الثاني أن الأمر كما اعتقده وأن ما في الخارج مطابق لاعتقاده فيتولد من هذين الغلطين مثل هذا الكشف والشهود . ولقد أخبر صادق الملاحدة القائلين بوحدة الوجود أنهم كشف لهم أن الأمر كما قالوه وشهوده في الخارج كذلك عيانا وهذا الكشف والشهود ثمرة اعتقادهم ونتيجته . فهذه إشارة ما إلى الفرقان في هذا الموضع والله أعلم . وقال أيضا : وحقيقة الأمر أن ذلك كله شواهد وأمثلة علمية نابعة للمعتقد فذلك الذي أدرك بعين القلب

والروح إنما هو شاهد دال على الحقيقة وليس نفس الحقيقة فإن شاهد نور جلال الذات في قلب العبد ليس هو نفس نور الذات الذي لا تقوم له السماوات والأرض فإنه لو ظهر لها لتكدكت وأصابها ما أصاب الجبل وكذلك شاهد نور العظمة في القلب إنما هو نور التعظيم والإجلال لا نور نفس المعظم ذي الجلال والإكرام . وليس مع القوم سوى الشواهد والأمثلة العلمية والدقائق التي هي ثمرة قرب القلب من الرب وأنسه به واستغراقه في محبته وذكره واستيلاء سلطان معرفته عليه والرب أو أنوار ذاته أو صفاته أو أنوار صفاته وإنما هي الشواهد التي تقوم بقلب العبد كما يقوم بقلبه شاهد من الآخرة والجنة والنار وما أعد الله لأهلها وهذا هو الذي وجده عبد الله بن حرام يوم أحد لما قال : واهل لريح الجنة إني أجد ريحها دون أحد. ومن هذا قوله ﷺ (( إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر )) وقوله : (( ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة )) فهو روضة لأهل العلم والإيمان لما يقوم بقلوبهم من شواهد الجنة حتى كأنها لهم رأي عين . وإذا قعد المنافق هناك لم يكن ذلك المكان في حقه روضة من رياض الجنة. ومن هذا قوله : (( الجنة تحت ظلال السيوف )) . فالعمل إنما هو على الشواهد وعلى حسب شاهد العبد يكون عمله . وأطال في ذلك أنظره . قال أيضا في باب اللحظ ونور الكشف عندهم هو مبدأ الشهود وهو نور تجلي معاني الأسماء الحسنى على القلب فتضيء به ظلمة القلب ويرتفع به حجاب الكشف ولا تلتفت إلى غير هذا فنزل قدم بعد ثبوتها فإنك تجد في كلام بعضهم : تجلي الذات تقتضي كذا وكذا وتجلي الصفات تقتضي كذا وكذا وتجلي الأفعال تقتضي كذا وكذا، والقوم عنايتهم بالألفاظ فيتوهم أنهم يريدون تجلي حقيقة

الذات والصفات والأفعال للعيان فيقع من يقع منهم في الشطحات والطامات . والصادقون العارفون براء من ذلك . وإنما يشيرون إلى كمال المعرفة وارتفاع حجب الغفلة والشك والإعراض واستيلاء سلطان المعرفة على القلب بمحو شهود السوى بالكلية فلا شهد القلب سوى معرفه . ينظرون هذا بطلوع الشمس فإنها إذا طلعت انطمس نور الكواكب ولم تعدم الكواكب وإنما غطى عليها نور الشمس فلم يظهر لها وجود وهي موجودة في أماكنها هكذا نور المعرفة إذا استولى على القلب وقوي سلطانها وزالت الموانع والحجب عن القلب ولا ينكر هذا إلا من ليس من أهله . ولا يعتقد أن الذات المقدسة والأوصاف برزت وتجلت للعبد كما تجلى سبحانه للطور وكما يتجلى يوم القيامة للناس إلا غالط فاقدم للعلم . وكثيرا ما يقع الغلط من التجاوز من نور العبادة والرياضة والذكر إلى نور الذات والصفات فإن للعبادة الصحيحة والرياضة الشرعية والذكر المتواطئ عليه القلب واللسان يوجب نورا على قدر قوته وضعفه . وربما قوي ذلك النور حتى يشاهد فيغلط فيه ضعيف العلم والتميز بين خصائص الربوبية ومقتضيات العبودية فيظنه نور الذات وهيئات ثم هيئات نور الذات لا يقوم له شيء . ولو كشف سبحانه وتعالى الحجاب عنه لتدكدك العالم كله كما تدكدك الجبل وساخ لما ظهر له القدر اليسير من التجلي. وفي الصحيح عنه ﷺ أن الله سبحانه لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجاب النور لو كشف لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، فالإسلام له نور والإيمان له نور أقوى منه ، والإحسان له نور أقوى منهما فإذا اجتمع نور الإسلام والإيمان والإحسان وزالت الحجب الشاغلة

عن الله امتلأ القلب والجوارح بذلك النور بالنور الذي هو صفة الرب تعالى فإن صفاته لا تحل في شيء من مخلوقاته كما أن مخلوقاته لا تحل فيه ، فالخالق بائن عن المخلوق بذاته وصفاته ، فلا اتحاد ولا حلول ولا مازجة تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا . اهـ **قلت**: وأبين من هذا كله وأقطع للنزاع عبارة شيخنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه في شرح الهمزية ، فإنه رضي الله قال عند قول الناظم : (( فأصبنا عن قوسها غرض القرب )) إلخ : القرب هنا قربه ﷺ فإن قربه هو عين قرب الحق سبحانه وتعالى بكل وبكل اعتبار فلا تصريح في قيام النيابة ن الله تعالى أصرح من حضرته ﷺ فإن قربه عين الحق سبحانه وتعالى وإن حضرته هي عين حضرة الله تعالى وإن كانت بطريق النيابة فإنها أكبر التصاريح العينية إذ ليس فوق حضرته ﷺ حضرة الله خاصة به إلا حضرة الطمس والعمى التي تقطعت فيها الفهوم والأوهام ومحقت فيها الإشارات والعبارات وتدكدك إدراكات العقول وتمزقت وتشتت فلا علم ولا رسم ولا توهم ولا فهم ولا كيف ولا أين ولا حس إلا الذات بالذات في الذات عن الذات فانمحقت فيها جميع آثار الغير والغيرية ولم يبق إلا الله وحده . وهذه الحضرة انقطعت الطرق إليها عن جميع الخلق فلا سبيل لأحد إليها وليس لأحد الوصول إلى حضرة الله تعالى إلا حضرة النيابة ، وأكبر حضرات النيابة حضرته ﷺ لأنه نائب عن الله بكل وجه وبكل اعتبار بتصريح قوله سبحانه تعالى : { ومن يطع الرسول فقد أطاع الله } . ومعنى ذلك محبة وانقطاعا وتوسلا واعتمادا وانحياشا وأضدادها كفرا وبغضا وعداوة وإرادة شر فكل شيء من ذلك صدر من فاعله إلى الرسول ﷺ فقد صدر منه إلى الله تعالى من كل وجه وكل اعتبار فليس

لأحد من جميع الخلق اتصال بالله تعالى إلا في حضرات النيابة وأكبرها  
حضرته ﷺ فإنها كادت أن تكون عين العين . وأما حضرته جل جلاله التي  
لا وجود فيها للغير والغيرية فلا مطمع لأحد في الوصول إليها من الأزل  
إلى الأبد . قال الشبلي رضي الله عنه وقد سمع منشدا ينشد :

### أسائل عن سلمى فهل من مخبر يكون له علم بها أين تنزل

فقال الشبلي : لا والله ما عنه من مخبر لا في الدنيا ولا في الآخرة .

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى : { إن الذين يبائعونك إنما يبائعون  
الله يد الله فوق أيديهم } . الآية اهـ . قلت : وهذا شيخنا ومولانا أحمد  
التجاني رضي الله عنه الذي شهد له الخاص والعام بالوصول إلى القطبانية  
الكبرى التي ما فوقها إلا النبوة يقول : لا مطمع لأحد في الوصول إلى  
حضرة الله تعالى إلا في حضرات النيابة ، وليس لأحد من جميع الخلق  
اتصال بالله تعالى إلا في حضرات النيابة . فهل ثم كلام يصيغ له ذو  
العقل السليم بعد كلامه الذي ما وراءه من وراء ؟ وماذا بعد الحق إلا  
الضلال . قال في الفتوحات : اعلم أن ذات الحق تعالى لا يعلمها أحد من  
خلق الله تعالى ، فهو وراء كل معلوم . وفيه أيضا : ما حرم النظر بالفكر  
في ذات الله إلا لكون ذلك لا يؤدي صاحبه إلى معرفة الحقيقة كما يعرف  
ذلك كل ذي عقل سليم . وفيه أيضا : ما سمى الحق تعالى نفسه بالباطن إلا  
لبطون العلم بالذات عن جميع الخلق دنيا وأخرى . اهـ ونقل سيدنا الحاج  
مالك رضي الله عنه في الإفحام عن الشعراني رضي الله عنه ما نصه :  
ليس بين أهل الكشف جدال في شيء أي في أخباره الصفات . ثم قال :

**لا يعلم الله إلا الله فاتنؤوا والدين دينان إيمان وإشراك**

**وللعقول حدود لا يجاوزها والعجز عن درك الإدراك إدراك**

وهذا معنى قول الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه : والعجز عن الإدراك إدراك . أي إذا انتهى علمك إلى أن تعلم العجز عن معرفته فقد عرفت الحق . وقال الصديق أيضا : سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا إلى معرفته إلا العجز عن معرفته . وقد قيل :

**حقيقة المرء ليس المرء يدركها فكيف معرفة الجبار في القدم . اهـ**

من الإفحام لسيدنا الحاج مالك رضي الله عنه . وفي الحديث مرفوعا: أن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار والملا الأعلى يطلبونه كما يطلبونه . رواه الترمذي . قال محيي الدين : قد تكون المعرفة بالشيء هي العجز عن المعرفة به فيعرف العارف أن هذا المطلوب لا يعرف وليس الغرض من المعرفة لشيء إلا أن يتميز من لا يعرف بكونه لا يعرف فحصل المقصود . اهـ فإذا كان هذا كله في أحكام السلوك التي هي من أحكام الروح والسر والقلب الذي ورد فيه حديث (( ما وسعتني )) إلخ فما ظنك بالذوات والأجسام التي ينعدم بعضها في الحال بشهود بعض الأجسام الغريبة غير المجانس لها كما قيل : إن الله تعالى خلق عجائب في أعالي الهند وأقاصي بلاد الصين وجزائرها أناسا إذا أبصروا أحدا منا خروا لوجوههم ميئين ولو أبصر واحد منهم صورة أحدهم لانشقت مرارته خيفة منه وفي القصر المشيد خلق لا يقع بصر أحد منا عليهم إلا ترامى عليهم فمات لوقته ، ولقد ربطوا إنسانا بجبال وثيقة وقالوا له انظر ونحن نمسك الحبال فنظر إليهم فتمزق من الجبال ونزل إليهم قطعاً قطعاً .

وحديث بدء الوحي مشهور فإن رسول الله ﷺ مع قوته وشهامته لما رأى الملك أولاً بحراء قاعداً على كرسي بين السماء والأرض وله صوت هائل امتلأ منه رعباً وهوى من الجبال إلى الأرض وجاء إلى بيت خديجة رضي الله تعالى عنها وهو يقول: زملوني زملوني. ومعلوم أيضاً أن عامة البشر لا تطيق أن ترى الملائكة بأعيانهم وصفاتهم في صورهم فضلاً عن أخذ الكلام عنهم وإنما يستأنس الجنس بالجنس. ولا عجب أن يفرع الأدمي من صورة الملك الذي يسد الخافقين بنشر جانح واحد قاله الشعراني في بابا حكمة كون الرسل عليهم السلام من بني آدم من اليواقيت. انظر إلى رسول الله ﷺ لما طلع له جبريل في جبل النور بصورته التي جبل عليها فسد الأرض من المغرب إلى المشرق وملاً الأفق كيف خر ﷺ كما خر موسى عليه السلام في جبل الطور فنزل جبريل في صورة الأدميين فضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه. قال الشيخ إسماعيل حقي: وذلك فإن الجسد وهو في الدنيا لا يتحمل رؤية ما هو خارج عن طور العقل فمنها رؤية الملك على صورته التي جبل عليها وأعظم منها رؤية الله تعالى في هذه الدار. اهـ قيل: ما رآه أي جبريل عليه السلام أحد من الأنبياء في صورته غير نبينا ﷺ فإنه رآه فيها مرتين في الأرض ومرة في السماء ليلة المعراج لأنه عليه السلام كان يتمثل للأنبياء عليهم السلام كلما هبط للوحي بصورة الأدميين كصورة دحية أمير العرب وكما أتى إبراهيم عليه السلام في صورة الضيف وداود عليه السلام في صورة الخصم وروي أن حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: يا رسول الله، أرني جبريل في صورته. فقال: إنك لا تستطيع أن تنظر إليه، قال بلى يا رسول الله أرنيه فقعد ونزل



جبريل عليه السلام على خشبة في الكعبة كان المشركون يضعون ثيابهم عليها إذا طافوا فقال عليه السلام : ارفع طرفك يا حمزة فرفع عينيه فإذا قدماه كالزبرجد الأخضر فخر مغشيا عليه . **قلت** : وكيف يرى عاقل هذه النقول في عجز البشر عن رؤية الملائكة حتى أكابر الأنبياء عليهم السلام ويجوز شرعا وقوع رؤية الباري في الدنيا بالأبصار كرامة لولي ما من الأولياء وهو يقرأ كل يوم : { لا يكلف الله نفسا إلا وسعها } ؟ ومعلوم أن بداية النبوة نهاية الولاية وإن جلت كما تقدم . فإن قلت : قد علمنا مراد القوم الآن بالمشاهدة والمعرفة فما الفرق بين الرؤية وبين الشهود الذي تقول به الطائفة ؟ فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين في **الفتوحات** : إن الرؤية لا يتقدمها علم بالمرء أبدا والشهود يتقدمه علم بالمشهود وهو المسمى بالعقائد ولهذا يقع الإقرار والإنكار في الرؤية يوم القيامة لأنهم رأوا من لم يتقدم لهم به علم بخلاف الشهود فإنه لا يكون فيه الإقرار والإنكار . وإيضاح ذلك أن الشاهد ما سمي شاهدا إلا لكون ما رآه يشهد بصحة ما اعتقده . قال تعالى { أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه } أي يشهد له بصحة ما اعتقده . قال : ومن هنا سأل موسى الرؤية بقوله : { أرني أنظر إليك } . وما قال أشهدني لأنه تعالى كان مشهودا له ما غاب عنه . وكيف يغيب عن رسول كريم ولا يغيب عن الأولياء ؟ فما طلب موسى إلا الرؤية الخاصة بالأنبياء في الآخرة ليجعلها الله تعالى له في الدنيا حين طلب مقامه ذلك . وأما شهوده الحق تعالى مثل ما يشهده الأولياء فذلك حبة أي عطية وزينة من حيث مقام ولايته . اهـ وقال أيضا في كتاب **اللوائح والأنوار** من الفرق بين الرؤية والشهود أن الشهود هو ما تمسكه في نفسك من شاهد الحق المشار إليه بحديث (( اعبد الله كأنك

تراه )) فقله كأنك تراه هو شاهد الحق الذي أقمته في نفسك كأنك تراه . وهذه درجة التعليم ثم يرتقي منها إلى درجة الخصوص وهي علمك بأن الله يراك ولا تراه وذلك لأنك ضبطت شهوده تعالى في قلبك عند صلاتك مثلا في جهة القبلة فقد أخليت شهودك عن بقية الوجود المحيط بك وإذا تحققت بذلك علمت عجزك عن الإحاطة به تعالى لأنك مقيد وهو تعالى مطلق وأنت ضيق وهو تعالى واسع وحينئذ تبقى مع نظرة الحق إليك لا مع نظرك أنت إليه لأن نظرك يقيده ويحدده وهو المنزه عن القيود والحدود فإذا الشهود له المعرفة والرؤية لها الكشف التام. اهـ بنقل الشعراني رضي الله عنه . فإن قيل : فما علامة صدق من يرى الله تعالى بقلبه في هذه الدار على الكشف القلبي ؟ فالجواب علامته أن يراه من سائر الجهات الست من غير ترجيح لإحدى الجهات على بعضها . قال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في الفتوحات : وقد ذقنا هذا المقام والله الحمد . قال: وكذلك رؤية أهل الجنة في الجنة إذا رأوه بأبصارهم تكون الرؤية مطلقة لا تتقيد بجهة . اهـ وقال في الفتوحات أيضا : اعلم أن من علامة صدق من يدعي أنه يشاهد الحق تعالى أنه إذا عكس مرآة قلبه إلى الكون يعرف ما في ضمائر جميع الخلق ويصدق الناس على ذلك الكشف . اهـ . وقال أيضا في باب الأسرار: إذا عوين الحق تعالى فلا يعاين إلا من حيث العلم والمعتقد والله أجل وأعلى من أن يحاط بذلته . اهـ **قلت** : وقد تقدم أن المعاين والمرئي في القلوب للسالكين شواهد نور جلال الذات ليس هو نفس نور الذات الذي لا تقوم له السموات والأرض . اهـ فإذا فهمت ما ذكرناه من أول الفصل إلى هنا فالعلم أن العارف عند القوم لا العارف عند جهلة بلادنا كما ذكره في شرح المنازل من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ثم صدق الله

في معاملاته ثم أخلص له في قصوده ونياته ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته ثم تطهر من أوساخه وأدرانته ومخالفاته ثم صبر على أحكام الله في نعمه وبلياته ثم دعا إليه على بصيرة بدينه وآياته ثم جرد الدعوة إليه وحده بما جاء به رسوله ولم يشبها بأراء الرجال وأذواقهم ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم ولم يزن بها ما جاء به الرسول عليه من الله أفضل صلواته فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة وإذا سمي به غيره فعلى الدعوة والاستعارة . اهـ

وقال ابو قاشم القشيري في رسالته : العارف من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى في معاملاته ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظي من الله تعالى بجميل إقباله وصدق الله تعالى في جميع أحواله وانقطع عنه هواجس نفسه ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعو إلى غيره فإذا صار من الخلق أجنبيا ومن آفات نفسه بريئا ومن المساكنات والملاحظات نقيا دام في السر مع الله تعالى مناجاته وحق في كل لحظة إليه رجوعه وصار محدثا من قبل الحق سبحانه بتعريف أسرارهِ فيما يجريه من تصاريف أقداره يسمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة . وبالجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه عز وجل . وسئل الجنيد رضي الله عنه عن العارف فقال : لون الماء لون إنائه . وهذه كلمة رمز بها إلى حقيقة العبودية وهو أن يتلون بتلون أقسام العبودية . فبينما تراه مصليا إذ رأيتَه ذاكرا أو قارئا أو معلما أو متعلما أو مجاهدا أو حاجا أو مساعدا للضعيف أو مغنيا للملهوف فيضرب في كل غنيمة من الغنائم بسهم ، فهو مع المتسببين متسبب ومع

المتعلمين متعلم ومع الغزاة غاز ومع المصلين مصل ومع المتصدقين متصدق فهو ينتقل في منازل العبودية من عبودية إلى عبودية هو مقيم على معبود واحد لا ينتقل عنه إلى غيره . اهـ ومن علامات العارف أنه لا يطالب ولا يخاصم ولا يعاتب ولا يرى له على أحد فضلا ولا يرى له على أحد حقا . ومن علاماته أنه لا يأسف على فائت ولا يفرح بآت لأنه ينظر إلى الأشياء بعين الفناء والزوال لأنها في الحقيقة كالظلال والخيال .

**قلت:** المراد بالفناء الفناء عن شهوده وإرادته لا الفناء عن وجوده الذي هو فناء الملاحدة كما سيأتي بيانه إن شاء الله في أقسام الفناء . قال الجنيد : لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالأرض يطؤها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب . وقال يحيى بن معاذ : يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيئين : بكائه على نفسه وثنائه على ربه . وقال شيخ الإسلام: وهذا من أحسن الكلام فإنه يدل على معرفته بنفسه وعيوبه وآفاته وعلى معرفته بربه وكماله وجلاله فهو شديد الإزراء على نفسه وعيوبه لهج بالثناء على ربه . وقيل لعبد الله بن المبارك: بماذا نعرف ربنا ؟ فقال : بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه . قال شيخ الإسلام: فأتى عبد الله بأصل المعرفة التي لا يصح لأحد معرفة ولا إقرار بالله سبحانه إلا به وهو المبينة والعلو على العرش أي خلاف ما يعتقد الملاحدة في الله تعالى كما سنبينه لك إن شاء الله تعالى في أقسام الفناء الآتية . وقيل: العارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول . يعني أن العالم علمه أوسع من حاله وصفته والعارف حاله وصفته فوق كلامه وخبره . وقيل للجنيد : إن قوما يدعون المعرفة يقولون إنهم يصلون

بترك الحركات من باب البر والتقوى . فقال الجنيد : هذا قول أقوام تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندي عظيم ، والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا . إن العارفين أخذوا الأعمال عن الله وإلى الله رجعوا فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بيني وبينها . وقال ذو النون : علامة العارف ثلاثة لا يطفى نور معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطنا من العلم ينقضه عليه ظاهر من الحكم ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارم الله . قال شيخ الإسلام : وهذا من أحسن الكلام الذي قيل في المعرفة وهو محتاج إلى شرح فإن كثيرا من الناس يرى أن التورع عن الأشياء من قلة المعرفة متسعة الأكناف واسعة الأرجاء ، فالعارف واسع موسع والسعة تطفى نور الورع . قال : الذي يقوله هؤلاء باطل لأن العارف لا تنقص معرفته ورعه ولا يخالف ورعه معرفته كما قال بعض الملاحدة القائلين بوحدة الوجود أعاذنا الله من زيغهم وضلالهم من أن العارف لا ينكر منكرا لاستبصاره بسر الله في القدر ، فعنده أن مشاهدة القدر والحقيقة الكونية هو غاية المعرفة وإذا شاهد الحقيقة أعذر الخليفة لأنهم مأسورون في قبضة القدر . قال شيخ الإسلام : فمن يعذر أصحاب الكبائر والجرائم بل أرباب الكفر فهو أبعد خلق الله عن الورع بل ظلام معرفته قد أطفأ نور إيمانه . ولنرجع إلى شرح كلام ذي النون رضي الله عنه . قوله : باطن من العلم الذي ينقضه ظاهر من الحكم . فإنه يشير به إلى ما عليه المنحرفون ممن ينسب إلى السلوك فإنهم يقع لهم أنواع ومواجيد وواردات تخالف الحكم الشرعي ، تلك معلومة لهم لا يمكنهم جحدها فيعتقدونها ويتركون ظاهر الحكم وهذا كثير جدا وهو

الذي نفاه أئمة الطريق على هؤلاء وصاحوا بهم من كل ناحية وبدعواهم وضللوهم . قوله : ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارم الله . كثرة النعم تطغي العبد وتحمله على أن يصرفها في وجوهها وغير وجوهها وهي تدعو إلى أن يتناول العبد بها ما يحل وما لا يحل وأكثر المنعم عليهم لا يقتصر في صرف النعمة على القدر الحلال بل يتعداه إلى غيره وتسول له نفسه أن معفرته بالله ترد عليه ما انتهت منه أيدي الشهوات والمخالفات ويقول : العارف لا تضره الذنوب كما تضر الجاهل وربما يسول له أن ذنوبه خير من طاعات الجاهل وهذا من أعظم المكر . والأمر بضد ذلك . فيحتمل من الجاهل ما لا يحتمل من العارف . وإذا عوقب الجاهل ضعفا عوقب العارف ضعفين وقد دل على هذا شرع الله وقدره . ولهذا كانت عقوبة الحر في الحدود مثلي عقوبة العبد . وقال تعالى في نساء النبي ﷺ { يا نساء النبي من يأت منكم بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين } فإذا كملت النعمة على العبد فقابلها بالإساءة والعصيان كانت عقوبته أعظم . فدرجته أعلى وعقوبته أشد . قلت : قال في روح البيان قال في الأسئلة المفحمة : ما وجه تضعيف العذاب لزوجات النبي عليه السلام؟ الجواب لما كان فنون نعم الله عليهن أكثر وعيون فوائده لديهن أظهر من الاكتحال بميمون غرة النبي عليه السلام وترداد الوحي حجراتهن بإنزال الملائكة فلا جرم كانت عقوبتهن عند مخالفة الأمر من أعظم الأمور وأفخمها ، ولهذا قيل : إن عقوبة من عصى الله تعالى على العلم أكثر من عقوبة من يعصيه عن الجهل وعلى هذا أبدا وحد الحر أعظم من حد العبد والمحصن أعظم من حد غير المحصن لهذه الحقيقة . اهـ ثم قال :

والحاصل أن الذنب يعظم بعظم جانيه وزيادة قبحه تابعة لزيادة شرف المذنب والنعمة . فلما كانت الأزواج المطهرات أمهات المؤمنين وأشرف نساء العالمين كان الذنب منهن أقبح على تقدير صدور عاقبة الأقبح أشد وأضعف . وأطال في ذلك . اهـ ثم قال في شرح المنازل عند قوله: تمكن العارف فوق السالك ولا يفارقه السلوك لكنه مع السلوك قد ظفر بالمعرفة فأخذ منها اسما أخص من اسم السالك وهكذا الشأن في سائر المقامات والأحوال فإنها لا تفارق من ترقى فيها ولكن إذا ترقى إلى مقام أخذ اسمه وكان أحق به مع ثبوت الأول له ثم قال: والحضرة يراد بها حضرة الجمع ، وعندني أنها حضرة دوام المراقبة والتمكن من مقام الإحسان هذه حضرة الأنبياء والعارفين . وأما حضرة الجمع التي يشيرون إليها فكل فرقة تشير إلى شيء . فأهل الفناء يريدون حضرة جمع الوجود في وجود واحد كما سيأتي لك بيانه إن شاء الله في أقسام الفناء . وطائفة من السالكين يريدون حضرة جمع الأسماء والصفات في ذات واحدة . وإذا فسرت بحضرة دوام المراقبة والتمكن في مقام الإحسان كان ذلك أحسن وأصح . وصاحب هذه الحضرة لدوام مراقبته قد انقضت عنه سحب الغفلات ولم تشغله عن تلك الحضرة الشواغل الملهيات ثم قال قوله: فوق حجب الطلب . يعني أن العارف قد ارتفع عن مقام الطلب للمعرفة إلى مقام حصولها والطالب للأمر من دون الواصل إليه فالطالب بعد في حجاب طلبه والعارف قد ارتفع فوق حجاب الطلب بما شاهده من الحقيقة ، فالطالب شيء والواجد شيء . ثم قال : وهذا كلام يحتاج إلى شرح وبيان . فإن الطلب لا يفارق العبد ما دامت أحكام العبودية تجري عليه ولكن هو متنقل في منازل الطلب

ينتقل من عبودية إلى عبودية والمعبود واحد جل وعلا لا ينتقل عنه فكيف تجرد المعرفة عن الطلب ؟ هذا موضع زلت فيه أقدام وضلت فيه الأفهام وظن المخدوعون المغرورون أنهم استغنوا بالمعرفة عن الطلب وأن الطلب وسيلة والمعرفة غاية ولا معنى بالوسيلة بعد الوصول إلى الغاية فهؤلاء خرجوا عن الدين بالكلية بعد أن شمروا في السير فيها فردوا على أديبارهم ونكصوا على أعقابهم ولم يفهموا مراد أهل الاستقامة بذكر حجب الطلب ثم قال: واعلم أن كل ما منك حجاب على مطلوبك فإن وقفت معه فأنت دون الحجاب وإن قطعته إلى تجريد المطلوب صرت فوق الحجاب فطلبك وإرادتك وتوكلك وحالك وعلمك كله حجاب إن وقفت معه أو ركنت إليه وإن جاوزته إلى الذي أنت به وله وفي يديه وتحت تصرفه ومشيتته وليس لك ذرة واحدة إلا به ومنه ولم تقف مع طلبك في إرادتك فقد صرت فوق حجاب الطلب ففي الحقيقة أنت حجاب قلبك عن ربك فإذا كشفت الحجاب عن القلب أفضى إلى الرب ووصل إلى الحضرة المقدسة . وقولنا : إذا كشفت الكاشف له : { فإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو } . ومن أعظم الضر حجاب القلب عن الرب وهو أظم عذابا من الجحيم . قال تعالى: { كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم } ثم قال وقوله: لا بسا نور الوجود . المعنى الصحيح من هذه اللفظة أن نور الوجود نور ظفره بإقبال قلبه على الله عز وجل وجمع همه عليه وفنائه بمراد ربه عن مراد نفسه فصار واجدا لما أكثر الخلق فاقد له قد لبس قلبه نور ذلك الوجود حتى فاض على لسانه وجوارحه وحركاته وسكناته فإن نطق علاه النور وإن سكت علاه النور وأخص من هذا أنه قد فاض على قلبه نور



اليقين بالأسماء والصفات فصار لقلبه من معرفتها والإيمان بها وذوق حلاوة ذلك نور خاص غير مجرد نور العبادة والإرادة والسلوك ، ثم قال: وإياك أن تلتفت إلى غير هذا: { فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله } ثم قال : وليس مراد الشيخ بالوجود ما يريده المتكلمون والفلاسفة ولا ما يريده الاتحادية الملاحدة وإنما مراده به الوجدان بعد الفقد كما يقال فلان واجد وفلان فاقده والله أعلم . اهـ **قلت** : ويؤيد كلامه ما في الرسالة للقشيري رضي الله عنه ونصه : سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول في معنى قوله ﷺ: (( إنه ليغان - أي يغطي - على قلبي حتى استغفر الله تعالى في اليوم سبعين مرة )) أنه كان ﷺ أبدا في الترقى من أحواله فإذا ارتقى من حالة إلى حالة أعلى مما كان فيها فربما حصل له ملاحظة إلى ما ارتقى عنها فكان يعدها غينا بالإضافة إلى ما حصل فيها فأبدا كانت أحواله في التزايد ومقدورات الحق سبحانه من الألفاظ لا نهاية لها فإذا كان حق الحق تعالى العز وكان الوصول إليه بالتحقيق محالا فالعبد أبدا في ارتقاء أحواله فلا معنى يوصل إليه إلا وفي مقدوراته سبحانه ما هو فوقه يقدر أن يوصل إليه وعلى هذا يحمل قولهم: حسنات الأبرار سيئات المقربين . اهـ قال الشيخ طاهر أفندي الجزائري في **الجواهر الكلامية** : فإن قيل هل يبلغ الولي درجة النبي ؟ وهل يصل إلى حال تسقط عنه التكليف عندها ؟ فالجواب: لا يبلغ الولي درجة نبي من الأنبياء أصلا ولا يصل العبد ما دام عاقلا بالغا إلى حيث يسقط عنه الأمر والنهي ويباح له ما شاء . ومن زعم ذلك كفر وكذلك يكفر من زعم أن للشريعة باطنا يخالف ظاهرها المراد بالحقيقة ، فأول النصوص القطعية وحملها على غير ظواهرها كمن زعم أن

المراد بالملائكة القوى العقلية وبالشياطين القوى الوهمية . اهـ ويؤيد كلامه هذا أيضا ما في الفتوحات ونصه قوله تعالى: { وما علمناه الشعر وما ينبغي له } أن الشعر محل الإجمال واللغز والرمز والتورية أي ما رمزنا لمحمد ﷺ ولا لغزنا ولا خاطبناه بشيء ونحن نريد شيئا آخر ولا أجملنا له الخطاب بحيث لم يفهمه . اهـ من الكبريت الأحمر للشعراني . قلت : حيث سمعت علم الباطن من كلام المحققين من القوم فمرادهم به كما في البغية علم الباطن الذي هو زبدة علم الظاهر ونتيجة العمل على الوجه الأكمل من إيقاعه غير مشوب بالحظوظ والعلل ولهذا قال إمام الطائفة : علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة ردا على من توهم خروجه عنهما ، ومعنى كونه مشيدا على الكتاب والسنة أنه نتيجة عن العمل بهما قاله الشيخ محيي الدين رضي الله عنه ثم قال : وبذلك يفرق بينه وبين ما يظهر لأرباب النواميس الحكيمة وهو المسمى بعلم المكاشفة الآتي ذكره أيضا وسمي به أن صاحبه يكشف من المعرفة بالله تعالى وبأسمائه الحسنی وصفاته العلیا بما لا تدركه العقول ولا يتأتى عليه المقول وهو أعلى الدرجات في التوحيد لأنه أي التوحيد إما تقليدي وهو توحيد العوام وإما نظري وهو توحيد أهل النظر من علماء الظاهر القاصرين عن مرتبة أهل الأذواق العرفانية وإما كسفي شهودي وهو توحيد العارفين بالله تعالى ، وهذا العلم هو النوع الثاني من نوعي علم الظاهر و الباطن وهو نتيجة العمل بالنوع الأول الذي هو علم المعاملات في الظاهر والباطن كما أن علم المعاملات نتيجة علم الظاهر . اهـ قلت : فلا يغرنك ما تسمعه من المسمى بالعلماء في بلادنا من أن علم الباطن هو علم الخواص وأسرار الحروف والأسماء والطلسمات ويسمون

غيره من العلم الظاهر مع أن غالبهم لا يعرف ما وجب عليه من التوحيد العام وفرائض الأعمال فضلا عن غيره . اهـ ثم قال في اليواقيت: اعلم يا أخي أن من ارتفع حجابيه يرتفع عنه التحجير لأنه حينئذ لا يرى فاعلا إلا الحق وحده ولا قائل بذلك من أهل السنة والجماعة . وقول بعض العارفين : أن السالك يصل إلى مقام يرتفع عنه التكليف مراده بهذا التكليف ذهاب كلفة العبادة فلا يصير يمل منها بل ربما تلذذ بفعل ما كانت نفسه تتصعب لفعله قبل ذلك ، ثم قال : وقد مكثت أنا في هذا المقام لا أتكلف لأشق العبادات ثم كشف لي من نقص ذلك المقام لما يصاحبه من هوى النفس فتبت منه وصرت لا أتى بعبادة إلا بمشقة وكلفة كأني حامل جبلا وذلك لما فيها من الآداب والمشاهد التي كلفنا بها فيها وكنت قبل ذلك لا أتكلف لها كما لا أتكلف لخروج النفس من أنفي ودخوله وذلك أني رأيت الله عز وجل يقول لمحمد ﷺ : { فإذا فرغت فانصب } أي إذا فرغت من عمل متعب فانصب في عمل آخر متعب وهذا أمر لا يذوقه إلا من سلك الطريق فإن الراحة من التكليف ونحن مطالبون بالإقبال على الله تعالى في كل نفس ، وأطال في ذلك ثم قال بعد كلام : فعلم أن الله تعالى لا يحرم شيئا أو يحبه على السنة رسله ثم يبيحه لأحد من أوليائه أبدا لأن الله تعالى قد راعى شرعه الظاهر وجعله مردا للناس كلهم فلا ينسخ الشريعة إلا من جاء بها من بعده من الرسل ، ونبينا آخر الرسل وليس لشرعنا ناسخ . اهـ وعبارته في لطائف المنن : ولا ناسخ لأمره ﷺ بعده إلى قيام الساعة حتى إن عيسى عليه السلام إذا نزل لا يحكم إلا بشريعة محمد ﷺ كما ورد . اهـ ثم قال: وقد ذكر الشيخ محيي الدين رضي الله عنه أنه لا يجوز لولي قط المبادرة

إلى فعل معصية أطلع من طريق كشفه على تقديرها عليه كما أنه لا يجوز لمن كشف له أنه يمرض في اليوم الفلاني من رمضان أن يبادر للفطر في ذلك اليوم بل يجب عليه الصبر حتى يلتبس بالمرض لأن الله تعالى ما شرع الفطر إلا مع التلبس بالمرض أو غيره من الأعذار . قال وهذا مذهبنا ومذهب المحققين من أهل الله عز وجل . اهـ وقال في لطائف المنن : كان الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه يقول : لو كشف لولي أن فلانا لا بد أن يزني بفلانة أو يشرب الخمر مثلا وجب عليه النهي لأن نور الكشف لا يطفئ نور الشرع غايته أن الله تبارك وتعالى أطلع بعض أوليائه على تقديره على عبده وجميع ما أوجب سبحانه وتعالى علينا أن ننهي عنه كله من تقديره بإجماع أهل السنة فالإيمان بأن ذلك من تقدير الله تعالى أو مشاهدته من طريق الكشف لا يسقط الأمر بالمعروف لأن الله تبارك وتعالى قد تعبدنا بإزالة المنكرات ولو شهدنا بكشفنا أنها بإرادته وخلقته تعالى . اهـ وفي كلام الشيخ أبي المواهب الشاذلي رضي تعالى عنه: إياك أن تخرق سور الشرع يا من لم يخرج عن عادة الطبع فإن الذي أشهدك أن كل شيء في الوجود خلقه هو الذي أمرك بإزالة المنكر. ثم قال : فعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يخالف التسليم لله تبارك وتعالى فالعبد يسلم لربه تعالى من حيث تقديره على عباده ويقوم بما كلف به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . اهـ ثم قال فإن قيل: فإذا اطلع الولي على أن الله لا يؤاخذ على ذلك الذنب هل له الإقدام عليه ؟ فالجواب لا يجوز له ، على أن الاطلاع على عدم المؤاخذة ليس بواقع أصلا وإن كان ذلك جائزا عقلا ذكره الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في باب أسرار

الصوم من الفتوحات . ثم قال : ويؤيد ما ذكرناه من بقاء اسم المعصية على جميع المكلفين قوله ﷺ لعمر في قصة أهل بدر رضي الله عنهم: (( ما يدريك أن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم )) فإنه لم يقل أبحت لكم وإنما قال غفرت لكم يعني ذلك الذنب فأبقاه على تحريمه والمغفرة لا ترد إلا على ذنب فافهم . ثم قال : وقد سئل أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه عن قوم يقولون بإسقاط التكاليف ويزعمون أن التكاليف إنما كانت وسيلة إلى الوصول وقد وصلنا فقال رضي الله تعالى عنه: صدقوا في الوصول ولكن إلى سقر والذي يسرق ويزني خير ممن يعتقد ذلك . ولو أنني بقيت ألف عام ما نقصت من أورادي شيئاً إلا بعذر شرعي اهـ وقال في شرح المنازل : فكأنهم جعلوا السير إلى الله تعالى بمنزلة السير إلى بيته فقالوا : الناس ثلاثة طالب للسفر ومسافر في الطريق وواصل إلى البيت . قال: وهذا موضع زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام ولا بد من تحقيقه فنقول وبالله التوفيق: هذا المثال غير مطابق فإن الوصول إلى البيت هو غاية الطريق فإذا وصل فقد انقطعت طريقه وانتهى سفره وليس كذلك الوصول إلى الله فإن العبد إذا وصل إلى الله جذبته سيره وقوي سفره فعلاحة الوصول إلى الله الجد في السير والاجتهاد في السفر . قلت: وقد تقدم مثله في تفسير حديث (( إنه ليغان )) الخ . ثم قال: وهذا الموضع هو مفرق الطريق بين الموحدين والملحدين فالملحد يقول السفر وسيلة والاشتغال بالوسيلة بعد الوصول إلى الغاية بطالة ومتى وصل العبد سقطت عنه أحكام السفر وصار كما قيل :

**فألفت عصاها واستقر به النوى      كما قرعنا بالإياب المسافر**

ثم قال : ودعي بعض هؤلاء إلى الصلاة وقد أقيمت فقال :

### يطالب بالأوراد من كان غافلا فكيف بقلب كل أوقاته ورد

وقيل لمحمد آخر منهم : ألا تصلي؟ فقال: أنتم مع أورادكم ونحن مع وارداتنا . وهؤلاء هم الذين صاح عليهم أئمة الطريق وأخرجوهم من دائرة الإسلام. وقال بعضهم: نعم وصلوا ولكن إلى الشيطان لا إلى الرحمان. وقال آخر: وصلوا ولكن إلى سقر . فكل واصل إلى الله فهو طالب له وسالك في طريق مرضاته . اهـ فالحاصل أن العبد لا يزال في الطريق حتى يلحق بالله تعالى ، قال الله تعالى لرسوله { واعبد ربك حتى يأتيك اليقين } . وقال أهل النار: { وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين } واليقين هاهنا الموت بإجماع أهل التفسير . وفي الصحيح في قصة موت عثمان بن مظعون رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (( أما عثمان فقد جاءه اليقين من ربه )) . أي الموت وما فيه فلا ينفك العبد من العبودية ما دام في دار التكليف بل عليه في البرزخ عبودية أخرى لما يسأله الملكان من كان يعبد وما يقول في رسول الله ﷺ ويلتمسان منه الجواب وعليه عبودية أخرى يوم القيامة يوم يدعو الله الخلق كلهم إلى السجود فيسجد المؤمنون ويبقى الكفار والمنافقون لا يستطيعون السجود فإذا دخلوا دار الثواب والعقاب انقطع التكليف هناك وصارت عبودية أهل الثواب تسبيحا مقرونا بأنفاسهم لا يجدون له تعباً ولا نصباً. ومن ظن أنه يصل إلى مقام يسقط عنه العبودية فهو زنديق كافر بالله ورسوله وإنما وصل إلى مقام الكفر بالله والانسلاخ من دينه ، وكلما تمكن العبد في منازل العبودية كانت عبوديته أعظم والواجب عليه منها أكثر من الواجب على من دونه ، ولهذا كان الواجب على رسول الله ﷺ بل على الرسل أعظم من الواجب على أممهم . والواجب على أولي العزم أعظم من الواجب على من دونهم . والواجب على أولي العلم أعظم ممن الواجب على من دونهم وكل أحد بحسب مرتبته . اهـ من مدارك السالكين بلفظه . قلت:

وهذا كله في معرفة خاصة الخاصة التي يتكلم عليها القوم. وأما المعرفة الخاصة فهي لخاصة المؤمنين فهي عبارة عن الجزم الموافق للواقع عن دليل . فهذه فوق معرفة عامة المسلمين المشار إليها في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه لما قال له ﷺ: (( إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله فإذا هم عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة )) . فجعلهم عارفين بالله قبل إتيانهم بفرض الصلاة والزكاة بل جعلهم في أول أوقات دخولهم في الإسلام عارفين بالله ولا ريب أن هذه المعرفة ليس كمعرفة المهاجرين والأنصار . فالناس متفاوتون في درجات المعرفة . قلت : فإذا علمت هذا وفهمته علمت أن هذه الطائفة الإلحادية الدرهملية (١) الضالة المضلة التي ظهرت في أيامنا التي هي آخر فقرة من فقرات عظام الذنب ما شمت للمعرفة الخاصة التي هي الجزم الموافق للواقع عن دليل رائحة ولا رأوا لها سانحة ولا بارحة ، وبينهم وبين معرفة خاصة الخاصة التي يتكلم عليها القوم بعد المشرقين . فلو أنهم لما عجزوا عن الوصول إلى معرفة باطن كلام أهل الله وقفوا مع ظاهر كلام المتكلمين. والنفس كما قال الشعراني تجد القوة في اعتقاد ما عليه الجمهور دون ما عليه أهل الكشف لقلّة سالكي طريقهم اهـ : { فإن لم يصبها وابل فطل } { فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم } تراهم يجادلون فيما ليس لهم به علم ويقولون ما لا يفعلون وهم يقرؤون كل يوم قلّه تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون } وإذا دعوت واحدا منهم إلى الصلاة يقول لك : أنا عارف ، وإنما خوطب بالصلاة أنتم المحجوبون. وربما قرأ عليك قوله تعالى : { يا أيها

(١) - قوله : الدرهملية نسبة إلى كلمة دَرَهْمُلٌ وهي ولوفية ومعناها في العربية لا شيء موجود ، ومثلها دَرَهَائِلٌ ومعناها لا شيء محرم أو ممنوع . وقد اشتهرت هاتان الكلمتان من عند هذه الطائفة فنسبت إليهم فيقول الناس في حقهم هذا دَرَهْمُلِيٌّ أو دَرَهَائِلِيٌّ ونحو ذلك .

الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون { . ولسان حال الحضرة الإلهية ينشد عليه :

**أيها المعرض عنا إن إعراضك منا  
لو أردناك جعلنا كل ما فيك يردنا**

وإذا نهيته عن المنكر يقول لك : هذا منكر في حق أمثالك من المحبوبين لا في حقنا نحن . وإذا تكلمت معه كالعاقل مع مثله يقول لك: ليس ثم إلا الله ولا موجود إلا الله . وإذا خلا بمالك أو غفلت عنه يختطفه قائلاً: لا مالك إلا الله ولا شيء إلا الله ولا أم ولا أب ولا هذا ولا ذاك . يشير لك إلى فناء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود . وربما أنشد لك : ألا كل شيء ما خلا الله باطل الخ. قلت : فهل هو باطل في الوجود فتشهدون على أنفسكم بالإلحاد والزندقة فتصيرون من ورثة دين ميمون بن ديمان الثنوي والحسن بن أحمد الصباح الرازي أم هو باطل في الشهود وفيه أيضا ما فيه كما سنبينه إن شاء الله في أقسام الفناء. وقد قال الشعراني رضي الله عنه ومعنى حديث: أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل . أي كالباطل من حيث أنه قائم بالله تعالى لا بنفسه فإن شاء أبقاه وإن شاء أذهب في لمح البصر. وقد أجمع أهل الحق على أن حقائق الأشياء ثابتة فكيف يصح نفيها إنما العبد يحجب عنها بما دهمه من الأمور العظيمة اهـ . أم هل باطل في الإرادة فيكون لشرع الله ودينه عليكم الحجة البالغة حيث لم تريدوا ما أمره الله وشرعه عليكم فبقيتم مع إرادتكم وهو اكم أم تقولون إن الله أمر نفسه بنفسه. وخاطب الطائفة الجنيد رضي الله عنه يقول : لو كنت حاكما لضربت عنق من سمعته يقول : لا موجود إلا الله وليس لي فعل مع الله لأن ظاهر الكلام نفي غير الله وهدم أحكام التكاليف كلها . اهـ : { وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون } { فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم } ويقولون في القرآن إنه كان كذا ثم



صار إلى كذا وأتى كذا إلى كذا وكذا مما لا ننجز ألسنتنا وأوراقنا بذكره . قلت : وأما القرآن فبحر لا ساحل له يرده البر والفاجر ويأخذ منه السني والبدعي ويلتقط من درره ومرجانه الموحد والفاجر ويغرق في مجاري تياره وعبابه الملحد والمتزندق فيهتدي الموفق بأية من آياته ثم يهوي الزنديق والملحد بأمر رأسه إلى هاوية العذاب بعين تلك الآية ، وأما تفسير الأئمة والمحققين من الطائفة الصوفية لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ بالمعاني الغريبة وفهمهم منها من علوم الرياضة والذوق كل بحسب ذوقه وحاله مما ليس فيه إحالة للظاهر عن ظاهره فلا قائل بنفيه من المعتبرين ولا أبطله أحد من المحققين لقوله ﷺ لكل آية ظاهر وباطن وحد ومطلع . ولكن ليس ثم باطل ينقض ظاهر الآية أبدا ، وما بلغنا أن أحدا منهم أتى بتفسير يناقض ظاهر الشريعة من زمن الصحابة إلى يومنا هذا . فكل من ادعى باطنا يخالف ما عليه أئمة السلف والخلف فقد ضل عن الصراط المستقيم وقد صدق عليه إبليس ظننه فاتبعه أعاننا الله من الخذلان: {ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب } فإذا كان أرباب القلوب الممتلئة بمحبة علام الغيوب يفهمون من كل لفظ من كل صوت ضد ما قصده واضعه مما يدل على حاله كما وقع لكثير منهم ومنه قصة ياسع ترى بري المشهورة وغيرها مما لا نطول بذكره فكيف بكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ الذي هو بحر لا ساحل له وفيه علوم الأولين والآخرين . ومعلوم أنه ما من حادث يحدث في الدنيا إلى النفخ في الصور إلا ودل عليه القرآن وكلام النبي ﷺ كما قرره العلماء في كتبهم علمه من علمه وجهله من جهله وليس الشأن في مجرد الفهم والذوق والوجد ولكن الشأن في المفهوم والمذوق والموجود لأن هذه محكومة عليها ليست بحاكمة كما قاله المحققون من الطائفة . قال في شرح المنازل : فإن قيل هذا الباب غير مسلم لأهل الذوق وأنتم تتكلمون بلسان العلم لا بلسان الذوق

والذائق واجد والواجد لا يمكنه إنكار موجوده قلما يرجع إلى صاحب العلم بل يدعو إلى ذوق ما ذاقه ، ويقول :

**أقول للائم المهدي ملامته ذق الهوى وإن اسطعت الملام لم**

قيل : ولم ينصف من أحال على الذوق فإنها حوالة على محكوم عليه لا على حاكم وعلى مشهود له لا على شاهد وعلى موزون لا على ميزان ويا سبحان الله هل يدل مجرد ذوق الشيء على حكمة وأنه حق أو باطل، وهل جعل الله ورسوله الأنواق والمواجيد حجبا وأدلة يميز بها بين ما يحبه ويرضاه وبين ما يكرهه ويسخطه ؟ ولو كان ذلك كذلك لاحتج كل مبطل على باطله بالذوق والوجد كما تجده كثر من أهل الباطل والإلحاد فهؤلاء اتحادية وهم أكفر الخلق يحتجون بالذوق والوجد على كفرهم وإلحادهم حتى يقول قائلهم :

**يا صاحبي أنت تنهاني وتأمرنى والوجد أصدق نهاء وأمار**

**فإن أظعك وأعص الوجد رحمت عم عن اليقين إلى أوهام أخبار**

**وعين ما أنت تدعوني إليه إذا حقيقته بدلا المنهي يا جار**

ويقول هذا القائل ثبت عندنا بالكشف والذوق ما يناقض صريح العقل وكل معتقد لأمر جازم له مستحسن له يذوق طعمه فالملحد يذوق طعم الاتحاد والانحلال من الدين والرافض يذوق طعم الرفض ومعاداة خيار الخلق . والقدرى يذوق طعم إنكار القدر ويتعجب ممن يثبته ، والجبري عكسه . والمشرك يذوق طعم الشرك حتى إنه ليستبشر إذا ذكر إلهه ومعبوده من دون الله ويشمئز قلبه إذا ذكر الله وحده . وهذا الاحتجاج قد سلكه أرباب السماع المحدث الشيطاني الذي هو محض شهود النفس وهواها ، واحتجوا على إباحة هذا السماع بما فيه من الذوق والوجد واللذة . وأنت تجد النصراني له في تثليثه ذوق ووجد وحنين بحيث لو عرض عليه أشد العذاب لاختاره دون أن يفارق تثليثه لما له فيه من الذوق وحينئذ فيقال

هب أن الأمر كما تقول وأن المتكلم المنكر لم يتكلم بلسان الذوق فهل يصح أن يكون ذوق الذائق لذلك حجة صحيحة نافعة له بينه وبين الله وفرضنا أن هذا المنكر قال نعم أنا محجوب عن الوصول إلى ما أنكرته غير ذائق له وأنت ذائق واصل فما علامة ما ذقته ووصلت إليه ؟ وما الدليل عليه ؟ وإنا لا ننكر ذوقك له ووجدك به ولكن الشأن في المذوق لا في الذوق ، وإذا ذاق المحب العاشق طعم محبته وعشقه لمحبوبه ما كان غاية ذلك إلا أن يدل على وجود محبته وعشقه لا على كون ذلك نافعا أو ضارا أو موجبا لكماله أو نقصه وبالله التوفيق اهـ . قال الشعراني رضي الله عنه في لطائف المنن : وقد أغلق الله تبارك وتعالى باب تنزيل الأحكام المشروعة بموت محمد ﷺ وما أغلق باب التنزل بالعلم بها على قلوب أوليائه ، فالتنزل الروحاني بالعلم بها باق لهم ليكونوا على بصيرة في دعائهم إلى الله تعالى كما كان رسول الله ﷺ ، ولذلك قال : أنا ومن اتبعني ، فقد علمت أن الولي لا يدعو قط إلى الله تعالى إلا بحكاية دعوة رسوله ﷺ ولسانه لا بلسان يحدثه كما يقع للرسول ، ولذلك لو أمر الولي بما يخالف شرع الرسول لم يتبع على ذلك وخرج عن كونه على بصيرة من أمره ، ولذلك لم ينقل إلينا أن نبيا ندم على ما بلغه من الوحي بخلاف العلوم الصادرة عن فكر ونظر فربما ندم صاحبها على قولها كما وقع في قصة أسارى بدر وفي مسألة تأبير النخل ، وذلك أنه ﷺ مر على جماعة من الأنصار وهم على رؤوس النخل فقال ﷺ : ما يصنع هؤلاء ؟ فقالوا: يلقحون النخل ، فقال ﷺ : ما أرى ذلك ينفعهم . فسمع بذلك الأنصار فتركوا تلقيح النخل تلك السنة فقل حمله ونضجه وخرج شيصا ، فقال ﷺ (( إذا أخبرتكم بشيء عن الله تعالى فاعملوا به فإني لا أكذب وإذا أخبرتكم بشيء من قبل نفسي فأنتم أعلم بأمر دنياكم )) . اهـ ثم قال : وقد أجمع المحققون على أن خاطر الحق تعالى لا يكون فيه أمر ولا نهي لأن الحق تعالى قد

فرغ من الأوامر والنواهي على لسان محمد ﷺ لقوله تعالى : { اليوم أكملت لكم دينكم } وقال ﷺ : (( ما تركت شيئا يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به ولا شيئا يبعدكم عن الله تعالى إلا وقد نهيتكم عنه )) اهـ رواه الطبراني . وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا ينزل ملك الإلهام قط بأمر ولا نهى بعد رسول الله ﷺ جملة واحدة فإن الشريعة قد استقرت وتبين حكمها ، فإن قال أحد من الأئمة : إني لم ألهم ذلك إلهاما وإنما أمرني به الله تعالى من غير واسطة ملك قلنا له هذا أعظم من ادعائك الأول لأنك ادعيت أن الله تعالى كلمك كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام ولا قائل بذلك ، وفي القرآن العظيم : { وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا } الآية ، ثم إن الله تعالى لو كلمك ما كان يلقي إليك إلا علوما وأخبارا لا أحكاما وشرعا ولا يأمرك أصلا إن الأوامر والنواهي قد أغلق بابها بموت رسول الله ﷺ وهذا أمر لا يسلم له لأن معناه أنه ادعى شريعة مستقلة بعد موت رسول الله ﷺ لا سيما إن قال أمرني الله تعالى بفعل المباح على سبيل الوجوب فإن ذلك أشد لأنه صير المباح على لسان رسول الله ﷺ مأمورا به وهذا عن نسخ شريعته ﷺ ولا قائل بذلك أيضا . وإن قال : أمرني بفعل الواجب الفلاني أو نهاني عن الحرام الفلاني قلنا لا فائدة فيه لأن الله تعالى أمرك ونهاك على لسان محمد ﷺ اهـ من اللطائف . قال في مراقي السعود :

### وينبذ الإلهام بالعراء أعني به إلهام الأولياء

يعني في التشريع . وكان سيد الطائفة الجنيد رضي الله عنه يقول : إذا رأيت شخصا متربعا في الهواء فلا تلتفتوا إليه إلا أن رأيتموه مقيدا بالكتاب والسنة ، وكان يقول : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ . وكان يقول : علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة . اهـ والله

در السيد العارف بالله تعالى سيدنا ومولانا عبد الرحمان الأخضرى الله عنه  
حيث يقول :

من لم يلج بالمنهج الحمدي      باء بسخط الله طول الأبدى  
هيهات أن يطمع في نيل الوفى      من زاغ عن دين النبي المصطفى  
فإنه هو السراج الأنور      وباب حضرة الإله الأكبر  
فكل من يرغب عن سنته      فليس عند الله من أمته  
من حاد عن سنته فقد غوى      وفي غيابات الضلال قد هوى

لى غير ذلك من كلام فحول العلماء وأقوال الأجلة الأصفياء ما لا  
تسعه هذه الرسالة مما يشهد لنا بضلالة من يقول : إن ثم باطنا يخالف  
ظاهر الشرع ويندد في المحافل أن العلم حجاب وأن التربية صارت بيده  
وأن من لم ينضم في جماعته ويهرول إلى الأخذ بإشارته لم يكن على شيء  
معتبر في دين الله ويوالي من والاه على دعاويه بالمداهنة ويستميل عقول  
العامة إليه بحصائد الألسنة ، ويناوئ من ثبت على الصراط المستقيم الذي  
عليه صالحوا السلف والخلف من أهل السنة منذ زمن الصحابة إلى يومنا  
هذا، وما هكذا سيما الأولياء والعلماء . قال الشعراني رضي الله عنه: اعلم يا  
أخي أن من كان تابعا لأهل السنة والجماعة يجب أن يكون قلبه ممتلئا أنسا  
بهم وبالضد من خالفهم فيمتلئ قلبه غما وضيقا والحمد لله رب العالمين .  
ولله در البوصيري حيث يقول :

**والدعاوى ما لم تقيموا عليها      بينات أبنائها أدمياء**

ثم أفسد على عامة أهل البلد عقيدتهم السنية التي توارثوها خلفا عن  
سلف بإفشاء العقيدة الاتحادية التي هي الفناء عن وجود السوى وجمع  
الوجود في وجود واحد . ولا يدري ضعفاء العقول من جماعته وغفلة  
القلوب من حاشيته أن الفناء عند القوم يأتي على معان منها ما هو محمود ومنها  
ما هو مذموم ومنها ما هو متوسط كما سنبينه لك إن شاء الله في بابه . ونحن

أولى بالمدائمة على قراءة : { ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب } في الصلاة من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، لأنه رضي الله عنه مع ثبوت قدمه في التصديق كان في القرن الذي هو خير القرون فكيف بنا نحن في قرننا الذي هو شر القرون . قرن أمات أهله السنة وأحيوا فيه البدعة ويتغاير علماءه على حطام الفانية الذين ليس لهم من العلم إلا المنقول من كلام العلماء وروايات الحكماء الذين كانوا ينفقون من سعتهم . قال الشعراني رضي الله عنه : إذا رددت كل علم معك إلى صاحبه فانظر ما بقي معك فهو علمك الذي تذهب معه إلى القبر اهـ بالمعنى . فأبي علم لنا حتى نتاغير به على العامة ممن لم نزد عليهم شيئاً سوى حمل نُقول العلماء مثل تغاير التيوس في الزرب ويسارعون إلى الجهلة الأغمار باستمالة قلوبهم إليهم بلبس جلود الضأن في قلوب الذئاب ويلبسون ثياب الصادقين ويتحلون بحليتهم على غير قلوبهم وأرواحهم : { ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا } ويتشبع كل واحد منهم بما لم يعط فصار كأنه لابس ثوبي زور ويتماوتون على جيفة الدنيا التي هي تركة نمرود وفرعون وهامان وقارون كما يتماوت الكلاب على جيفة الحمار ويتناولون في البنيان كأنهم على دين هامان ولسان حالهم يقرأ عليهم كل يوم : { ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر } . وإذا لم تفرد واحدا منهم بالذكر الحسن عند معتقديه ولوا على أدبارهم نفورا . وإذا ذكرت غيره من معاصريه بالذكر الحسن ولو كان ذلك الغير مثل أويس القرني رضي الله عنه في الصلاح ترى في وجهه المنكر، وصار كلُّ يدعي الولاية والقطبانية لنفسه بلسان حاله ومقاله مع أنه لم يبلغ حقيقة الإيمان المشار إليه في حديث: (( لا يبلغ أحد حقيقة الإيمان حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه )) . وفي حديث : (( المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده )) . ومعلوم أن من لم يتصف بالشيء اتصف بضده . فإن لم يتصفوا بالأحاديث المتقدمة

اتصفوا بحديث : (( إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم )) . وبحديث : (( سيكون بعدي قصاب - أي جمع قاص وهو الواعظ - لا ينظر الله إليهم )) أي نظر رحمة لكونهم يرغبون في الآخرة ولا يرغبون ويזהدون في الدنيا ولا يزهدون . وبحديث (( سيكون في آخر الزمان ناس من أمتي يحدثونكم بما لا تسمعوا أنتم ولا آباؤكم - أي من الأحاديث الكاذبة والأحكام المبتدعة والعقائد الزائفة - فاياكم وإياهم )) أي احذروهم وتجنبوهم . وبحديث : (( سيكون في أمتي الكذابون الدجالون )) . قال في روح البيان : المراد بالكذابين الدجالين الأئمة المضلون . ثم قال : فكل كذاب بين يدي الساعة سواء كان قبل مبعث النبي عليه السلام أو بعده فإنما هو من مقدمات الدجال المعروف كما أن كل أهل صدق من مقدمات المهدي رضي الله عنه . اهـ . والله در الولي العارف بالله سيدي ومولاي عبد الرحمان الأخضرى رحمه الله حيث يقول :

والدين قد تهدمت أركانه	والزور طابق الهوى دخانه
وظلمات الزور والبهتان	تزخرفت في جملة الأوطان
لم يبق من دين الهدى إلا اسمه	ولا من القرآن إلا رسمه
هيات قد غاضت ينابيع الهدى	وقاض بحر الجهل والزيف بدا
فإن أهل الدين أهل العلم	قد سلفوا والله قبل اليوم
وهاجت طائفة الدجاجة	السالكون للطريق الباطلة
فالقوم إذا زاغوا أزاغ الله	قلوبهم فانسأخوا وتاهوا
وجاء في الحديث عن خير الورى	ن يخرج الدجال يعني الأكبر
حتى يقوم قبله دجاجة	كل يلوذ بطريق باطلة

إلى آخر كلامه . قال في روح البيان: قال رسول الله ﷺ : (( يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه قلوبهم خربة من الهدى ومساجدهم عامرة بأبدانهم ، شر من تظل السماء يومئذ

علماءهم منهم تخرج الفتنة وإليهم تعود )) . وعن فضيل بن عياض: بلغنا أن  
الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان.  
فعلى العاقل أن لا يغتر بظاهر حالهم بل ينظر إلى وهن اعتقادهم وفساد بالهم  
فيعتبر كل الاعتبار. ويتجنب من هذه سيرته ويسلك طريق الأخيار ويعتصم  
بالله بالانقطاع عما سواه ويتمسك بالتوحيد الحقيقي حتى يهتدي إلى  
الصراط المستقيم ز فمن انقطع إليه تعالى بالفناء في الوحدة أي الانفراد  
والعزلة على الخلق كان صراطه صراط الله فلا يصده عنه أحد ولا يضره  
شيء ولا يضلّه كيد عدوه وشره فإن من كان مع الله كان الله معه فهو  
حافظه وناصره . وهذا الاستمسك ليس من شأن كل السالك لكن الله تعالى  
قادر على أن يأخذ بيد عبده يوصله على مراده. وإذا صح الطلب من العبد فلا  
يحرّم الإجابة البتة، فإن من طلب وجد ومن قرع بابا ولجّ ولج . عصمنا الله  
وإياكم من كيد الشيطان ومكر النفس الأمارة بالسوء كل آن، أمين يا مستعان .  
اهـ ولنرجع إلى ما نحن بصدده من مراد القوم بالفناء والبقاء والجمع  
والتفرقة فأقول وبالله التوفيق :



## الفصل الخامس:

### في مرادهم بالفناء والبقاء والجمع والتفرقة وأقسام الفناء ممدوحها ومذمومها ومتوسطها

قال الإمام أبو قاسم القشيري في رسالته: أشار القوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة وأشاروا بالبقاء إلى قيام الأوصاف المحمودة به . وإذا كان العبد لا يخلوا عن أحد هذين القسمين فمن المعلوم أنه إذا لم يكن أحد القسمين كان القسم الآخر لا محالة ، فمن فني عن أوصافه المذمومة ظهرت عليه الصفات المحمودة ، ومن غلبت عليه الخصال المذمومة استترت عنه الصفات المحمودة . ثم قال: واعلم أن الذي يتصف به العبد **أفعال وأخلاق وأحوال** ، فالأفعال تصرفاته باختياره . والأخلاق من هذا الوجه لأن العبد إذا نازل الأخلاق بقلبه فينفي بجهد سفسافها من الله عليه بتحسين أخلاقه ، وكذلك إذا واظب على تزكية أعماله ببذل وسعه من الله عليه بتصفية أحواله بل بتوفية أحواله ، فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة يقال إنه فني عن شهواته فإذا فني عن شهواته بقي بنيته وإخلاصه في عبوديته ، ومن زهد عن دنياه بقلبه يقال فني عن رغبته فإذا فني عن رغبته فيها بقي بصدق إنابته . ومن عالج أخلاقه فني عن قلبه الحسد والحقد والبخل والشح والغضب والكبر وأمثال هذا من رعونات النفس يقال فني عن سوء الخلق فإذا فني عن سوء الخلق بقي بالفتوة والصدق . ومن شاهد جريان القدرة في تصاريف الأحكام يقال فني عن حسابان الحدثان من الخلق ، فإذا فني عن توهم الآثار من الأغيار بقي بصفات الحق ، ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عينا ولا أثرا ولا رسما ولا طللا يقال إنه فني عن الخلق وبقي بالحق . ففناء العبد عن أفعاله الذميمة وأحواله الخسيسة بعدم هذه الأفعال . وفناؤه عن نفسه وعن الخلق

بزوال إحساسه بنفسه وبهم . فإذا فني عن الأفعال والأخلاق والأحوال فلا يجوز أن يكون ما فني عنه من ذلك موجودا . وإذا قيل : فني عن نفسه وعن الخلق فنفسه موجودة والخلق موجودون ولكنه لا علم له بهم ولا إحساس ولا خبر فتكون نفسه موجودة والخلق موجودين ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق أجمعين غير محس بنفسه وبالخلق . وقد ترى الرجل يدخل على ذي سلطان أو محتشم فيذهل عن نفسه وعن أهل مجلسه هيبه وربما يذهل عند ذلك المحتشم حتى إذا سئل بعد خروجه من عنده من أهل مجلسه وهيئات ذلك الصدر هيئات نفسه لم يمكنه الإخبار عن شيء قال الله تعالى { فلما رأيته أكبره وقطعن أيديهن } لم يجدن عند لقاء يوسف عليه السلام على الوهلة ألم قطع الأيدي وهن أضعف الناس { وقلن ما هذا بشرا } ولقد كان بشرا . وقلن { إن هذا إلا ملك كريم } ولم يكن ملكا . فهذا تغافل مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق فما ظنك بمن تكاشف بشهود الحق سبحانه ؟ فلو تغافل عن إحساسه بنفسه وأبناء جنسه فأى أعجوبة فيه ؟ قلت : وسيأتي في كلام غيره أن هذا الفناء يحمد منه شيء ويذم منه شيء وأن من وصل إلى هذا المقام مع بقاء تمييزه وفرقانه أكمل منه ثم قال : فمن فني عن جهله بقي بعلمه ومن فني عن شهوته بقي بإنابته ومن فني عن رغبته بقي بزهادته ومن فني عن منيته بقي بإرادته . وكذلك القول في جميع صفاته فإذا فني العبد عن صفته بما جرى ذكره يرتقي عن ذلك بفنائه عن رؤية فنائه . وإلى هذا أشار قائلهم :

**فقوم تاه في أرض بقصر**      **وقوم تاه في ميدان حبه**

**فأفنوا ثم افنوا ثم أفنوا**      **وأبقوا بالبقاء من قرب ربه**

فالأول فناء عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق ثم فناؤه عن صفات الحق بشهوده الحق ثم فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه في

وجود الحق . اهـ قلت : وأحسن كلام رأيناه في لسان الفناء وأوسع عبارة كلام الإمامين الجليلين من علماء أهل السنة أبي إسماعيل شيخ الإسلام الهروي في منازل السائرين ومحقق الإسلام ابن القيم الدمشقي في شرحه عليه ، فإنهما قد بينا وجوه الفناء مذمومه ومحموده ومتوسطه ومفرق طرقهم فيه ، وهذا نص ما في الكتابين : الفناء الذي يشير إليه القوم ويعملون عليه أن تذهب المحدثات في شهود العبد وتغيب في أفق العدم كما كانت قبل أن توجد وبقي الحق تعالى كما لم يزل ثم تغيب صورة المشاهد ورسمه أيضا فلا يبقى له صورة ولا رسم ثم يغيب شهوده أيضا فلا يبقى له شهود ويصير الحق هو الذي يشاهد نفسه بنفسه كما كان الأمر قبل إيجاد المكونات . وحقيقته أن يفني من لم يكن ويبقى من لم يزل . قال صاحب المنازل : هو اضمحلال ما دون الحق علما ثم جدا ثم حقا وهي ثلاث درجات :

**الدرجة الأولى :** فناء المعرفة في المعروف وهو الفناء علما . وفناء العيان في المعين وهو الفناء جدا . وفناء الطلب في الوجود وهو الفناء حقا .

**الدرجة الثانية :** فناء شهود الطلب لإسقاطه وفناء شهود المعرفة لإسقاطها وفناء شهود العيان لإسقاطه .

**الدرجة الثالثة :** الفناء عن شهود الفناء وهو الفناء حقا شائما برق العين راكبا بحر الجمع سالكا سبيل الفناء . اهـ ثم قال شارحه : فنذكر ما في هذا الكلام من حق وباطل ثم نتبعه ذكر أقسام الفناء والفرق بين الفناء المحمود الذي هو فناء خاصة أولياء الله المقربين والفناء المذموم الذي هو فناء أهل الإلحاد القائلين بوحدة الوجود وفناء المتوسطين الناقصين عن درجة الكمال بعون الله وحوله وتأيينه . فنقول : الفناء اضمحلال ما دون الحق جدا . لا يريد به أنه يعدم من الوجود بالكلية وإنما يريد

اضمحلاله في العلم فيعلم أن ما دونه باطل وأن وجوده بين عدمين وأنه ليس له من ذاته إلا العدم فعدمت بالذات ووجوده بإيجاد الحق له فيفنى في علمه كما كان فانيا في حال عدمه ، فإذا فني في علمه ارتقى إلى درجة أخرى فوق ذلك وهي جحد السوي وإنكاره ، وهذه أبلغ من الولي لأنها غيبته عن السوي فقد يغيب عنه وهو غير جاحد له وهذه الثانية جحده وإنكاره ... ثم قال : ومن ها هنا دخل الاتحادي . وقال : المراد جحد السوي بالكلية وإنه ما ثم غير بوجه ما . وحاشا شيخ الإسلام من إحد أهل الاتحاد وإن كانت عبارته موهمة بل مفهومة ذلك وإنما أراد بالجحد في الشهود لا في الوجود أي يجحده أن يكون مشهودا فيجحد وجوده الشهودي العلمي لا وجوده العيني الخارجي فهو أولا يغيب عن وجوده الشهودي العلمي ثم ينكر ثانيا وجوده في علمه وهي اضمحلاله جحدا ثم يرتقي من هذه الدرجة إلى أخرى أبلغ منها وهي اضمحلاله في الحقيقة وأنه لا وجود له البتة وإنما وجوده قائم بوجود الحق فلولا وجود الحق لم يكن هذا موجودا ، ففي الحقيقة الموجود إنما هو الحق وحده والكائنات من أثر وجوده هذا معنى قولهم إنها لا وجود لها ولا أثر لها وإنها معدومة وفانية ومضمحلة . والاتحادي يقول : إن السالك في أول سلوكه يرى أنه لا فاعل في الحقيقة إلا الله . فهذا توحيد العلم ولا يقدر في طوره على أكثر من ذلك . ثم ينتقل عن هذا إلى الدرجة الثانية وهو شهود عود الأفعال إلى الصفات والصفات إلى الذات فعاد الأمر كله إلى الذات فيجحد وجود السوي بالكلية فهذا الاضمحلال جحدا ثم يرتقي عن هذه الدرجة إلى ركوب البحر الذي يغرق فيه الأفعال والأسماء والصفات ولا يبقى إلا أمر مطلق لا يتقيد باسم ولا صفة ، قد اضمحل فيه كل معنى وقيد وصفة ورسم وهذا عندهم غاية السفر الأولى فحينئذ يأخذ في السفر

الثاني وهو البقاء . قوله : **الدرجة الأولى** فناء المعرفة في المعروف . يريد اضمحلال معرفته وتلاشيها في معرفته وأن يغيب بمعرفته كما يغيب بمشهوده عن شهوده وبمذكوره عن ذكره وبمحبوبه عن حبه وبمخوفه عن خوفه . وهذا لا ريب في إمكانه ووقوعه ، فإن القلب إذا امتلأ بشيء لم يبق فيه متسع لغيره . وأنت ترى الرجل يشاهد محبوبه الذي استغرق في حبه بحيث تخلل حبه جميع أجزاء قلبه أو يشاهد المخوف الذي امتلأ بخوفه فيقرضه دهش عن شعوره بحبه أو خوفه لاستيلاء سلطان المحبوب والمخوف على قلبه وعدم اتساعه لشهوده غيره البتة لكن هذا لنقصه لا لكماله والكمال وراء ذلك فلا أحد أعظم محبة لله عز وجل من الخليين وكانت حالهما أكمل من هذه الحال وشهود العبودية أكمل وأتم وأبلغ من الغيبة عنها بشهود المعبود ، فشهود العبودية والمعبود درجة الكمال والغيبة بأحدهما عن الآخر للناقصين ، فكما أن الغيبة بالعادة عن المعبود نقص فكذلك الغيبة بالمعبود عن عبادته حتى إن من العارفين من لا يعتقد بهذه العبادة ويرى إيجادها عدما ويقول هي بمنزلة عبودية النائم وزائل العقل لا يعتقد بها ولم يبعد هذا القائل فالحق تعالى مراده من عبده استحضر عبوديته لا الغيبة عنها والعامل على الغيبة عنها عامل على مراده من الله وعلى حظه والتنعم بالفناء في شهوده لا على مراد الله منه وبينهما ما بينهما فكيف يكون قائما بحقيقة العبودية من يقول : { إياك نعبد } ولا شعور له بعبوديته البتة بل حقيقة إياك نعبد علما معرفة وقصدا وإرادة وعملا وهذا مستحيل في واد الفناء ومن له ذوق يعرف هذا ، وهذا قوله : وفناء العيان في المعان وهو الفناء جدا لما كان ما قبل هذا فناء العلم في المعلوم والمعرفة في المعروف والعيان فوق العلم والمعرفة إذ نسبتها إلى العلم كنسبة المرئي إليه كان الفناء في هذه المرتبة فناء عيانه في

معاينه ومحو أثره واضمحلال رسمه قوله : وفناء الطلب في الموجود ، وهو الفناء حقا . يريد أنه لا يبقى لصاحب هذا العيان طلب لأنه قد ظفر بوجوده ومطلوبه وطلب الموجود محال لأنه إنما يطلب المفقود عن العيان لا الموجود ، فإذا استقر في عيانه وشهوده فني الطلب حقا . قوله : **الدرجة الثانية** فناء شهود الطلب لإسقاطه وفناء شهود المعرفة لإسقاطها وفناء شهود العيان لإسقاطه . يريد أن الطلب يسقط فيشهد العبد عدمه فهاهنا أمور ثلاثة مترتبة : أحدها فناء الطلب وسقوطه ثم شهود سقوطه ثم سقوط شهوده فهذا هو فناء شهود الطلب لإسقاطه . وأما فناء شهود المعرفة لإسقاطها فيريد به أن المعرفة تسقط في شهود العيان إذ هو فوقها وهي تفنى فيه فيشهد سقوطها في العيان ثم يسقط شهود سقوطها . ثم قال: وصاحب المنازل يرى أن المعرفة قد يصحبها شيء من حجاب العلم ولا يرتفع ذلك الحجاب إلا بالعيان فحينئذ تفنى في حقه المعارف فيشهد فناءها وسقوطها ولكن بعد عليه بقية لا تزول عنه حتى يسقط شهود فنائها وسقوطها منه . فالعارف يخالط بقية من العلم لا تزول إلا بالمعينة والمعاین قد يخالطه شيء من المعرفة لا تزول إلا بشهود سقوطها ثم سقوط شهود هذا السقوط . وأما فناء شهود العيان لا سقوطه يعني أن المعاین أيضا يسقط فيشهد العبد ساقطاً فلا يبقى إلا المعاین وحده ثم قال : قال الاتحادي هذا دليل على أن الشيخ يرى مذهب أهل الوحدة لأن العيان إنما يسقط في مبادئ حضرة الجمع لأنه يقضي ثلاثة أمور : **معاین ومعاین ومعاین** . وحضرة الجمع تنفي التعداد وهذا كذب على شيخ الإسلام وإنما مراده فناء شهود العيان فيفنى عن مشاهدة المعاین ويغيب بمعاینه عن معاینته لا أن مراده انتفاء التعداد والتغاير بين المعاین والمعاین وإنما مراده انتفاء الحاجب عن درجة الشهود لا عن

حقيقة الوجود ولكنه باب لإلحاد هؤلاء الملاحدة منه يدخلون والفرق بين إسقاط الشيء عن درجة الوجود العلمي الشهودي وإسقاطه عن رتبة الوجود الخارجي العيني . فشيخ الإسلام بل مشايخ القوم المتكلمين بلسان الفناء هذا مرادهم . وأما أهل الوحدة فمرادهم أن حضرة الجمع والوحدة تنفي التعدد والتقييد في الشهود والوجود بحيث يبقى المعروف والمعرفة والعارف من عين واحدة لا بل ذلك هو نفس العين الواحدة وإنما العلم والعقل والمعرفة حجب بعضها أغلظ من بعض ولا يصير السالك عندهم محققا حتى يخرق حجاب العلم والمعرفة والعقل فحينئذ يفضى إلى ما وراء الحجاب من شهود الوحدة المطلقة التي لا تتقيد بقيد ولا تختص بوصف . قوله **الدرجة الثالثة : الفناء عن شهود الفناء .** أي يشهد فناء كل ما سوى الحق تعالى في وجود الحق ثم يشهد الفناء قد فني أيضا ثم يفنى عن شهود الفناء فذلك هو الفناء حقا . وقوله : شائما برق العين . يعني ناظرا إلى عين الجمع ، فإذا شام برقه من بعد انتقال من ذلك إلى ركوب لجة بحر الجمع وركوبه إيها فناؤه في جمعه ويعني بالجمع الحقيقة الكونية القدرية التي يجتمع فيها جميع المتفرقات وتشمير القوم إلى شهودها والاستغراق والفناء فيها هو غاية السلوك والمعرفة عندهم . ثم قال : وسنذكر إن شاء الله تعالى أن العبد لا يدخل بهذا الفناء والشهود في الإسلام فضلا أن يكون به من المؤمنين فضلا أن يكون به من خاصة أولياء الله المقربين ، فإن هذا شهود مشترك لأمر أقرت به عباد الأصنام وسائر أهل الملل لأنه لا خالق إلا الله . قال تعالى : { ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله { ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله } فالاستغراق والفناء في شهود هذا القدر غاية في التحقيق لتوحيد الربوبية الذي أقر به المشركون ولم

يدخلوا به في الإسلام . وإنما الشأن في توحيد الإلهية الذي دعت إليه الرسل وأنزلت به الكتب وتميز به أولياء الله من أعدائه وهو أن لا يعبد إلا الله ولا يحب سواه ولا يتوكل على غيره ، والفناء في هذا التوحيد هو فناء خاصة المقربين كما سيأتي إن شاء الله . ثم قال : إذا عرفت مراد القوم بالفناء فنذكر أقسامه ومرتبه وممدوحه ومذمومه ومتوسطه : فاعلم أن الفناء مصدر فني يفني فناء إذا اضمحل وتلاشى وعدم . وقد يطلق على ما تلاشت قواه وأوصافه مع بقاء عينه كما قال الفقهاء : لا يقتل في المعركة شيخ فان . وقال تعالى : { كل من عليها فان } أي هالك ذاهب ولكن القوم اصطاحوا على وضع هذه اللفظة لتجريد شهود الحقيقة الكونية والغيبية عن شهود الكائنات وهذا الاسم يطلق على ثلاثة معان :

- الفناء عن وجود السوى .
- والفناء عن شهود السوى .
- والفناء عن إرادة السوى .

فأما الفناء عن وجود السوى فو فناء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود وأنه ما ثم غير وأن غاية العارفين والسالكين الفناء في الوحدة المطلقة ونفي التكاثر والتعدد عن الوجود بكل اعتبار فلا يشهد الوحدة المطلقة فلا يشهد غيراً أصلاً بل يشهد وجود العبد عين وجود الرب بل ليس عندهم في الحقيقة رب وعبد . وفناء هذه الطائفة في شهود الوجود كله واحد وهو الواجب بنفسه ما ثم وجودان ممكن وواجب ، ولا يفرقون بين كون وجود المخلوقات بالله وبين كون وجودها هو عين وجوده وليس عندهم فرقان بين العالمين ورب العالمين ويجعلون الأمر والنهي للمحبوبين عن شهودهم وفنائهم وهو تلبيس عندهم . والمحبوب عندهم يشهد أفعاله طاعات أو معاصي لأنه في مقام الفرق فإذا ارتفعت درجته



شهد أفعاله كلها طاعات ولا معصية بل ارتفعت الطاعات والمعاصي لأنها تستلزم اثنيية وتعدادا وتستلزم مطيعا ومطاعا وعاصيا ومعصيا هذا عندهم محض الشرك . والتوحيد المحض يباه فهذا فناء هذه الطائفة . قلت : ولا ريب أن من جذوة هذه الطائفة بعينها انقدحت شرارة هذه الطائفة الدرهملية التي ظهرت في أيامنا أطفأها الله بفيوضات بحار أنوار الشريعة والحقيقة بحول الله وقوته أمين . ما أشبه الليلة بالبارحة وما أشبه الغادية بالراحة حيث لا أب ولا أم ولا هذا ولا ذاك ( دَرَهْمُلٌ دَرَهْمُلٌ ) أو من السوفسطائية الذي ينكرون حقائق الأشياء ويزعمون أنها خيالات لا ثبوت لها في الواقع بدليل قولهم الذي شاع عنهم (دَرَهْمُلٌ دَرَهْمُلٌ) أو من جذوة المجسمة الذي منهم من قال إنه تعالى على صورة شيخ كبير ومنهم من قال إنه على صورة شاب حسن . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . ولقد شاعت عن هذه الطائفة أمثال هذه الأقوال من قولهم : رأيت الله لابسا كذا . ورأيت الله تحت شجيرة كذا . وغير هذا مما نستعين بالله من شره . أعاذنا الله من الخذلان وعصم عقائدنا السنية من الشيطان بجاهه عليه أزكى التحيات وأسنى السلامان أمين اهـ ثم قال : وأما الفناء عن شهود السوى فهو الفناء الذي يشير إليه أكثر الصوفية المتأخرين ويعدونه غاية وهو الذي بنى عليه إسماعيل الأنصاري كتابه أي المنازل وجعله الدرجة الثانية في كل باب من أبوابه . وليس مرادهم فناء وجود ما سوى الله في الخارج بل فناؤه عن شهودهم وحسهم ونفسه لأنه يغيب بمعبوده عن عبادته و بمذكوره عن ذكره وبموجده عن وجوده وبمحبوبه عن حبه وبمشهوده عن شهوده . وقد يسمى حال مثل هذا سكرًا واصطلامًا ومحوا وجمعا . وقد يفرقون بين معاني هذه الأسماء وقد يغلب شهود القلب بمحبوبه ومذكوره حتى يغيب به ويفنى به فيظن أنه اتحد به وامتزج

بل يظن أنه نفسه كما يحكى أن رجلا ألقى محبوبه نفسه في الماء فألقى المحب نفسه وراءه فقال له : ما الذي أوقعك في الماء ؟ فقال : غبت عني فظننت أنك أني . وهذا إذا عاد إليه عقله يعلم أنه كان غالطا في ذلك وأن الحقائق متميزة في ذاتها فالرب رب والعبد عبد والخالق بائن عن المخلوقات ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ولكن في حال السكر والمحو والاصطلام والفناء قد يغيب عن هذا التمييز وفي هذه الحالة قد يقول صاحبها ما يحكى عن أبي يزيد أنه قال : سبحاني ما أعظم شأنني . أو قال الحلاج : أنا الحق وما في الجبة إلا الله . ونحو ذلك من الكلمات التي لو صدرت عن قائلها وعقله معه لكان كافرا ولكن مع سقوط التمييز والشعور قد يرتفع عنه قلم المؤاخذة . قلت : ونص كلام الإمام محيي الدين رضي الله عنه في هذه المسألة : من قال بالحلول فهو معلول فإن القول بالحلول مرض لا يزول ومن فصل بينك وبينه فقد أثبت عينك وعينه ألا ترى قوله (( كنت سمعه الذي يسمع به )) فأثبتك بإعادة الضمير إليك ليدلك عليك وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول فكأنه أثبت حالا ومحلا فمن فصل نفسه عن الحق فنعم ما فعل ومن وصل فكأنه شهد على نفسه بأنه كان مفصولا حتى اتصل والشيء الواحد لا يصل نفسه وما ثم إلا ذاته ومصنوعاته . وقال أيضا : الحادث لا يخلو من الحوادث ولو حل بالحوادث القديم لصح قول أهل التجسيم فالقديم لا يحل ولا يكون محلا ومن ادعى الوصل فهو في عين الفصل . وقال أيضا : أنت أنت وهو هو فإياك أن تقول كما قال العاشق أنا من أهوى ومن أهوى أنا فهل قدر هذا أن يرد العين واحدة لا والله ما استطاع فإنه جهل والجهل لا يتعقل حقا ولا بد لكل أحد من غطاء ينكشف عند لقاء الله . وقال أيضا : إياك أن تقول : أنا هو وتغالط فإنك لو كنت هو لأحطت

به كما أحاط تعالى بنفسه ولم تجهله في مرتبة من مراتب التكررات .  
 وقال أيضا : اعلم أن العاشق إذا قال : أنا من أهوى ومن أهوى أنا فإن  
 ذلك كلام بلسان العشق والمحبة لا بلسان العلم والتحقيق ولذلك يرجع أحدهم  
 عن هذا القول إذا صحا من سكرته . وقال أيضا : من أعظم دليل على  
 نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلا أن القمر ليس  
 فيه من نور الشمس شيء وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها وإنما كان  
 القمر محلا لها فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء ولا حل فيه الحق إذ  
 لو كان عين الحق أو حل فيه لما كان تعالى قديما ولا بديعا . وقال  
 أيضا: لو صح أن يرقى الإنسان عن إنسانيته والملك عن ملكيته ويتحد  
 بخالقه تعالى لصح انقلاب الحقائق وخرج الإله من كونه إلها وصار  
 الحق خلقا والخلق حقا وما وثق أحد بعلم وصار المال واجبا ولا سبيل  
 إلى قلب الحقائق أبدا . وقال أيضا : لا يصح أن يكون الخلق في رتبة  
 الحق تعالى أبدا كما لا يصح أن يكون المعلوم في رتبة العلة : وقال  
 أيضا : من كمال العرفان شهود عبد ورب وكل عارف نفي شهود  
 العبد في وقت ما ليس هو بعارف وإنما هو في ذلك الوقت صاحب  
 حال وصاحب الحال سكران لا تحقيق عنده . وقال أيضا : لا يترك  
 الأغيار فلو ترك تعالى الخلق من كان يحفظهم ويلحظهم لو تركت  
 الأغيار لتركت التكاليف التي جاءت بها الأخبار ومن ترك التكاليف كان  
 معاندا عاصيا أو جاحدا فمن كمال التخلق بأسماء الحق الاشتغال بالله  
 وبالخلق . وقال أيضا : لا يقدر أحد ولو ارتفعت درجات مشاهدته أن  
 يقول : إن العالم عين الحق أو اتحد به أبدا . وانظر إلى ذاتك يا أخي  
 فتعلم قطعا أنك واحد لكن تعلم أن عينك غير حاجبك ويدك غير رجلك  
 إلى غير ذلك وأن هذه الأعضاء تفاصيل في عين ذاتك لا يقال إنها  
 غيرك . قال : ومن فهم ما أومأنا إليه فهو الذي يفهم قوله تعالى: { قل

الروح من أمر ربي { فلم يحدث بإبتداعه العالم في ذاته حادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اهـ بنقل الشعراني رضي الله عنه من الفتوحات ولواقح الأنوار . وقال الشعراني رضي الله عنه أيضا : كان سيدي علي بن وفا رحمه الله يقول : المراد بالاتحاد حيث جاء في كلام القوم فناء مراد العبد في مراد الحق تعالى كما يقال بين فلان وفلان اتحاد إذا عمل كل منهما بمراد صاحبه ثم ينشد :

### وعلمك أن كل الأمر أمري هو المعنى المسمى باتحاد اهـ

ثم قال: ولعمري إذا كان عباد الأوثان لم يتجرؤوا على أن يجعلوا آلهتهم عين الله بل قالوا { ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى } فكيف يظن بأولياء الله تعالى أنهم يدعون الاتحاد بالحق على حد ما تتعلق العقول الضعيفة هذا كالمحال في حقهم رضي الله تعالى عنهم وأنها خارجة عن جميع معلومات الخلائق لأن الله بكل شيء محيط . ثم قال: وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : لا يجوز أن يقال إنه تعالى في كل مكان كما تقوله المعتزلة والقدرية محتجين بنحو قوله تعالى : { وهو الله في السماوات وفي الأرض } لإيهامه أنه يحل بذاته في ذلك المكان . ثم قال : وسمعت أخي الشيخ الصالح زين العابدين سبط المرصفي رحمه الله يقول : المراد بكون الحق في السماوات والأرض نفوذ الأوامر والنواهي ووقوع الحوادث على وفق الإرادة . والله أعلم . وقال في أول الباب: إذا القول بالحلول والاتحاد يؤدي إلى أنه في أجواف السباع والحشرات والحشوش وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. اهـ من اليواقيت . قلت : وقد أجاب سيدنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه عن شطحات ساداتنا الأولياء رضي الله عنهم بجواب حسن يزيل الإشكال عنها ونصه بعد كلام فاعلم أن الشطحات التي صدرت من أكابر العارفين ما يوهم أو يقتضي أن لهم شفوقا وعلوا

على مراتب النبيين والمرسلين مثل قول أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه : خضنا بحرا وقفنا الأنبياء بساحله . ومثل قول الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه : معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه . ومثل قول ابن الفارض رضي الله عنه :

ودونك بحرا خضته وقف الألى  
بساحله صونا لموضع حرمتي  
وكقوله :

واني وإن كنت ابن آدم صورة  
فلي فيه معنى شاهد بأبوتي  
إلى أن قال :

وفي المهد حزبي الأنبياء وفي عنا  
صر لوحى المحفوظ والفتح سورتي  
وكقوله أيضا :

فحي على جمعي القديم الذي به  
وجدت كهول الحي أطفال صبوتي  
ومن فضل ما أسأرت شرب معاصري  
ومن كان قلبي فالفضائل فضلتني  
وكقوله في الكافية :

كل من في حماك يهواك لكن  
أنا وحدي بكل من في حماك  
وكقول بعض العارفين : نهاية أقدام النبيين بداية أقدام الأولياء .

والجواب عن هذه الشطحات أن للعارف وقتاً يطراً عليه الفناء والاستغراق حتى يخرج بذلك من دائرة حسه وشهوده ويخرج عن جميع مداركه ووجوده لكن تارة يكون ذلك في ذات الحق سبحانه وتعالى فيتدلى له من قدوس اللاهوت من بعض أسرارهِ فيضاً يقتضي منه أنه يشهد ذاته عين الحق لمحقه فيها واستهلاكه فيها ويصرح في هذا الميدان بقوله : سبحاني لا إله إلا أنا وحدي إلخ من التسيبحات ، كقوله : جلت عظمتي وتقديس كبريائي . وهو في ذلك معذور لأن العقل الذي يميز به الشواهد والعوائد ويعطيه تفصيل المراتب بمعرفة كل بما يستحقه من الصفات غاب عنه وانمحق وتلاشى واضمحل وعند فقد هذا العقل وذهابه وفيض ذلك السر القدسي عليه تكلم بما تكلم به بالكلام الذي وقع فيه خلقه الحق فيه نيابة عنه فهو يتكلم بلسان الحق لا بلسانه ومعرباً عن ذات الحق لا عن ذاته ومن هذا الميدان قول أبي يزيد البسطامي : سبحاني ما أعظم شأنِي . وقول الحلاج : أنا الحق وما في الجبة إلا الله . وكقول بعضهم : فالأرض أرضي والسماء سمائي . وكقول التستري رضي الله عنه :

انظر أنا شيء عجيب لمن يراني أنا المحب والحبيب ثم ثاني

وكقوله :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا  
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

وأقوال ابن الفارض مثل هذه كثيرة وهذا مما يعطيه الفناء والاستغراق في ذات الحق وهذا أمر خارج عن المقال يدرك بالذوق وصفاء الأحوال فلا يعلم حقيقته إلا من ذاقه .

وتارة يكون الاستغراق للعارف والفناء في ذات النبي ﷺ فيتدلى له ﷺ ببعض أسرارهِ فإذا كسيت ذاته ذلك السر فلا يشهد ذاته إلا ذات النبي ﷺ ويعلمه الله ببعض ما اختص به نبيه ﷺ من الخصوصيات التي لا مطمع فيها لغيره ﷺ فيتكلم بلسان النبي ﷺ نيابة عنه ببعض ما اختص الله به نبيه ﷺ من الخصوصيات العظام ما له به علو وشرف وشفوف على مراتب جميع النبيين والمرسلين فهو يخبر عما أعطى الله نبيه ﷺ مخبراً عن نفسه ، فمن يسمعه يظن أنه ينسبه لنفسه وإنما نسبه للنبي ﷺ لغيبته في ذاته فإذا انفصل عن هذا الفناء والاستغراق ورجع لحسه وشاهده تبرأ من ذلك لعلمه بمرتبته وسق هذا المساق في كل ما تسمع من الشيوخ مما يقتضي أن لهم شفوقاً على مراتب النبيين والمرسلين مثل قول الدسوقي رضي الله عنه :

**أنا كنت في رؤيا الذبيح فداؤه وما أنزل الكبش سوى بفتوتي**

**أنا كنت مع أيوب في زمن البلاء وما شفيت بلواه إلا بدعوتي**

وأكثر من هذا رضي الله عنه فكل ذلك لفنائهِ في ذات النبي ﷺ مترجماً عن مقامه ﷺ . ثم قال رضي الله عنه : وهذا يغني في الجواب ومن وراء ذلك ما لا يلحقه العقل ولا يأتي عليه القول ولا يحل ذكره لبعده عن الأفهام والسلام . ثم قال رضي الله عنه : هذا الذي ذكرناه من فناء العارف في ذات الله وفي ذات النبي ﷺ ليس هو لكل العارفين ولا في كل وقت من أوقات من يقع له بل هو خاص ببعض الأوقات لبعض العارفين والسلام . والله در القائل :

**كلام الأولياء لست أفهم لأنني أنا أنا وهم هم**

قال الشعراني رضي الله عنه : جميع من شطح عن ظاهر الشريعة إنما هو دخيل فيهم أو غلب عليه حال أو كان مبتدءاً في الطريق ، وأما الكاملون كالجنيد وأضرابه فطريقهم محررة على

الأدب تحرير الذهب إذ هم حماة الدين رضي الله عنهم أجمعين . قلت: وقد أتى من كلام الولي العارف بالله تعالى سيدنا ومولانا أحمد بن محمد بكه الشهير بأحمد بمبا كثير من هذا النوع حتى جهل مقامه كثير من عامة أهل بلده حتى نسبه أعداؤه إلى أشياء كثيرة هو بريء منها لجهلهم بكلام القوم وإشاراتهم لأنهم كما قيل إن لهم السنة أعجمية على غير أهلها وهي لأهلها لسان عربي مبين . ولقد تتبعت تأليفه وقصائده فما رأيت منها أثرا ولا عينا مما نسبوه إليه ولم يتكلم إلا على لسان أهل السنة والجماعة ممن تقدمه من العارفين والأولياء وربما شطح في بعض تأليفه وأتى بإشارات لا يعلمها إلا العلماء الراسخون في العلم وأما الشطح فقد علمت ما فيه من كلام شيخنا المتقدم وكلام الإمام الشعراني وغيرهما رضي الله عنهم . وأما الإشارات فكثيرة منها قوله :

هدمت بالخط بناء موت لي نحا وقد رفعت صوتي  
هذا منه رضي الله عنه حث على طلب العلم ومدح له وإشارة إلى أن  
العلماء لا يموتون بموت أجسادهم لبقاء ذكركم وصيتهم أبدا ما دام العلم  
لم يرفع ولا سيما الكُمَّل من الأولياء الذين أعطاهم الله تعالى التصرف بعد  
الموت بروحانيتهم إلى الموارد والمستغيثين بجاههم كما كان لسيدي  
أحمد البدوي وغيره ممن لا نطول بذكره لشهرة هذا الأمر عند القوم. قال  
اليوسي في داليته :

وذوو البصائر في الحياة بعد موته والغمر مفقود وإن لم يفقد

وقال آخر :

أخو العلم حي خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم  
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يعد من الأحياء وهو عديم



ومنها قوله :

إذا كتبت اهتز عرش الملك واهتز بالتسبيح كل ملك  
هذا كله اقتباس وإشارة منه رضي الله عنه إلى أن الكتابة من  
الأشياء التي وردت أن العرش يهتز بسببها لكونها مرضية عند الله  
أومسخوطة له تعالى كبكاء اليتيم ونحو ذلك . ومنها قوله : ماء مدادي  
كدماء الشهداء الخ . هذا منه رضي الله عنه إشارة إلى حديث : وزن  
مداد العلماء بدماء الشهداء فرجح عليها أو كما ورد . أي فرجح مداد  
العلماء على دماء الشهداء وذلك لأن الشهداء قد أراقوا دماءهم في  
إثبات الدين والعلماء قد أراقوا مدادهم في حفظه بعد ذهاب الشهداء  
ولولا العلماء لاندرس الدين ورجع كما كان أولاً فرجحوا على الشهداء  
من هذا الوجه . ومنه قوله :

ناجاني الحق بلا استدراج وجاد لي بأحسن الخراج  
وقوله في أرجوزة أخرى :

ناجيت اليوم بحمد وشكور في المؤمنين يا ولي يا شكور  
هذا إشارة منه رضي الله عنه إلى أنه يناجي ربه طول يومه  
بالدعاء وقراءة القرآن والصلاة فإذا كان المصلي يناجي ربه فربه  
تبارك وتعالى يناجيه بالثواب وإجابة الدعاء على حد إذا تقرب إليّ  
بشبر تقربت إليه بباع وإن أتاني يمشي أتيته هرولة . ومنها قوله :  
يسر لي المنا لدى لبرولي من قاد لي ما غاب عن كل ولي  
وقوله:

إليّ قاد الله ما لم يكن ولا يكون أبداً لممكن  
صدق والله فيما قال لأن كل واحد من الأولياء يختص بما لا يشاركه  
فيه غيره وإن كان أعلى مقاما منه كما قال شيخنا ومولانا أحمد التجاني  
رضي الله عنه في بعض أجوبته عن شطحات الأولياء : إن الله تعالى

يفيض على كل ولي في حضرته من الخيرات الكثيرة والمنح الجسيمة ما لا يعلم قدره إلا معطيه. وكل واحد من العارفين له حضرة خاصة به وربما اشترك في الحضرة الواحدة جماعة لكنهم يتفاوتون فيها بحسب القسم الإلهي . ثم قال : فإذا عرفت هذا فاعلم أن الله تعالى قد يمنح بعضهم إسرارا خاصة في الحضرة الخاصة والمشاركة ويقال له : هذا لم يعط لأحد قبلك ولا يعطى لأحد بعدك فيتكلم به ويصرح بأنه في أعلى المراتب والمقامات ويأتي من بعده فيقول مثل مقالته أو أكثر ويأتي آخر وآخر حسبما هو معلوم من شطحات الأولياء . ومنها قوله :

أعطاني الذكر الحكيم من جعل عمري أكبر رضاه فأنجعل

وأعطاني كذا وفعل لي كذا وأمني من كذا كما هو مشتهر عنه . وكان رضي الله عنه يتكلم بلسان التحدث بالنعمة وحسن الظن بربه كما قال تعالى : { وأما بنعمة ربك فحدث } وفي قوله في حديث قدسي: (( أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء )) وأنت ترى الكمل من العارفين يبشرون أتباعهم وأحبابهم بأمر اعتمدوا فيها على قوة حسن ظنهم بربهم عملا بالحديث المذكور فإذا سمعه من لا علم له يظن بهم ما هم بريئون منه من الأمان بمكر الله حاشا ساداتنا الأولياء من ذلك كيف يتحلون بحلة الأمان من مكر الله وهم أعلم علماء الأمة كلهم بالله وأفهمهم جميعا بكتابه وأعمل منهم على مقتضى الكتاب والسنة ؟ أيصطفاهم الله من عباده الذين اصطفى ثم يؤمنهم من مكره بعدما قال في كتابه : { ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون } ؟ هذا لا يكون أبدا ولهذا قال بعض أكابر طريق الفقه الظاهري مبنية على البحث والتحقيق وطريق التصوف وهو الفقه الباطني أي بنوعيه فقه المعاملة والمكاشفة كما تقدم مبنية على التسليم والتصديق فما علمته من أقوالهم وعرفت مخرجه ومصرفه وتأويله فاتبعه وما لا فسلم ولا تتعرض اهـ قلت:

فإن سلمت فإن لم يكن لك نصيب من الأجر لا يكون عليك كفل من الوزر وأمثال هذه الإشارات كثيرة في كلامه رضي الله عنه انظر كيف أدى بأهل البلد الجهل بهذا السيد إلى أن افتروا له أمورا ونسبوه إلى أشياء لا يصدر شيء منها من أدنى المؤمنين فضلا عن أمثاله في العلم والولاية ومحبة الرسول ﷺ واقتفاء آثاره فصار رضي الله عنه عند جهلة بلده كسيدنا عيسى عليه السلام بين أهل الكتاب كما قال تعالى فيهم : { قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل } أي لا تغلوا في دينكم في شأن عيسى فترفعوه إلى أن تدعوا له الإلهية أو تضعوه فترعموا أنه لغير رشده . كما في البيضاوي . ولقد بلغ الجهل بهذا السيد في حق أقوام حتى أنكروا طريقته الخاصة به التي تفرعت من مجموع ثلاث طرق القادرية والشاذلية والتجانية وسماها الورد المأخوذ عن الله بواسطة رسول الله ﷺ وأبعد وأنيل طريقة مستقلة من أمثاله واعتمدوا على ذلك بدلائل مبنية على الظن والتخمين لجهلهم بحقيقة طريق القوم ، منها قولهم كيف يصح سلوكه على هذه الثلاثة مع أن التجانية لا تجمع مع غيرها لشروط التفرد بها ؟ فالجواب عن ذلك أنه سلك بها على طريق الصدق والمحبة التي هي أس طريق القوم لا على طريق الالتزام والجلوس على بساط تربيتها لأنها شرط فيه التفرد لمن أريد به حمل شرط الشيخ رضي الله عنه الخاص بطريقته الخاصة به هو السلوك بالتربية والإرشاد وأما المحبة والتعظيم والاحترام فلم يجيء شريعة من الشرائع فضلا عن طريقة من الطرق بالأمر بتفريد المحبة لنبي واحد من الأنبياء أو ولي واحد من الأولياء قال تعالى : { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله } وقال أيضا : { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا

أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنِ آمَنُوا بِمَثَلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ { فيلزم من الإيمان بجميع ما أنزل الله تعالى من كتبه وعدم التفرقة بين أحد من رسله محبة جميعهم واحترامهم وتعظيمهم لأن من اعتقد أن فلانا على هدى من ربه فلا ريب أنه يحبه وإن لم يسلك على طريقته ويلزم حضرته . وإذا كان عند ذكر الصالحين تنزل الرحمات كما ورد فما بالك بمحبتهم وخدمتهم ولو بالذكر الجميل حتى قيل: إن منهم من إذا نظر إليك نظرة رضى تسعد سعادة لا شقاوة بعدها أبدا . ومنهم من إذا مر على جماعة من العصاة فسلم عليهم أمنهم الله من عذابه ، ومنهم من إذا نظرت إليه أو صليت خلفه تسعد . ومنهم من إذا أكل طعامك أو أكلت طعامه أو شربت من مائه تسعد . ومنهم من إذا نكح منك أو نكحت منه تسعد . ومنهم من إذا أحببته أو سمعت اسمه أو عاصرته تسعد . ومنهم من إذا دعوت له أو دعا لك تسعد . ولو كان الذي حصلت له هذه المذكورات معهم ولد زنا الذي ورد فيه : فرخ الزنا لا يدخل الجنة . فإنه يسعد كما ذكره الشيخ في جواهر المعاني وذكر في الرماح من هذه الكرامات كثيرا فانظره . فإذا كان من فضائل شيخنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه أن من أحبه من العامة ولو لم يأخذ ورده فإنه لا يموت إلا إذا نال مناه من الولاية فما ظنك بأمثال هذا السيد الذي امتلأ قلبه بل كله بمحبة النبي ﷺ ومحبة كمل أولياء أمته أجمعين فصار يستمد من روحانيتهم بعروة محبته الوثقى . ومنها ظن بعضهم أن المراد بالختمية في مقام شيخنا أحمد التجاني رضي الله عنه أن لا ولي بعده أو لا طريق بعده أصلا وليس الأمر كما ظنوه وإنما امتنع بعدها إتيان طريق جديدة لم تدخل في

طريقة واحدة مما قبلها كما كانت طريقتنا التجانية كذلك لأنها محمديّة لم تدخل في واحدة وغيرها إما داخلّة في الشاذليّة أو في غيرها وسيأتي إن شاء الله في خاتمة هذه الرسالة تحقيق ما في هذه المسألة. ثم إنني أنبهك هنا على أمرين :

**الأول** أن التجاني يأتي على معان منها النسبة إلى القبيلة المشهورة في بلاد المغرب ومنها التعلق والسلوك على الطريقة التي ظهرت في يد هذا القطب المنتسب إلى تلك القبيلة ، ومنها المحبة والاعتقاد كما يقال فلان فلاني إذا كان محبا له ويخاصم فيه ويذب عن عرضه إذا التقى مع أعدائه ومنكريه فلا شك أن من أحب شيخنا أحمد التجاني رضي الله عنه واعتقد فيه ينبغي إذا التقى مع منكريه ومبغضيه فحاضوا في أمره بالإنكار وشرعوا في حطه فإنه ينكر عليهم ويذب عن عرضه إن قدر على ذلك فيكون تجانيا في قيامه عند هؤلاء المنكرين المبغضين وإن لم يكن تجانيا على المعنى الثاني كما يجد واحد من المسلمين يهوديا يحط على سيدنا عيسى عليه السلام فلا ريب أنه يقوم له عليه السلام ويرد عنه وإن لم يتعبد على شرعه فهذا الثالث لا يبعد أن يستمد من روحانية الشيخ مددا يجد بركته في طريق سلوكه كما يستمد بعض الكمل من أولياء هذه الأمة من روحانية بعض الأنبياء ممن لم يتعبدوا بشرعهم وكما اجتمع الحاتمي مع الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنهما قبل ولادته اجتماعا برزخيا وعلمه العلامة التي أخفاها الله منه كما يسأتي بيانه إن شاء الله في الخاتمة .

**والثاني** : أن تعلم أن من بلغنا من الأولياء أنهم قد جمعوا طريقتنا هذه مع غيرها في التلقين والإرشاد إنهم على مثل هذا القطب رضي الله عنه لأنهم لو أنكروا عليه ما أثبتوا طريقتهم حتى يلقنوها لمواريدهم بل إنما نشاهد الجمع من اجتهادهم فيها لعلمهم بأن طرق أهل الله تعالى متحدة

في الأصل وإن اختلفت في الاجتهاد فلا يفوتهم الأجر لأن من اجتهد فأصاب يكون له أجران ومن اجتهد فأخطأ يكون له أجر واحد وإن أضافوا هذا الأجر مع محبتهم له وتعظيمهم لجنابه رضي الله عنه ومقاصدهم الحسنة فإن لم يصبها وابل فطل فعلى هذا ينبغي لنا حمل ما يبلغنا عنهم وهو أولى من المبادرة على اقتحام خطر الإنكار عليهم بادي الرأي .

ولنرجع إلى ما نحن بصدد من كلام صاحب المنازل وشارحه في الفناء . ثم قال: وهذا الفناء يحمد منه شيء ويذم منه شيء ويعفى منه شيء ، فيحمد منه فناؤه عن حب ما سوى الله وعن خوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة به والالتفات إليه بحيث يبقى العبد ظاهراً وباطناً كله لله . وأما عدم الشعور والعلم بحيث لا يفرق صاحبه بين نفسه وغيره ولا بين الرب والعبد مع اعتقاده الفرق ولا بين شهوده ومشهوده بل لا يرى سوى ولا الغير فهذا ليس بمحمود ولا وصف كمال ولا هو مما يرغب فيه ويؤمر به بل غاية صاحبه أن يكون معذوراً لعجزه وضعف قلبه وعقله عن احتمال التمييز والفرقان وإنزال كل ذي منزلة منزلته موافقة لداعي العلم ومقتضى الحكمة وشهود الحقائق على ما هي عليه والتمييز بين القديم والمحدث والعبادة والمعبود فينزل العبادة منازلها ويشهد مراتبها ويعطي كل مرتبة منها حقها من العبودية ويشهد قيامه بها فإن شهود العبد قيامه بالعبودية أكمل في العبودية من غيبته عن ذلك فإن أداء العبودية في حال غيبة العبد عنها وعن نفسه بمنزلة أداء السكران والنائم . وأداؤها في كمال يقظته وشعوره بتفاصيلها وقيامه بها أتم وأكمل وأقوى عبودية . فتأمل حال عبيد في خدمة سيدهما أحدهما يؤدي حقوق خدمته في حال غيبته عن نفسه وعن خدمته لاستغراقه بمشاهدة سيده والآخر يؤديها في حال

كمال حضوره وتمييزه وإشعار نفسه بخدمة السيد وابتهاجها بذلك فرحا بخدمته وسرورا والتذاذا منه واستحضارا لتفاصيل الخدمة ومنازلها وهو مع ذلك عامل على مراد سيده فأبي العبدین أكمل ؟ فالفناء حظ الفاني ومراده والعلم والشعور والتمييز والفرق وتنزيل الأشياء منازلها وجعلها في مراتبها حق الرب ومراده ولا يستوي صاحب هذه العبودية وصاحب تلك . نعم هذا أكمل حالا من الذي لا حضور له ولا مشاهدة بل هو غائب بطبعه ونفسه عن معبوده وعن عبادته ، وصاحب التمييز والفرقان وهو صاحب الفناء الثالث الآتي ذكره أكمل منهما . فزوال العقل والتمييز والغيبة عن شهود نفسه وأفعاله لا يحمده فضلا عن أن يكون في أعلى مراتب الكمال بل يذم إذا تسبب إليه وباشر أسبابه وأعرض عن الأسباب التي توجب له التمييز والعقل ويعذر إذا ورد عليه ذلك بلا استدعاء كأن كان مغلوبا عليه كما يعذر النائم والمغمى عليه والمجنون والسكران الذي لا يذم على سكره كما لموجز والجاهل بكون الشراب مسكرا ونحوهما وليس أيضا هذه الحال بلازمة لجميع السالكين بل هي عارض لبعضهم منهم من يبتلى بها كأبي يزيد وأمثاله رضي الله عنهم . ومنهم من لا يبتلى بها وهم أكمل وأقوى . فالصحابه رضي الله عنهم وهم سادات العارفين وأئمة الواصلين المقربين وقدوة لم يكن منهم من ابتلى بذلك مع قوة إرادتهم وكثرة منازلاتهم ومعاينة ما لم يعاينه غيرهم ولا شم له رائحة ولم يخطر على قلبه فلو كان هذا الفناء كمالا لكانوا هم أحق به وأهله وكان لهم منه ما لم يكن لغيرهم ولا كان هذا أيضا لنبينا ﷺ ولا حالا من أحواله ﷺ ولهذا في ليلة المعراج لما أسري به وعاین مما أراه الله إياه من آياته الكبرى لم تعرض له هذه الحال بل كان كما وصفه الله عز وجل بقوله { ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى } وقال أيضا : { وما

جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس { وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هو رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به ومع ذلك فأصبح بينهم لم يتغير عليه حاله ولم يعرض له صعق ولا غشي يخبرهم عن تفاصيل ما رأى غير فان عن نفسه ولا عن شهوده ، ولهذا كانت حاله أكمل من حال موسى بن عمران صلى الله عليهما وسلم لما خر صعقا من تجلي الله للجبل وجعله دكا . وعبارته في باب السر: والصحيح أن أهل الطبقة الثانية أعلى من هؤلاء وأرفع مقاما وهم الكمل وهم أقوى منهم كما كان مقام رسول الله ﷺ ليلة الإسراء أرفع من مقام موسى عليه السلام يو التجلي ولم يحصل لرسول الله ﷺ من الفناء ما حصل لموسى ﷺ ، وكان حب امرأة العزيز ليوسف عليه السلام أعظم من حب النسوة ولم يحصل لها من تقطيع الأيدي ونحوه ما حصل لهن . وكان حب أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ أعظم من حب عمر رضي الله عنه وغيره ولم يحصل له عند موته من الاضطراب والغشي والإقعاد ما حصل لغيره فأهل الفناء له سببان أحدهما قوة الوارد وضعف المورد وهذا لا يذم صاحبه . والثاني نقصان العلم والتميز وهذا يذم صاحبه لا سيما إذا أعرض عن العلم الذي يحول بينه وبين هذا الفناء وذمه وذم أهله ورأى ذلك عائقا من عوائق الطريق فهذا هو المذموم المخوف عليه ولهذا عظمت وصية القوم بالعلم وحذروا من السلوك بلا علم وأمروا بهجر من هجر العلم وأعرض عنه وعدم القبول منه لمعرفةهم بمآل أمره وسوء عاقبته في سيره كما تقدم لنا في كلام الإمام الجنيد رضي الله عنه . وعامة من تزندق من السالكين فلاعراضه عن دواعي العلم وسيره على جادة الذوق والوجد ذاهبة به الطريق كل مذهب فهذا فتنته والفتنة به شديدة وبالله التوفيق . ثم قال : وأصل هذا الفناء الاستغراق في توحيد الربوبية وهو رؤية تفرد الله



بخلق الأشياء وملكها واختراعها وأنه ليس في الوجود قط إلا ما شاءه  
 وكونه فيشهد ما اشتركت فيه المخلوقات من خلق الله إياها ومشيبته لها  
 وقدرته عليها وشمول قيوميته وربوبيته لها ولا يشهد ما افتقرت فيه من  
 محبة الله لهذا وبغضه لهذا وأمره بما أمر به ونهيه عما نهى عنه  
 وموالاته لقوم ومعاداته لآخرين فلا يشهد التفرقة في الجمع وهي تفرقة  
 الخلق والأمر في جمع الربوبية تفرقة موجب الإلهية في جمع الربوبية  
 تفرقة الإرادة الدينية في جمع الإرادة الكونية تفرقة ما يحبه ويرضاه  
 في جمع ما قدره وقضاه ولا يشهد الكثرة في الوجود وهي كثرة معاني  
 الأسماء الحسنى والصفات العلى واقتضائها لآثارها في وحدة الذات  
 الموصوفة بها فلا يشهد كثرة دلالات أسماء الرب تعالى وصفاته على  
 وحدة ذاته فهو الله الذي لا إله إلا هو الرحمان الرحيم الملك القدوس  
 السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، وكل اسم له صفة وللصفة  
 حكم فهو سبحانه واحد الذات كثير الأسماء والصفات فهذه كثرة وحدة  
 والفرق بين مأموره ومنهيه ومحبوبة ومبغوضه ووليه وعدوه تفرقة في  
 جمع فمن لم يتسع شهوده لهذه الأمور الأربعة فليس من خاصة أولياء  
 الله العارفين بل إن أضاف شهوده عنها مع اعترافه بها فهو مؤمن ناقص  
 وإن جردها أو شيئاً منها فكفر صريح أو تأويل مثل أن يجحد تفرقة  
 الأمر والنهي أو جمع القضاء والقدرة أو كثرة معاني الأسماء والصفات  
 ووحدة الذات فليتدبر اللبيب السالك هذا الموضوع حق التدبر وليعرف  
 قدره فإنه مجامع طرق العلمين وأصل تفرقتهم قد ضبطت لكم معاقده  
 وأحكمت لك قواعده وبالله التوفيق . ثم قال : وإنما يعرف قدر هذا من  
 اجتاز القفار واقتحم البحار وعرض له ما يعرض لسلك القفر وراكب  
 البحر ومن لم يسافر ولم يخرج عن وطن طبعه ومرباه وما ألف عليه  
 أصحابه وأهل زمانه فهو بمعزل عن هذا فإن عرف قدره وكفى الناس

شره فهذا يرجى لها السلامة وإن عدا طوره وأنكر ما لم يعرفه وكذب بما لم يحط به علما ثم تجاوز إلى تكفير من خالفه ولم يقلد شيوخه ويرضى بما رضى هو به لنفسه فذلك الظالم الجاهل الذي ما ضرا إلا نفسه ولا أضع إلا حظه. ثم قال : ويعرض للسالك على درب الفناء معاطب ومهالك لا ينجيه منها إلا بصيرة العلم التي إن صحبتته في سيره وإلا فبسبيل من هلك . منها أنه إذا اقتحم عقبة الفناء ظن أن صاحبها قد سقط عنه الأمر والنهي لتشويشه على الفناء ونقضه والفناء عنده غاية العارفين ونهاية التوحيد فيرى ترك كل ما أبطله وأزاله من أمر ونهي أو غيرهما . ويصرح بعضهم بأنه إنما يسقط الأمر عن من شهد الإرادة وأما من لم يشهدا فالأمر والنهي لازم له ، ولا يعلم هذا المغروران غاية ما معه الفناء في توحيد أهل الشرك الذي أقروا به ولم يكونوا به مسلمين البتة كما قال تعالى : { ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله } وقال : { قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ، سيقولن الله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولن الله قل أفلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون الله قل فأنى تسحرون } وقال : { وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون } قال ابن عباس رضى الله عنهما : تسألهم من خلق السماوات والأرض فيقولون الله وهم يعبدون غيره . ومن كان هذا التوحيد والفناء فيه غاية توحيدة انسلخ من دين الله ومن جميع رسله وكتبه إذ لم يتميز عنده ما أمر الله به مما نهى عنه ولم يفرق بين أولياء الله وأعدائه ولا بين محبوبه ومبغوضه وبين المعروف والمنكر ، سوى بين المتقين والفجار والطاعة والمعصية ، بل ليس عنده في الحقيقة إلا طاعة لاستواء الكل في الحقيقة التي هي المشيئة العامة الشاملة. ثم صاحب هذا المقام يظن أنه

صاحب الجمع والتوحيد وأنه وصل إلى عين الحقيقة، وإنما وصل إلى الحقيقة الشاملة التي يدخل فيها إبليس وجنوده أجمعون وكل كافر مشرك وفاجر ، فإن هؤلاء كلهم تحت الحقيقة الكونية القدرية فغاية صاحب هذا المشهد وصوله إلى أن يشهد استواء المؤمنين الأبرار وأولياء الله الأخيار وخاصة عباده في هذه الحقيقة ومع هذا فلا بد له من الفرق والمواالات والمعاداة ضرورة فينسلخ عن الفرق الشرعي فيعود إلى الفرق الطبيعي النفسي فيوالي ويعادي ويحب ويبغض بحسب هواه وإرادته ، فإن الفرق أمر ضروري للإنسان فمن لم يكن فرقه قرآنيا محمديا فلا بد له من قانون يفرق به إما سياسة سائس فوqe أو ذوق منه أو من غيره أو رأي منه أو من غيره أو يفرق فرقا بهيميا حيوانيا بحسب مجرد شهوته وغرضه إن توجهت به . فلا بد من التفريق بأحد هذه الوجوه فلينظر العبد من الحاكم عليه في الفرق وليزن به إيمانه قبل أن يوزن وليحاسب نفسه قبل أن يحاسب وليستبدل الذهب بالخزف والدر بالبعر والماء الزلال بالسراب الذي { يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب } إلى أن قال : وأصحاب هذه الحقيقة إتباع كل ناعق يميلون مع كل صائح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق إذا تناهوا في حقيقتهم وأضافوا الجميع إلى الله إضافة المحبة والرضى وجعلوها عين المشيئة والخلق ضاهوا الذين قال الله تعالى فيهم : { وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء } وقولهم عن آلهتهم : { لو شاء الرحمن ما عبدناهم } وقوله : { إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها } فاحتجوا بإقرار الله لهم قدرا وكونا على رضاه ومحبته وأمره وأنه لو كره ذلك لحال بينهم وبينه ولما أقرهم عليه فجعلوا قضاءه

وقدره عين محبته ورضاه . وورثهم من سوى بين المخلوقات ولم يفرق بالفرق النبوي القرآني ، وطائفة من المشركين ذكرت ذلك معارضين لأمر الله ونهيه الشرعية وما بعث به رسله بقضائه وقدره فعارضوا الحقيقة الدينية الشرعية بالحقيقة الكونية القدرية ، وورثهم من يحتج بالقضاء والقدر في مخالفة الأمر والنهي وكلا الطائفتين أبطلت أمره ونهيه بقضائه وقدره ، وظنت طائفة ثالثة أن إثبات القضاء والقدر يبطل الشرائع والنبوات وأن المشركين احتجوا على بطلانها بإثباته فجعلت التكذيب به من أصول الإيمان بل أعظم أصوله فردت قضاء الله وقدره الشامل العام بأمره ونهيه . ثم قال : فانظر إلى اقتسام الطوائف هذا الموضوع واقتراقهم في مفرق هذا الطريق علما وخبرا وسلوكا وحقيقة ، وتأمل أحوال الخلق في هذا المقام تنكشف لك أسرار العالمين أين أنت وأين مقامك وتعرف ما جنى هذا الجمع وهذا الفناء على الإيمان وما خرب من القواعد والأركان وتتحقق حينئذ أن الدين كله فرقان في القرآن فرق في جمع وكثرة في وحدة كما تقدم بيانه وإن أولى بالله وكتبه ورسله ودينه ... أصحاب الفرق في الجمع فيقولون بالفرق بين ما يحبه الله ويبغضه ويأمر به وينهى عنه ويواليه ويعاديه علما وشهودا وإرادة وعملا مع شهودهم الجمع لذلك كله في قضائه وقدره ومشينته الشاملة العامة فيؤمنون بالحقيقة الدينية والكونية ويعطون كل حقيقة حظها من العبادة ، فحظ الحقيقة القيام بأمره ونهيه ومحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه وموالاته من والاه ومعاداة من عاداه ، وأصل ذلك الحب فيه والبغض فيه . وحظ الحقيقة الكونية إفراده بالافتقار إليه والاستعانة به والتوكل عليه والالتجاء إليه وإفراده بالسؤال والطلب والتذلل والخضوع والتحقق بأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا يملك أحد سواه لهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا

حياة ولا نشورا وأنه مقلب القلوب فقلوبهم ونواصيهم بيده وأنه ما من قلب إلا وبين أصبعين من أصابعه إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه ، فهذه الحقيقة عبودية ولهذه الحقيقة عبودية ولا تبطل إحداهما الأخرى بل لا تتم إلا بها ولا تتم العبودية إلا بمجموعهما وهذا حقيقة قوله : { إياك نعبد وإياك نستعين } بخلاف من أبطل حقيقة : { إياك نعبد } بحقيقة : { إياك نستعين } وقال إنها جمع و: { إياك نعبد } فرق وإذا غلا في هذا المشهد لم يستحسن حسنة ولم يستقبح قبيحة ويمدح بذلك ويقول: العارف لا يستحسن حسنة ولا يستقبح قبيحة لاستبصاره بسر القدر ، ومنهم من يقول : حقيقة هذا المشهد أن يشهد الوجود كله حسنا لا قبيح فيه وأفعالهم كلها طاعات لا معصية فيها لأنهم وإن عصوا الأمر فهم مطيعون المشيئة ويقول :

أصبحت منفعا لما تختاره مني ففعلي كله طاعات  
ويقول قائلهم : من شهد الحقيقة سقط عنه الأمر ، ويحتجون بقوله تعالى : { واعبد ربك حتى يأتيك اليقين } ويفسرون اليقين بشهود الحكم الكوني وهي الحقيقة عندهم، ولا ريب أن العامة خير من هؤلاء واصح إيمانا فإن هذه زندقة ونفاق وكذب منهم على أنفسهم ونبیهم وإلههم ، أما تكذيبهم على أنفسهم فإنهم لا بد أن يفرقوا قطعا فرغبوا عن الفرق النبوي والقرآني فوقعوا في الفرق النفسي الطبيعي مثل حال إبليس تكبر عن السجود لآدم ورضي لنفسه بالقيادة لفساق ذريته وما أحسن قول أبي نواس :

عجبت من إبليس في كبره وفي الذي أظهره من نخوته  
تاه على آدم في سجدة وصار قوادا لذريته  
ومثل المشركين تكبروا عن عبادة الله ورضوا لأنفسهم عبادة  
الأحجار والأوثان ، ومثل أهل البدع تكبروا عن تقليد النصوص وتلقي

الهدى من مشكاتها ورضوا لأنفسهم بتقليد أقوال مخالفة للفطرة والعقل والشرع ، ومثل الجهمية الأولى نزهوا الرب عن عرشه وجعلوه في أجواف البيوت والحوانيت والحمامات وقالوا : هو في كل مكان بذاته ونزهوه عن صفات كماله ونعوت جلاله حذرا بزعمهم من لتشبيهه فشبوهه بالجمادات الناقصة الخسيسة التي لا تتكلم ولا لها سمع ولا بصر ولا علم ولا حياة بل شبوهه بالمعدومات المممتنع وجودها إلى أن قال : القصد أن كل من أعرض عن شيء من الحق وجحدته وقع في باطل مقابل لما أعرض عنه من الحق وجحدته ولا بد حتى في الأعمال من رغب عن العمل لوجه الله وحده ابتلاه الله بالعمل لوجوه الخلق إلى أن قال : وكذلك من رغب عن الهدى بالوحي ابتلي بكناسة الآراء وزبالة الأذهان ووسخ الأفكار، إلى أن قال : ولا ريب أن العامة مع غفلتهم وشهواتهم أصح إيمانا من هؤلاء إذ لم يعطوا الأمر والنهي فإن إيماننا مع تفرقة وغفلة خير من شهود وجمعية يصحبها فساد الإيمان والانسلاخ منه . وأما كذبهم على نبيهم فاعتقادهم أنه إنما كان قيامه بالأوراد والعبادة لأجل التشريع لا أنها فرض عليه إذ قد سقط ذلك بشهود الحقيقة وكمال اليقين فإن الله عز وجل أمره وأمر سائر رسله بعبادته إلى حين انقضاء آجالهم فقال : { واعبد ربك حتى يأتيك اليقين } وهو الموت بالإجماع كما قال في الآية الأخرى عن الكفار: { وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين } وقال ﷺ (( أما عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين من ربه )) قاله لما مات عثمان . وقال المسيح : { إنني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا } فهذه وصية الله للمسيح وكذلك لجميع أنبيائه ورسله وأتباعهم . قال الحسن : لم يجعل الله لعبده المؤمن أجلا دون الموت . وإذا جمع هؤلاء التجهم في الأسماء والصفات إلى شهود

الحقيقة والوقوف عندها فأعاذك الله من تعطيل الرب وشرعه بالكلية فلا رب يعبد ولا شرع يتبع بالكلية . ثم قال بعد كلام : وإنما يصدق بهذا من رافق السالكين وفارق القاعدين وتبوا الإيمان وفارق عوائد أهل الزمان ولم يرض بقول القائل :

دع المعالي لا تنهض لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

ثم قال : الدرجة الثالثة من درجات الفناء فناء خواص الأولياء والأئمة المقربين وهو الفناء عن إرادة السوى شائما برق الفناء عن إرادة ما سواه سالكا سبيل الجمع على ما يحبه ويرضاه فانيا بمراد محبوبه منه عن مراده هو من محبوبه فضلا عن إرادة غيره قد اتحد مراده بمراد محبوبه أعني المراد الديني الأمري لا المراد الكوني القدري فصار المرادان واحدا وليس في العقل اتحاد صحيح إلا هذا والاتحاد في العلم والخبر فيكون المرادان والمعلومان والمذكوران واحدا مع تباين الإرادتين والعلمين والخبرين فغاية المحبة اتحاد مراد المحب بمراد المحبوب فهذا الاتحاد والفناء هو اتحاد خواص المحبين وفنائهم وقد فنوا بعبادة محبوبهم عن عبادة ما سواه وبحبه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة به والطلب منه عن حب ما سواه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة به والطلب منه قلت : وقد تقدم من كلام سيدي علي بن وفا رضي الله عنه أن المراد بالاتحاد في كلام القوم فناء مراد العبد في مراد الحق تعالى كما يقال بين فلان وفلان اتحاد إذا عمل كل منهما بمراد صاحبه إلى آخر ما قاله فراجع . ثم قال : ومن تحقيق هذا الكلام أن لا يحب إلا في الله ولا يبغض إلا فيه ولا يوالي إلا فيه ولا يعادي إلا فيه ولا يعطي إلا له ولا يمنع إلا له ولا يرجو إلا إياه ولا يستعين إلا به فيكون دينه كله ظاهرا وباطنا لله ويكون الله ورسوله أحب

إليه مما سواهما فلا يوادي من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب الخلق إليه  
بل :

### يعادي الذي عادي من الناس كلهم جميعا ولو كان الحبيب المصافيا

وحقيقة ذلك فناؤه عن هوى نفسه وحظوظها بمراضي ربه وحقوقه والجامع لهذا كله تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله علما ومعرفة وعملا وحالا وقصدا وحقيقة هذا النفي والإثبات الذي تضمنته هذه الشهادة هو الفناء والبقاء فيفني عن تأله ما سواه علما وإقرارا وتعبدا ويبقى بتأله وحده فهذا الفناء وهذا البقاء هو حقيقة التوحيد الذي اتفقت عليه المرسلون وأنزلت به الكتب وخلقت لأجله الخليقة وشرعت له الشرائع وقام عليه سوق الجنة وأسس عليه الخلق والأمر وحقيقة البراء والولاء البراء من عبادة غير الله والولاء لله كما قال تعالى : { قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برأؤ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده } { وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرنى فإنه سيهدين } وقال أيضا : { يا قوم إني بريء مما تُشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً } وقال الله تعالى لرسوله ﷺ { قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون } إلى آخرها . وهذه براءة منهم ومن معبودهم وسماها براءة من الشرك وهي حقيقة المحو والإثبات فيمحو محبة ما سوى الله عز وجل في قلبه علما وقصدا وعبادة كما هي محو من الوجود ويثبت فيه إلهيته سبحانه وحده وهي حقيقة الجمع والفرق فيفرق بين الإله الحق ومن أدعيت له الإلهية بالباطل ويجمع تأله وعبادته وحبه وخوفه ورجاءه وتوكله واستعانتة على إله الحق الذي لا إله سواه وهي حقيقة التجريد والتفريد فيتجرد عن عبادة سواه ويفرده وحده بالعبادة فالتجريد نفي والتفريد إثبات والجمع والتجريد وتفريد المتعلق بتوحيد الإلهية هو النافع والثمر المنجي الذي به تنال السعادة والفلاح ، وأما تعلقه بتوحيد الربوبية الذي أقر به المشركون عباد الأصنام فغايبته فناء في تحقيق توحيد مشترك بين



المؤمنين والكفار وأولياء الله وأعدائه لا يصير به وحده الرجل مسلماً فضلاً عن كونه عارفاً محققاً إلى آخر كلامه أنظره . قلت : وأين هذا الولاء والبراء الذي ذكره الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام وقومه وعن حبيبه محمد ﷺ وصحابته رضي الله عنهم من الولاء والبراء في بعض علماء بلادنا المتشبعين بما لم يعطوه من العلم ، الذين لا يوالون إلا من طمعوا في استمالة قلبه إليهم بالرياء والمداهنة والدعاوى الكاذبة والأقوال الباطلة والتصنعات العاطلة لكي يتمكنوا بذلك من اجتناء شهواتهم وحفظ أنفسهم وبيروؤن ممن لا يميل إلى شيطنتهم ويصيغ إلى زخرفتهم ولو كان من أكابر علماء السنة والجماعة بل ولو ارتقى إلى أعلى ذروة العلم والطاعة . { ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم } ولا ريب أن في حقهم يقول الولي العارف بالله سيدي عبد الرحمان الأخضرري رضي الله عنه :

فأين حال هؤلاء القوم	من سوء حال فقراء اليوم
قد ادعوا مراتبا جليلة	والشرع قد تجنبوا سبيله
قد نبذوا شريعة الرسول	فالقوم قد حادوا عن السبيل
لم يدخلوا دائرة الطريقة	فضلا عن دائرة الحقيقة
لم يدخلوا دائرة الشريعة	وأولعوا ببدعة شنيعة
لم يقتدوا بسيد الأنام	فخرجوا عن ملة الإسلام
لم يعملوا بمقتضى الكتاب	وسنة الهادي إلى الصواب
قد ملكت قلوبهم أوهام	فالقوم إبليس لهم إمام
كفاك في جميعهم خيانه	أن ختلوا الدنيا بالديانه
وانتهكوا محارم الشريعة	وسلكوا مسالك الخديعة

الخ . إلى غير ذلك من عبارات فحول العلماء وإشارات أكابر الحكماء مما يزيح الشك والتردد ويزيل الوهم والتذبذب عن قلب كل موفق ويعلم

به يقينا أن رؤية الباري جل وعلا في الدنيا لغيره ﷺ ممتعة شرعا ومشاهدة عن ذاته العلية بالقلوب ومعرفة حقيقتها مستحيلة أبدا وأن من ادعى الولاية والمعرفة بالله تعالى حالا ومقالا ولم يستقم على جادة الشرع قولا وفعلا ويقتف آثار خاتم الأنبياء ﷺ ظاهرا وباطنا ويتحلى بحلية : { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا } أمرا ونهيا فهو ضال مضل بإطباق علماء الأمة ومشايخ الإسلام ولو جلب ضعفاء العقول بخيله ورجله وشاركهم في ماله ونجله وأسكر قلوبهم بسماع غنائه وطبله فلا ريب أنه من مقدمات مسيح الدجال . ولو حصل له ما ملأ الخافقين من النساء والرجال وجمع أضعاف كنوز فرعون وقارون من الأموال فإنما عاقبته إيقاد نار الفتن بين المسلمين وإثارة نقع العداوة والشحناء بين المؤمنين حسبنا الله ونعم الوكيل فيمن هذا حاله ولا حول ولا قوة لنا معاشر أهل السنة إلا بالله العلي العظيم فيمن انتمى له فسيكفيهم الله وهو السميع العليم .

## الفصل السادس

في التحذير من إيقاظ الفتنة

والسعي فيما يوقد نارها بين المسلمين

وما جاء في ذلك من الوعيد:

اعلم أن الله تبارك وتعالى هو الذي سمانا بالمسلمين في كتبه المنزلة من قبل مجيء هذا الدين الإسلامي وفي كتابه الكريم وأمرنا جميعا بالاعتصام بحبل دينه ونهانا عن التفرق في آيات عديدة من كتابه العظيم فقال : {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } وقال تعالى أيضا : {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } وقال تعالى أيضا : { كَانِ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }

**قلت :** فوالله لو تمسكنا بحبل الله جميعا واجتمعنا على مذهب السنة والجماعة لما تفرقنا لعدم موجب التفرقة فيه وهل أتانا هذا التفرق الخبيث إلا من عند أنفسنا بغيا بيننا وحسدا حين تمنى كل واحد منا ما فضل الله به البعض على البعض فالأمر ببعض المفسدين منا إلى قوله تعالى : {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ } وكما قال تعالى في حق النصارى {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } .

**قلت:** فلما نسينا حظنا مما ذكرنا به من التمسك بحبل الله جميعا فصار كل طائفة منا يقول: إنا فلانيون وطريقتنا فلانية شنت شملنا فأغرى الله بيننا العداوة والبغضاء إلى أن يأتي بأمره، ولقد دب فينا داء الأمم من قبلنا وسرت عدوى اليهودية إلى ديننا. قال في روح البيان: قال الإمام: تفرقوا أي أهل الكتاب بأبدانهم بأن صار كل واحد من أولئك الأخبار رئيسا في بلد ثم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم يدعى أنه على الحق وأن صاحبه على الباطل. ثم قال: وأقول: إنك إذا أنصفت علمت أن أكثر علماء هذا الزمان صاروا موصوفين بهذه الصفة، فنسأل الله العفو والرحمة اهـ قال تعالى: { وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله } . وفي الحديث لما أنزل هذه الآية خط رسول الله ﷺ خطا فقال: هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وشماله خطوطا فقال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه. قال في روح البيان بعدما ذكر هذا الحديث: فعلى العاقل أن يسلك إلى صراط التوحيد ولوازمه وحقوقه ويتجنب عن سبيل الشيطان وأسباب الدخول فيها اهـ . وفي الحديث: (( يد الله مع الجماعة )) . وفيه أيضا: (( من فارق الجماعة قيد شبر لم ير بحبوة الجنة )) . وقال أيضا: (( ستفترق أمتي اثنين وسبعين فرقة الناجية منهم واحدة ، قالوا يا رسول الله ومن الفرقة الناجية ؟ قال: من كانوا على ما أنا فيه وأصحابي )) وفي رواية: (( افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة وافتترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية واحدة )) . **قلت:** فوالله قد آل بنا الأمر إلى ما لا فرق بيننا وبين أهل الكتاب إلا الاسم ولم يبق من القرآن إلا الرسم كما في حديث: (( يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه قلوبهم خربة من الهدى ومساجدهم عامرة بأبدانهم شر من تظل السماء يومئذ علماؤهم ، منهم تخرج الفتنة وإليهم تعود )) . قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ

في شيءٍ إنما أمرهم إلى الله ثم يُنبئهم بما كانوا يفعلون { . قلت : ألا نخاف معاشر المسلمين المعاصرين اليوم أن لا يكون النبي ﷺ في شيء منا حيث تفرقنا الآن شيعا وصرنا فرقا فإن هذه الآية وأمثالها وإن نزلت على علماء أهل الكتاب فإنها تجر بذيلها على الفسقة من علماء الإسلام عامة وعلى المسمى بالعلماء في بلادنا خاصة حيث كانوا في بلادنا شيعا قادرية وتجانية ومريدية كل فرقة تنكر على الأخرى وتدعي عليها بالأباطيل وتفترى كل الافتراء على الغير بالكفریات ، وعدلوا عن التسمية بالمسلمين كما سماهم الله تبارك وتعالى في كتبه إلى التسمية بأنا قادري ، أنا تجاني ، أنا مريدي وبالأسوء أنا درهملي . ثم إلى الانتساب إلى الشيوخ إذا اجتمعوا كل واحد يفرد شيخه بالذكر الحسن وينوه ذكره على غيره من معاصريه ويقول: شيخي أكثر جماعة وأتباعا من شيخ فلان ، شيخي هو القطب وله من الكرامات كذا وكذا ومن لم يتلمذ له فهو ضال مضل ، بل هو كافر بالكلية والعياذ بالله وقصده في ذلك تزكية نفسه والتعريض على أنه أفضل من المخاطب حيث أنه أفضل منه شيخا ثم يقوم غيره بالنفس والعصبية لحسبه فيكذبه على ما يقول وأن شيخه أولى بما يقول هذا الناعق في شيخه فتتشب نار الخصومة وتلتهب جمر العداوة والشحناء بينهم . ولقد صدق على هؤلاء إبليس ظنه فاتبعوه إلا قليلا منهم فصار كل طائفة يوالي من والى شيخه ويناوئ من لم ينضم إلى جماعته . فإذا لقوا الذين آمنوا ، والحال ما انضموا إلى جماعة شيخهم وإن لهم حاجة لا تنقضي إلا بهؤلاء قالوا أمنا بشيخكم بأنه هو وبأنه فوق ما تقولون وتعتقدون فيه . وإذا خلوا إلى شياطينهم ، أي رجعوا إلى رؤساء جماعة شيخهم وأمثالهم في بغض الصالحين ممن ليس بشيخهم قالوا إنا معكم . أي في محبة شيخنا سيدي فلان وفي حط من سواه من معاصريه . وإنما نحن مستهزئون، أي بسيدي فلان وجماعته الذين التقينا معهم أنفا لحاجة عرضت إليهم وقد نبذوا وراء

ظهورهم الأخوة الإسلامية التي جمعهم الله تعالى بها في قوله : { إنما المؤمنون إخوة } وفي قوله: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } . وفي قوله ﷺ (( المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره )) . وفي قوله : (( المؤمن مرآة المؤمن ، المؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضغينته ويحوطه من ورائه )) . فصارت الأخوة فيهم تابعة للشيخوخة فلا يتناكحون إلا مع من كان من جماعة شيخهم ولا ينصحون إلا له ولا يعظمون من العلماء ويوقرونه ويقومون بضيافته وإكرامه إلا عالما كان من شيعة شيخهم ، وأما غيره فهو والكلب سواء عندهم ، واضمحت حرمة العلم بل حرمة الإسلام عن لم يتعلق بشيخهم فيقوم شعراء كل طائفة بحصائد ألسنتهم في مدح شيخ طائفهم بالأناشيد والأغاريد ويحطون غيره باللسان والتعريض يختطفون بذلك دراهم هذه الطائفة ، وبعضهم إنما يبني موالاته على طائفة شيخ يرجو قضاء حوائجه ونيل مآربه منه أو من جماعته فينتقوى على استجلاب مودتهم بذكره بالخير دون غيره وبتخصيصه بمقام التسليك والتربية دون من سواه عند هؤلاء الضالين المكذبين فيتمكن بذلك على استخلاص دراهمهم التي كانوا لا ينفقونها في سبيل الله للفقراء والمذكورين في قوله تعالى: { إنما الصدقات } الآية بل في سبيل العصبية والحمية حمية الجاهلية لشيخهم وربما اعتمد بعضهم في جواز حظ من لم يواله من الشيوخ على كونه قد أخذ في مسألة بمذهب غير المذهب الذي تقيد به عامة أهل البلد من المسلمين فينكر على ذلك الشيخ بادي الرأي كأنه خرج من الإسلام بالكلية ولا يدري هذا الجهول الذي ذهب به الجهل كل مذهب أن لا إنكار على ما اختلف فيه العلماء وأن الأخذ بمذهب الغير جائز بشرطه الذي ربما لا يجهله أمثال ذلك الشيخ الذي ينكر عليه ويحط على دينه وربما

كان الذي يحط عليه لمخالفته المذهب الذي عليه أهل البلد من الخاصة الكُمَّل الذين لا يتقيدون بمذهب لوصولهم إلى درجة الاجتهاد فوجب عليهم الاجتهاد كما وجب على المجتهدين فربما أبعد هذا الجاهل المتخبط خبط عشواء وجود مجتهد مقيد فضلا عن مجتهد مطلق بعد الأئمة الأربعة رضي الله عنهم ولا يدري هذا الجهول المتعصب بالباطل أن باب الاجتهاد لا يغلق ما لم يرفع القرآن كما قال في مراقي السعود :

والأرض لا عن قائم مجتهد يخلو إلى تزلزل القواعد

وأن المجتهد بعد الأئمة الأربعة لا يخرج اجتهاده غالبا عما عليه أهل السنة والجماعة وإنما غايته ترجيح مذهب بعض من تقدمه على بعض في بعض المسائل وموافقته معه في الرأي لا غير ذلك. هذا أمرهم مع العلماء والصالحين في زمنهم إلا مع من اصطفاه الله منهم وقليل ما هم . هذا مع ما هم عليه من الغفلة عن ذكر الله وذكر رسوله ﷺ فلا تسمع في ناديهم ذكر الله تعالى ولا ذكر رسوله ﷺ إلا فلتة بل ذكر الشيوخ فضائلهم ونواديرهم من الكرامات المفتريات والأقوال المحبريات ولا يدري هؤلاء الجهال أن الكرامة كل الكرامة هي الاستقامة على ما كان عليه الشارع ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم كما قال بعض الأكابر : الاستقامة خير من ألف كشف وكرامة . وقال أبو الحسن الشاذلي : إذا رأيت رجلا يدعي حالا مع أنه يخرج عن شرع فتجنبه ولا تقرب منه ولا ترج فلاحه أبدا . قلت : وهل ثم خرق عادة يفرق به المولى بين الولي والساحر وبين المحق والكاذب إلا الاستقامة ، فإن كان طيرانا في الهواء وسيرا على الماء وطى مسافة وفياء فقد أقدر الله إبليس وجنوده أكثر من ذلك مع أنهم أبعد خلق الله من رحمته. وأنت ترى السحرة والمتشعبذين يطيطون ويمشون على النار الملتهبة ويدخلون السكاكين في أبدانهم ويفعلون من الأمور الخارقة للعادة ما يبهر العقول كما قال تعالى في سحرة فرعون: { وجاءوا بسحر عظيم } مع أنهم لا

يقدرّون على إقامة صلاة واحدة بل ولا على النطق بالشهادتين ولو مرة واحدة في عمرهم فيفلحوا به لعدم التوفيق. قال في **إتحاف أهل العناية الربانية في اتحاد طرق أهل الله** ما نصه : قال في شرح الحكم عند قوله : ربما رزق الكرامة من لم تحصل له الاستقامة ما نصه : المعنى إنك أيها الفقير أيها الفقير قد يمنحك الحق سبحانه في سيرك كرامات تقتضي بظهورها خرق العادات الحسية مثل المشي على الماء وطي مسافات البلاد البعيدة والطيران في الهواء وغير ذلك كالكشف عن المغيبات والإخبار بما في الضمائر ولا يكون ذلك شاهدا لك بكمال الاستقامة بل بوجودها أصلا لما علمت أن هذه الأشياء المذكورة كلها نشأت من لطافة البشرية ورياضتها فلا يكون وجودها حاكما بوجود الاستقامة . أما المشي على الماء فقد ثبت أن رجلا سمع نصرانيا يمشي على الماء يبسط سجادته وتسير به حيث شاء فطلب خبره حتى وقف عليه فقال له : سمعت أنك تمشي على الماء فقال نعم . قال بم نلت ذلك ؟ قال : بمخالفة نفسي ورياضتها على ما تكره . فهذا نصراني ثبتت له الكرامة الخارقة للعادة مع كونه خاليا من رائحة الاستقامة . وأما على المسافة فقد علمت يا أخي أن إبليس هو أشقى خلق الله ومع ذلك له قوة كبيرة في طي مسافات البلاد بحيث يمر من المشرق إلى المغرب أسرع من طرفة العين . ولذلك لما قيل لأبي يزيد يقال إن فلانا يمر في ليلة إلى مكة فقال : الشيطان يمر لحظة من المشرق إلى المغرب وهو في لعنة الله . وأما الطيران في الهواء فقد ثبت أن مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه تجلّى له إبليس لعنه الله في الهواء بهيلولة كبيرة وناداه يا عبد القادر افعّل ما شئت فقد أبحت لك المحرمات ، فقال: كذبت إنك شيطان لعنك الله . فقال له : ومن أين عرفنتي ؟ قال : بقولك : فقد أبحت لك المحرمات لأن الله لا يأمر بالفحشاء ، فقال له : والله لقد أخذت بهذه الحيلة أقواما لا يحصى عددهم إلا الله . فأنت ترى



أيها الفقير هذه القوة التي نالها إبليس حتى إنه يتطور في أي طور شاء ومع ذلك فبينه وبين سمت الاستقامة ما بين السماء والأرض، فالطيران في الهواء من علامات وجود الهوى . ولذلك لما قيل لأبي يزيد أيضا : إن فلانا يمشي على الماء ، قال : الحيتان في الماء والطير في الهوى أعجب من ذلك. وأما الكشف عن المغيبات والإخبار بما في الضمائر فقد علمت أن هذه الحالة هي أهون شيء عند السحرة وأرباب الكهان ، وقد تقر أخبار العالم في آذانهم فيخبرون بذلك فيقع الأمر على وفق ما أخبروا به فيغتر بذلك سخفاء العقول ويتوهمون أن ذلك أقصى مرام الولاية وهم يعلمون خلو صاحبها من الاستقامة الظاهرية التي هي عنوان الاستقامة الباطنية . رحم الله أبا يزيد حيث يقول : لو أن رجلا بسط مصلاه على الماء وتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الأمر والنهي . وقال إمام هذه الطريقة أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه : طريقنا هذا مشيد بحديث رسول الله ﷺ فمن شاهدنا منه وجود الكرامة وهو بمعزل عن الاستقامة جعلنا بيننا وبينه سد الملامة لأن ما ادعاه من الخصوصية يكذبه معيار الشريعة المحمدية إذ كمال الخصوصية مفتاحه آداب العبودية التي هي استقامة الظاهر مع الباطن وتوافقهما في القانون الشرعي والحكم الإلهي تكون أنفاس الفقير محكومة بآداب الوقت اهـ . وفقنا الله تعالى لما فيه رضاه وأعادنا من شر ما عليه جهلة أهل بلادنا من الميل عن هداه - آمين . ثم لما كتبنا هذا وقفنا على كلام لصاحب الاتحاف ونصه : وقد تفاحش هذا البلاء بين أهل الطرق في جل الأقطار حتى صار البعض يفسق البعض ويزندقه بل يكفره بغير موجب شرعي . نسأل الله السلامة والعافية . والبعض الآخر كذلك والعياذ بالله ، وهذا وصف الكفار حسبما حكاه الله عنهم في قوله عز من قائل : { وقالت اليهود ليست النصرى على شيء وقالت النصرى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب . كذلك

قال الذين لا يعلمون مثل قولهم ، فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون { وإذا التقوا لا يسلم بعضهم على بعض وإذا سلم واحد منهم على الآخر لا يرد عليه الآخر السلام مع أن رده واجب لو سرا . وغير ذلك من البلايا التي ظهرت بين أهل الطرق بل صار الإخوان المنتسبون إلى شيخ واحد مثلا لا يرضى بعضهم ببعض والمقدمون كذلك يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا والعياذ بالله بحيث آل أمرهم إلى أن بعضهم ورد إلى حضرة شيخه فوجد جماعة من الفقراء يذكرون الله تعالى مستغرقين في الحضرة قائمين بين يديه تعالى على أكمل حال وأحسن هيئة وكان الذي افتتح الحلقة بعض المقدمين غيره كان هناك ، فلم يرض الجائي بذلك ولم تطب نفسه بالذكر مع الجماعة في تلك الحلقة لكونه لم يفتحها بنفسه فعمد إلى وسط الحلقة وأبطلها وأقام فيها هرجا عظيما وأشار على الذاكرين بالسكوت فسكتوا وحصل لهم هول عظيم وروع كبير لكونهم لم يعرفوا سبب إبطال هذه العبودية ، فلما استفهموه في السبب لم يجدوا شيئا سوى كونه لم يطق الجلوس معهم في حلقة لم يفتحها بنفسه وأنانيته وحصل تفاقم أن اختلاف كبير في حضرة الشيخ وتآلم باطن كل من في قلبه مثقال ذرة من غيمان من هذا الفعل القبيح بإجماع أكابر أمة سيد ولد عدنان لما اشتمل عليه من أنواع الإساءة مع الله تعالى ورسوله وحضرة المشايخ ، ولكونه مصادما ومخالفا لما أمر الله ورسوله به في الكتاب والسنة ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا أعظم دليل على أن المتصف بهذا البلاء لم يحصل مثقال ذرة من الأسرار ولو تلون في ليل أو نهار لقوله تعالى: { تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين } . وكذلك كل من جعل نسبة الله قنطرة لنيل أهوائه الفاسدة وأغراضه القبيحة اه . قلت : فوالله لو كان هؤلاء موفقين لاقتدوا بشيخ طريقهم وبالمهتدين من أتباعه أعني بشيخ الطريق الذي انتسبوا إلى

اسمه أو قبيلته كشيخنا ومولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وشيخنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه وغيرهم ، فلوا طالعوا تأليفهم بالإنصاف لرأوا فيها كيف تأدب كل واحد منهم مع أولياء زمنه فضلا عن تقدمه من الأولياء في الخطاب وكيف يستشهد على ما يقوله بكلام غيره ويؤيد أقواله بأقوال غيره فإن جرى لسانه على اسم واحد من الأولياء إنما تسمعه يقول : قال سيدنا ومولانا فلان رضي الله عنه وأرضاه أو نحو ذلك من العبارات التي يعظم بها حضرة ذلك الولي وكيف يشترطون على أتباعهم بمحبة الأولياء وتعظيم الأصفياء ويحذرون من بغض واحد من المسلمين فضلا عن الأولياء فضلا عن أكبارهم . أنظر كيف طرد شيخنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه مريدا له وسلبه لما أساء الأدب على واحد من أولاد بعض الأولياء كما حكي عنه ذلك. فإذا علمت أنه كم من منتسب إلى ولي ويخاصم ويقاطع فيه وذلك الولي بريء منه لسوء أدبه مع أهل الله ، بل مع المسلمين ، فلم يبق له إلا الانتساب اللفظيين لا الانتساب الروحاني الذي هو المطلوب من الانتساب إليهم رضي الله عنهم أجمعين . قال صاحب الإتحاف: ولا تخصوا إخواني أشياخكم بما ذكر من الآداب فتحرموا الخير بجميع وجوهه حسبما هو وصف غالب الناس إلا من أخذ الله بيده بمحض كرمه وجوده فعظموا جميع مشايخ الإسلام ووقروهم واحترموهم وأحبوهم تفوزوا برضا الملك السلام اهـ . ثم قال: وأما ما تظاهر به بعض المنتمين صورة إلى بعض الطوائف المحدثه من الاختلاف والقول بتباين الطرق والازدراء بالمنتمين إلى طريقهم والنظر إليهم بعين السخط والتحقير والتفوه بما يناسب ذلك من المقالات البشيعه المؤذيه بالتحاسد والتنافر والتباغض والتدابير والاختلاف وغير ذلك من الأوصاف التي لا يرضاها الله والرسول لمطلق المسلمين فأحرى خاصتهم فأحرى أهل الانتساب منهم والأمر لله العلي

الكبير ، فذلك أمر مخالف للشريعة والطريقة والحقيقة وحالة لا تسلم للمتصفين بها بداية ووسطا ونهاية بإجماع أهل الآراء المصيبة ، إذ دلالتها على حجب القلوب وبعدها عن حضرة الله جليلة وعن عقول أهل العلم والدين والصلاح والنسبة الحقيقية غير خفية اهـ . وقد قال الشعراني في مننه : ومما أنعم الله تبارك وتعالى به علي محبتي لكل من انتسب إلى هذه الطائفة وكذلك محبة أصحابي لهم فلا نكره بحمد الله تعالى أحدا منهم ولا من جماعة أحد من أشياخ عصرنا وهذا الخلق قليل في غالب قليل في غالب فقراء الزمان، فترى أحدهم يكره من يراه من جماعة أحد من الأشياخ غير شيخه وينظر أحدهم إلى أخيه شزرا واحتقارا كأنه في دين غير دينه ويود أن لا يظهر لغير شيخه اسم في البلاد وذلك كله من رعونات النفس ودليل على عدم نوق أحد منهم رائحة أدب أهل الطريق ، ومثل هؤلاء ولو صام أحدهم وصلى واختلى لا ينتج له حال أبدا لبقاء رعونات نفوسهم . وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول : من علامة انتفاع المرید بصحبة شيخه أن يفارقه ونفسه ميتة وأعضاؤه ذابلة كأنه خرج من اللحد بعد الموت . وعلامة مقتته أن يفارقه ومعه رعونة نفس ويصير يزن على الفقراء بالميزان الجائر فلا يكاد يعجبه أحد اهـ . فاعلم ذلك ترشد والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين . وقال أيضا رضي الله عنه فيها ما نصه : ومما أنهم الله تبارك وتعالى به عليّ عدم عداوتي لأحد من مشايخ عصري الذين هم أقران لمشاخي فكما أعتقد شيخي وأومن بصحة طريقه فكذلك اعتقد صلاحهم وأومن بطريقهم وإنما خصصت شيخي بكثرة الاجتماع به لكون نصيبي في الطريق جعله الله تعالى على يديه دونهم كما أن من يكون بينك وبينه معاملة في الدنيا وكثره أخذ وعطاء تكون مجالستك له أكثر وهذا أمر مستمر في سائر الأعصار من عصر الصحابة إلى وقتنا هذا ثم إن هذا الخلق قليل من المريدين من يتخلق به بل رأيت بعضهم

يحط على أقران شيخه. وقد كان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول: من اعتقد أنه ينال حظا من الله تعالى بقرابته من أولياء الله مع عدم صلاحه ومخالفته لطريقهم في الصفاء والمحبة بعضهم بعضا ومع كثرة إساءته مع أحد منهم فقد كذب في زعمه فكما أنه يجب محبة الرسل كلهم وإن اختلفت شرائعهم فكذلك الأولياء تجب محبتهم كلهم وإن اختلفت طرقهم، كما أن من آمن بالأنبياء والمرسلين إلا واحدا بغير عذر شرعي لا تصح محبته ولا يفيد ذلك الاعتقاد شيئا وذلك لأن الرسالة واحدة لا تتبعض كما هو الأمر في التوحيد فإنه لا يقبل الاشتراك وطريق الولاية التي يأمر بها الأولياء مريدهم هي طريق الرسالة التي يأمر بها الرسل أمهم ، فإنهم لا يدعون الناس إلا بما دعت به الأنبياء أمهم وليس عند الأولياء تشريع من قبل أنفسهم فجميع ما يدعون به الناس إنما هم نواب فيه للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فمن كفر بهم ، أي قال ليس لله أولياء فقد كفر بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنهم هم الذين أثبتوهم ، ومن رد دعوة ولي فقد رد دعوة نبي وذلك كفر فتنبه يا أخي لنفسك ، وإياك والحط على أحد من أقران شيخك ولو في نفسك فقد يكون ذلك كفرا لأن موضع الإيمان القلب لا اللسان. ومن أنكر على ولي بباطنه ومدحه بلسانه فهو منافق خالص والمنافق لا يجيء منه شيء في الطريق أبدا لأن مبتدأ الطريق مقام الإحسان وهذا لم يصح له مقام الإسلام فافهم . وكان أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لمريدي هذا العصر: إياكم أن تكفروا بطريق غير شيخكم من الأولياء من غير مسوغ شرعي فتمقتوا فإن كل ولي مؤمن بكل ولي كما أن كل نبي مؤمن بكل نبي ، فمن جحد منهم واحدا من غير مسوغ شرعي كان جاحدا للجميع ومن آذى منهم واحدا فقد آذى الجميع ومن كذب منهم واحدا فقد كذب الجميع وبارز الله بالمحاربة. وكلامنا إنما هو في المقطوع بولايته فإنه حينئذ مقطوع بمشروعة ما يدعو إليه حال ولايته .

وسمعته مرات يقول ك لو أن إنسانا أحسن الظن بجميع أولياء الله تعالى إلا واحدا منهم بغير عذر مقبول عند الله تعالى فضلا عن كونه يؤذيه لم ينفعه حسن ذلك الظن عند الله تعالى وإن جازاه تعالى على حسن ظنه فلا يجازيه بذلك إلا إن كان خاليا من الشوائب وأنى له بذلك إذ لو كان ذلك حقيقة لما أساء الظن بواحد منهم بغير عذر شرعي إذ الولاية في نفسها واحدة وإن اختلفت طرق السالكين كما مر قريبا فإنها متلازمة ، ولذلك لا تجد وليا حقا له قدم في الولاية إلا وهو مؤمن مصدق لجميع أقرانه من الأولياء ولم يختلف في ذلك اثنان كما لم يختلف قط نبيان في الله عز وجل ، فالمحبون لله تعالى كلهم كالواحد كما أن المحبوب واحد ، فمن آذى الله ووليا فقد خرج من دائرة الشريعة نسأل الله تعالى العافية ، فاعلم ذلك وإياك وما يعتذر منه ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك والله تعالى يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين اهـ كلام الشعرائي رحمه الله تعالى . وقد قال الله تعالى في حديث قدسي : (( من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب )) . أي علمته بأني محارب له . قال سيدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه : من وقع في عرض ولي ابتلاه الله بموت القلب والعياذ بالله . وقال ابو عبد الله القرشي : من غض من ولي أي تنقصه ضرب بسهم مسموم ولن يخرج من الدنيا حتى تفسد عقيدته فيموت على أسوأ حال . قال أبو العباس المرسي رضي الله عنه : تتبعنا أحوال القوم فما رأينا من آذاهم وأنكر عليهم وما بخير . وقال ابن حجر: إن إيذاء أولياء الله تعالى ومعاداتهم من الذنوب الكبائر . ونقل عن سيدي محمد المغربي رضي الله عنه أنه قال : إذا أراد الله أن يسلب إيمان عبد عند الموت سلطه على ولي من أوليائه فيؤذيه اهـ قال تعالى : { إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق } . قال ﷺ فيما رواه الإمام أحمد: (( لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فإن من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله

عز وجل عورته حتى يفضحه في بيته ((. وفي الصحيحين وغيرهما: (( لا يتناجى اثنان دون الثالث فإنه يحزنه )) وفي رواية : فإن ذلك يؤذي المؤمن والله يكره أذى المؤمن ((.

### حكاية عجيبة منبهة أهل القلوب المنيبة

(( ذكر أن فقيها من الفقهاء كان في مدرسة مع تلامذته فدخلت عليه امرأة وقالت : أيد الله الشيخ . لي مسألة لا اجتري أن أسألكها حياء منك لعظم الإثم وصعوبة الحال . فقال لها سلي ولا تستحي من العلم . قالت : كنت نائمة ليلة من الليالي فجاءني ابني سكران فواقعني فحملت وهذا أخف وأحب إلي من الغيبة فإن صاحب الزنا إذا تاب تاب الله عليه وصاحب الغيبة إذا تاب لم يتب الله عليه حتى يرضى عنه خصمه)) . قال بعض الكبار: وفي قوله تعالى : { ولا تلمزوا أنفسكم } الآية دقيقة ، وهي أن المؤمنين كلهم بمنزلة البدن الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كله. فمن عاب غيره فكأنما عاب نفسه . وفي روح البيان لدى قوله تعالى في سورة الأحزاب : { والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً } ما نصه : واعلم أن أذى المؤمنين قرن بأذى الرسول عليه السلام كما أن أذى الرسول قرن بأذى الله ، ففيه إشارة إلى أن من آذى المؤمنين كان كمن آذى الرسول ومن آذى الرسول كان كمن آذى الله تعالى ، فكما أن المؤذي لله وللرسول مستحق الطرد واللعن في الدنيا والآخرة فكذا المؤذي للمؤمن. روي أن رجلاً شتم علقمة رضي الله عنه فقرأ هذه الآية . وعن عبد الرحمان بن سمرة رضي الله عنه قال : خرج النبي عليه السلام على أصحابه فقال : رأيت الليلة عجبا ، رأيت رجلا يعلقون بألسنتهم فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال: هؤلاء الذين يرمون المؤمنين بغير ما اكتسبوا . وفي الحديث القدسي: (( من آذى لي

وليا فقد بارزني بالمحاربة)) . ثم قال : روي أن ابن عمر رضي الله عنهما نظر يوما إلى الكعبة فقال : ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك . وأوحى الله إلى موسى عليه السلام : لو يعلم الخلق إكرامي الفقراء في مجلس قدسي ودار كرامتي للحسوا أقدامهم وصاروا ترابا يمشون عليهم ، فوعزتي ومجدي وعلوي وارتفاع مكاني لأسفرن لهم وجهي الكريم و اعتذر إليهم بنفسي وأجعل شفاعتهم لمن برهم فيّ أو آواهم فيّ ، ولو كان عشارا . وعزتي ولا أعز مني وجلالي ولا أجل مني إني أطلب ثأرهم ممن عاداهم حتى أهلكه في الهالكين . ثم قال : قال فضيل رحمه الله : والله لا يحل لك أن تؤذي كلبا ولا خنزيرا بغير ذنب ، فكيف أن تؤذي مسلما . وفي الحديث : ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده )) . بأن لا يتعرض لهم بما حرم من دمائهم وأموالهم وأعراضهم . قدم اللسان في الذكر لأن التعرض به أسرع وقوعا وأكثر ، وخصص اليد بالذكر لأن معظم الأفعال يكون بها اهـ . وفي حديث آخر عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (( لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ، وكونا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث )) روه مالك والشيخان وغيرهم . قال بعض الكبار : وفي قوله عليه السلام عباد الله إشارة إلى أنكم عبيده فحقكم أن تطيعوه بأن تكونا كالأخوان فيما مر ، ووجه طاعة الله في كونهم إخوانا التعاضد على إقامة دينه وإظهار شعائره ، إذ بدون ائتلاف القلوب لا يتم ذلك كما يفيدته قوله تعالى: { هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم } الآية اهـ . وعن هشام بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (( أن يهجر مسلما فوق ثلاث ليال فإنهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما وأولهما فيئا يكون سبقه بالفيء



كفارة له وإن سلم عليه فلم يقبل ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة ورد على الآخر الشيطان فإن ماتا على صرامهما لم يدخلوا الجنة جميعاً ((أبدا)) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وابن حبان . وعن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (( لا تدابروا ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، هجر المؤمن ثلاث، فإن تكلموا وإلا أعرض الله عز وجل عنهما حتى يتكلموا )) رواه الطبراني . وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (( من هجر أخاه فوق ثلاث فهو في النار إلا أن يتداركه الله برحمته )) رواه الطبراني . وعن أبي حراش حرد بن أبي حرد الأسلمي رضي الله عنه أنه سمع أن النبي ﷺ يقول : (( من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه )) رواه أبو داود والبيهقي. وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول : (( إن الشيطان يبأس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم )) رواه مسلم. التحريش كما في الترغيب والترهيب هو إغراء وتغيير القلوب والتقاطع . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ : (( تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا إلا امرؤ كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقول أتركوا هذين حتى يصطلحا )) رواه مالك ومسلم . وعن أبي ثعلبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (( يطلع الله إلى عباد ليلة النصف من شعبان فيغفر للمؤمنين ويمهل الكافرين ويدع أهل الحق بحقدهم حتى يدعوه )) رواه الطبراني والبيهقي. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (( إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه )) رواه مالك والشيخان وغيرهم . وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (( من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس

كذلك إلا حام عليه . أي رجع . )) رواه الشيخان . عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (( سباب المسلم فسوق وقتاله كفر )) رواه الشيخان وغيرهما . وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : (( ما من مسلمين إلا وبينهما ستر من الله عز وجل ، فإذا قال أحدهما لصاحبه كلمة هجر خرق ستر الله )) رواه البيهقي . وفي آخر مختصرا : عن أبي جري جابر بن سلم رضي الله عنه قال : عهد إلي رسول الله ﷺ أمورا فذكر منها: وإن امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه ودعه يكون وباله عليه وأجره لك ولا تسبن شيئا . قال فما سببت بعد ذلك دابة ولا إنسانا . رواه ابن حبان وغيره . وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (( لا تلعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار )) رواه أبو داود وغيره . وعن سلمة الأكواع رضي الله عنه قال : كنا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه رأينا أن قد أتى بابا من الكبائر . رواه الطبراني . وعن أنس رضي الله عنه قال سار رجل مع النبي ﷺ فلعن بعيره فقال النبي ﷺ : (( يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون )) رواه أبو يعلى وغيره . وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقه فضجرت فلعننها فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : (( خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة )) قال عمران : فكأنني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد )) رواه مسلم وغيره . وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (( لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة )) رواه أبو داود وغيره . وعن أنس رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فلدغت رجلا برغوث فلعنها فقال النبي ﷺ : (( لا تلعنوها فإنها نبهت نبيا من الأنبياء للصلاة )) رواه أبو يعلى وغيره . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا لعن

الريح عند رسول الله ﷺ فقال : (( لا تلعن الريح فإنها مأمورة ، من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه )) رواه أبو داود وغيره . وعن أبي درداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

(( من ذكر امرؤا بشيء ليس فيه ليعيبه حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بتفاد ما قال فيه )) . رواه الطبراني . وعن عبد الرحمان بن أبي ليلى قال : حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزع فقال رسول الله ﷺ : (( لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً )) رواه أبو داود . وعن عبد الله بن السائب بن يزيد عن أبيه عن جده رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (( لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبا ولا جادا )) . رواه الترمذي وغيره . وفي آخر عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه أن رجلا أخذ نعل رجل فغيبها وهو يمزح فذكر ذلك لرسول الله ﷺ قال النبي ﷺ : (( لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم )) رواه البزار وغيره . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (( من أخاف مؤمنا كان حقا على الله أن لا يؤمنه من أفزاع يوم القيامة )) . رواه الطبراني . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : (( من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة )) . رواه الطبراني وغيره . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال أبو القاسم ﷺ : (( من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى تنتهي وإن كان أخاه لأبيه وأمه )) رواه مسلم . وعن أبي بكر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (( إذا المسلمان حمل أحدهما على أخيه السلاح فهما على جرف جهنم ، فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلا جميعا . قال : فقلنا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : إنه أردا قتل صاحبه )) رواه الشيخان .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (( سباب المسلم فسوق وقتاله كفر )) رواه الشيخان وغيرهما . قلت : فالآيات والأحاديث من هذا النوع مثيرة لا تسعها هذه الرسالة وتراها كلها تحت المؤمن على الانتلاف وتجنب أسباب الخلاف من التباغض والتقاطع والصرام وتغيير القلوب والسباب والتعبير واللعن، ومن الإصابة قبل التبين كما قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتبخوا على فعلتم نادمين } . ومن السخرية والاحتقار كما في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ } ومن التجسس والغيبة وسوء الظن فقال : { يا أيها الذين اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا } . قلت : فإذا كان لدابة المسلم ولكل ما يستعين به على عبادة مولاه من ديك يذكره الصلاة وبرغوث يوقظه بل وكلب يحرسه حرمة حتى نهينا عن سبها ولعنها فما ظنك بمن ليس له سواك إلا طعن أعراض المسلمين ولا يستمع إلا لمن يخوض في عوراتهم ويتجسس كل يوم ما يهتك به أستارهم ، ويدهن المنافقين والفجار ولا يقدر على مداراة المسلمين والأبرار بل يغشهم دائما ولا ينصحهم أبدا هذا أمره معهم زيادة على ما عليه من المكر والخديعة والسعي بالنميمة بينهم لا سيما بين أئمة الدين وعلماء الأمة فيبغونهم الفتنة وفيهم سماعون لهم فتفترق الجماعات بافتراق قلوب الرؤساء فيضطرب أمر الدين والدنيا فيقعون في الهرج والمرج فيدور رحى العداوة والشحناء بينهم ، بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، كما صار إليه أمر ديننا اليوم في هذه البلاد كما تقدم ذكره فهؤلاء هم شياطين الإنس وجنود

إبليس اللعين، فإن الشيطان كما يكون من الجن الموصوف بالأوصاف الرديئة والعداوة لأهل الملة الإسلامية يكون من الإنس أيضا . قال الواحدي في تفسير قوله تعالى: { وكذلك جعلنا لكل نبيعدوا شياطين الإنس والجن } يعني مرده الإنس والجن . والشياطين كل عات متمرده من الإنس والجن . قالوا من الجن شياطين ومن الإنس شياطين وإن الشيطان من الجن إذا أعياه المؤمن وعجز عن إغوائه ذهب إلى متمرده من الإنس وهو شيطان الإنس فأغراه بالمؤمن ليفتنه . قالوا يدل على هذا ما روي أن النبي ﷺ قال لأبي ذر : هل تعوذت بالله من شر شياطين الإنس والجن ؟ قال قلت : هل للإنس شياطين ؟ قال: نعم ، هم شر من شياطين الجن . وقال مالك بن دينار رضي الله عنه : إن شياطين الإنس أشد من شياطين الجن . وذلك إني إذا تعوذت بالله من شيطان الجن ذهب عني ، وشيطان الإنس يجئني فيجرني إلى المعاصي عيانا . وقال الإمام الخازن في تفسيره لدى قوله تعالى : { من الجنة والناس } إن الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الإنس ، وكما أن شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس أخرى فكذلك شيطان الإنس قد يوسوس للإنسان كالناصح له فإن قبل زاد في الوسوسة وإن كره السامع ذلك انخنس وانقبض اهـ . قلت : ولقد صار نظام أهل هذه البلاد في دينهم أضحوكة للأعداء حيث صاروا أحزابا : { كل حزب بما لديهم فرحون } كأنهم ليسوا على دين نبي واحد وكتاب واحد ونحلة واحدة : { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين } فذلك جزاؤهم لما تركوا الاعتصام بحبل دين الله جميعا وكفروا نعمة الائتلاف الذي من الله على نبيه به في قوله : { هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم } بإثارة نيران الخلاف قال تعالى : { ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون } وقال

أيضا : { ولما زاغوا أزاغ الله قلوبهم } إلى غير ذلك من الآيات . قال صاحب الاتحاف : وأصل هذا كله حب الرياسة التي هي أعلى أنواع الدنيا المغوية فلو تطهرت البواطن منها لألف البعض البعض واطمأن به كل الاطمئنان وركن إليه في سائر الأزمان وشاهد أن وجوده رحمة الله تعالى به وبسائر الأكوان لأن يد الله مع الجماعة والائتلاف فيها هو أعظم أركان الطرق بأسرها لكونه به تعرف الزيادة والنقصان في مقام القرب من حضرة الملك الديان كما قال ابن البنان إمام أهل هذا الشأن :

**وافتقروا أيضا للائتلاف ليعلم المستوفي حال الوافي**

**لا خير فيمن لم يكن أوفيا ولم يكن لغيره مألوفاً**

وقد قال عليه الصلاة والسلام : (( المؤمن يألف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف )) . أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن سهل بن سعد رضي الله عنهما وهو حديث صحيح . وقال عليه الصلاة والسلام : (( المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ، وخير الناس أنفعهم للناس )) وهو حديث صحيح أخرجه الدارقطني في الأفراد والضياء عن سيدنا جابر رضي الله عنهم . ولا يقدر الإنسان على سلوك هذا المقام إلا إذا حرر قلبه في طلب الوصول وطهر ظاهره وباطنه من التعلق بالفضول المؤدي إلى القطيعة عن حضرة الفحول وكان قصده في جميع التوجهات وجه الله تعالى ، وكملت بنيته في ذلك . وإلا بقي دائرة في المكونات كحمار الرحي المحل الذي ينتقل منه يرجع إليه اهـ . قلت : ولما كان جل أهل هذه البلاد لا علم لهم بعقائد الدين الصحيحة ولا بأصوله مع ما هم عليه من بقايا الهمجية الوحشية المتقدمة ولم يتمدن قلوبهم ، فلذلك تراهم أتباع كل ناعق ويسمعون من كل مدع وزاعق . انظر كيف ينعم الله عليهم كل حين بوجود علماء محققين بينهم والداعين إلى الهدى ثم انظر كيف يفرقون من

أوامرهم { كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة } ويجيبون كل داع إلى باطله وجالب بخيله ورجله . انظر كيف أنعم الله علينا أيضا فجمع شملنا وبدل خوفنا أمنا وملاً بلادنا عدلاً بدخول الأوربيين في بلادنا بعدما كنا عرضاً لكل غار ومنشبا لمخالب كل ضيغم ضار وأنفسنا ضحايا لكل طاغية وأموالنا نهبا لكل باغية لا يتمكن البر في إنفاذ بره حيث ثار كل فتان بشره فصرنا الآن على هذه الحالة آمنين مطمئنين فالفاجر لا يتعدى بضيره إلى غيره والصادق مطمئن في عمل بره قد جعل الله الأوربيين برزخا وحجرا محجورا بين الفريقين . انظر إلى عظم هذه النعمة التي أنعم الله علينا بها زيادة لى ما نحن عليه من التمتع في عيشة التمدن بين لذيذ الأطعمة والأشربة والترفيه في اللبوس الحسنة الناعمة التي لم يتمتع بها من قبلنا حتى أولي النعمة منهم والسكنى في المساكن الطيبة العالية بوجود أنواع من الأمتعة البيتية وزخارف من الأنسجة الأروبية إلى غير ذلك مما لا نطول بذكره لكونه معلوما لكل واحد. ثم انظر كيف ينجذب طباع جهال هذه البلاد إلى إجابة كل داع ودجال ماكر وينخدعون بكل شيطان مارد عن نهج الهدى شارد ، هذا يستفزههم بالمهدية ويسحر عقولهم بدلائل هي أوهن من نسيج العنكبوت فيهوي بهم إلى هاوية الفتن وجُبَّ المحن كما وقع لجماعات كثيرين لا يحصى عددهم إلا الله ، فافتتنوا وفتنوا المسلمين ولم يجئ منهم شيء سوى أن صار أمرهم أحاديث للسامريين وأضحوكة للشامتين ، وذاك بالشيخوخة ودعوى التربية والولاية ، يسحرهم بدعوى فرعون ونمرود ويستخف عقولهم بجمع الرجال والنساء ويطربهم بالأناشيد والغناء يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا، فصار أمره هو وجماعته أنهم في نار الندامة خالدين . قال الإمام الشعراني رضي الله عنه بعدما ذكر المهدية : وإن

جماعة قد ادعوها وكيف كان يمتحنهم ويكذبهم أنه اجتمع بالشيخ حسن العراقي بالإمام المهدي الحق بعد مواظبته على سؤال ربه أن يجمعه عليه سنة كاملة ، وقال لي : إن وجهه يشبه وجه جده ﷺ لكن وجه رسول الله ﷺ أحلى وأملح ، وقال لي : سألته عن عمره فقال لي : ستمائة سنة وشيء وإن له بعد مفارقتة إلى الآن مائة سنة ، وهو من ولد الإمام حسن العسكري ، هكذا أخبرني عنه والله أعلم اهـ . قال محيي الدين بن العربي في تفسيره علم المهدي كعلم الساعة لا يعلم وقت مجيئها على الحقيقة إلا الله . وقال الشيخ أحمد بن إدريس الشريف الفاسي : كذبت في المهدي أربعة نسخة من نسخ أهل الله ثم قال : يخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حال ينكرونها اهـ . قلت : هذا في مهدي أهل السنة وأما مهدي الشيعة فقد مضى في القرون المتقدمة . وقال الشعراني رضي الله عنه أيضا : إن دعوى المهديّة لم يزل يقع في بلاد المغرب وذكر جماعة وقع منهم ذلك فلم يأت منهم شيء سوى أن قتلوا وقطع رؤوسهم اهـ . قلت : ثم إن حامل بعضهم على الدعاوى والفتن كثرة الأنصار والمواريد مع بقايا من رعونات النفس وكبرها فيسول له الشيطان الغرور أنه أعظم من في الأرض وأنه المهدي المنتظر فيغتر الجاهل بكثرة جموعه وحصائد السنة قومه من أن الباطل لا يدوم مع الزمان ولا يدوم مع الزمان إلا الحق . وقد ادعى المهديّة رجال كثيرون في بلادنا وفي السودان المصري وغيرها ولم يجئ منهم شيء سوى المحن والبلايا لهم ولأتباعهم . ومن أشهر من ادعاها من المتقدمين محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية في المدينة المنورة سنة ١٤٥ من الهجرة . وعبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق في أواسط القرن الرابع في بلاد المغرب . ومحمد بن عبد الله تومرت المعروف بالمهدي الهرعي في أوائل القرن السابع في بلاد المغرب . والسيد أحمد في



أوائل القرن التاسع عشر من الميلاد في بلاد الهند ، ومحمد أحمد الدنقلاوي في أواخر التاسع شرمن الميلاد في السودان المصري، ومهدي الصومال المعروف بالمالا المفتون في بلاد الصومال . وعد منهم محمد المهدي السنوسي في بلاد كانهم الذي كان يقاتل الفرنسيين في أيام الحرب العالمية في الصحراء الكبرى. وأما في بلادنا الغربية فأخر من ادعى المهديّة قبل الحرب العالمية بأعوام في أرض **فوت طور** رجل يقال له ( **عال يرجوب** ) من أهل **فَنِي** ، فلم يلبث أن قتل في قلعة **دَكَنَه** شر قتلة. وفي بدنا هذا رجل يقال له : ( **جَم جَت** ) من فلاة البلد فقتل في الحين قتلا ذريعا في مقاطعة **كولخ** . وأمثال هؤلاء من الفتانين كثير فالأمر كما قيل إن الجهل وهوى النفس أكبر دواعي الضعف والانحلال . وإن العدل قوام الأمر ، ولن يثبت أمر مؤسس على الظلم والفساد ، وإن الباطل لا يدوم مع الزمان ولا يدوم مع الزمان إلا الحق . وسأنقل لك طرفا مما كان يقول بعضهم في دعواه المهديّة لتتيقن صدق ما قلناه : ومن ذلك ما نقل عن محمد أحمد الدنقلاوي أنه كان يقول : أخبرني النبي ﷺ بأني المهدي يقظة في حال الصحة وأنا خال من الموانع الشرعية لا بنوم ولا جذب ولا مكر ولا جنون ولا سكر بل متصف بصفات العقل ، وإنه ﷺ أجلسني على كرسيه مرارا بحضرة الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر عليه السلام ، وأيدني الله تعالى بالملائكة والمقربين والأولياء الأحياء والأموات من لدن آدم إلى زماننا هذا وكذا المؤمنون من الجن من الجن وفي ساعة الحرب يحضر معهم إمام جيشي سيد الوجود ﷺ بذاته الكريمة وكذلك الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر عليه السلام وأعطاني سيف النصر من حضرته ﷺ وعلمت أنه لا ينصر علي معه أحد ولو كان الثقلين الإنس والجن ، وقال ﷺ : إن الله جعل لك علامة على المهديّة وهي الخال على خدي الأيمن وكذلك

تخرج راية من نور وتكون معي في حالة الحرب يحملها عزرائيل عليه السلام فيثبت الله بها أصحابي وينزل الرعب في قلوب أعدائي فلا يلقاني أحد بعداوة إلا خذله الله . وقال أيضا : إني قد رأيت النبي ﷺ بعيني رأسي يقظة فأجلسني على كرسيه وقلدني سيفه وغسل قلبي بيديه وملاه إيمانا وحكما ومعارف منيعة وأخبرني بأبي الخليفة الأكبر والمهدي المنتظر وأن من شك في مهديتي فقد كفر ومن حاربني خذله الله في الدارين . وما زال النبي ﷺ يظهر لي مع الخضر عليه السلام والملك جبريل عليه السلام فيوحي إليّ إلى يوم وفاتي . إلى غير ذلك مما كان يقوله في رسائله من الإشارات والعبارات . انظر تاريخ السودان . وأما ( عاليرجوب ) فقد بلغني أنه كان يقول : إن آلة الحرب والأسلحة النارية لا تؤثر في أصحابي . وإن الملائكة والروحانيين ينزلون وقت الحرب فيبيدون أعدائي . ومثل هذه الخرافات كان يقول الفتان ( جَمَجَتِ ) حتى إن أهله وأتباعه التاعسين كانوا لا يحملون آلة حرب في أيديهم بل العصي والأعواد المجردة . قال الإمام الشعراني رضي الله عنه : وقد حكى الشيخ عبد العزيز المنوفي رحمه الله تعالى أنه ورد في زمان الملك الكامل فقير جميل الصورة وله علوم ظاهرة وباطنة وهوشريف وكان له أحوال جليلة وصنف كتابا ذكر فيه أنه المهدي فوصل إلى السلطان فقال له الملك الكامل : إن رسول الله ﷺ أخبر أن المهدي يخرج من بين الصفا والمروة ويباع الناس له عند الحجر الأسود . فقال للسلطان أنت جاهل غنما أراد ﷺ بالصفا والمروة العلماء والفقراء يخرج من بين هؤلاء رجل هو المهدي وأن ذلك الرجل وليس مراده بالصفا والمروة الطوب والحجارة . فلم يشوس عليه السلطان بل أمر بتهجيريه إلى الغرب فهجروه . وقال الشيخ عبد العزيز فاستخبرت عنه بعض أهل المغرب فقال : رأينا

رأسه معلقة على باب مراکش . وقال الشيخ عبد العزيز : وبلغني أن ابن تومرت لما ادعى أنه المهدي اهتدى على يديه كثيرون وأنه مر على قوم ينكرون دين الإسلام والبعث فعمل حيلة وأعطى جماعة مالا جزيلا وأنهم يدخلون في القبور ويسقفونها عليهم ففعلوا ثم صار يأتي بهؤلاء المنكرين جماعة بعد جماعة وينادي أهل تلك القبور أما وجدتم دين الإسلام حقا ؟ أما جاءكم منكر ونكير ؟ فيقولون نعم نعم وجدنا ذلك حقا اه . قلت: ويقرب من هذه القصة ما قاله في كتاب **هز القحوف** إن بعض القراء الفساق عشق غلاما فأراد أن يخلو به فلم يمكنه من ذلك فسلك معه طريق المكر والحيلة وصار يترجم بكل لسان الزور والبهتان ويخبر عن بلاد وأراض بعيدة وأماكن صهبة شديدة ويدخل بين الجمع ويشخص بصره إلى السماء فيقول الحاضرون شيء الله ، ويقول لهم انظروا يا محجوبين الأولياء وهم طائرون فوق النجائب وقد أقبوا من المشرق والمغرب فيقومون إليه ويقبلون يديه ويلتمسون منه الدعاء ، فلما رآه الغلام على هذه الحالة اعتقد أنه ولي وقال في نفسه أنا لي مدة أخدم شيخي ما رأيته يرى نبيا ولا وليا ولا أخبرني بشيء من هذا إلا يقول لي صل وصم وما أشبه ذلك . والأولى أن أخدم هذا الولي الفقير لعله أن يطلعني على الأولياء النجائب الطيارين دائما في الهواء ، ثم إنه تشاجر مع شيخه وانفصل منه وأقبل على هذا الشقي وقال له : يا شيخ جئتك طائعا ولأمرك سامعا واعلم أنني تعبت من شيخي وهو يقول لي صم وصل وابد ربك الذي لا إله إلا هو ولم أر منه بركة ومرادي أنظر الأولياء الراكبين النجائب الخضر ، فقال له هذا الشقي : اعلم يا ولد أن الطريقة ليست بصوم ولا بعبادة فأنت تريح نفسك من هذا التعب وأنا أصب لك عمود النور في بطنك فتنظر سائر الأولياء من وقتك وتقبل على النجائب وتركب وتشاهد الملكوت

العلوي والسفلي ، فقال له الغلام فمتى تصب لي عمود النور هذا ؟ فقال: حتى أدبر لك ماء الحياة واستقطره . فقال له : يا سيدي شيء الله وما يكون ما الحياة هذه ؟ فقال له : شيء أبيض يجري في قسبة الذكر عند وصول الوجد للفقير وعند الخلوة بالتلميذ . قال : وكان هذا الغلام مغفلا لا يعرف شيئا من هذه الأمور الذميمة إلى آخر ما ذكره بين الفاسق وهذا الغلام أنظره لأنني تركته لما فيه من العبارات الفسقية . وذكر جماعة من أمثال هذا الفاسق من الفتانين في كتابه وإنما أتيت بطرف من هذه القصة تنبيهها لضعفاء العقول على عدم المبادرة إلى الاغترار بكل فتان ثائر لأن لبعض شياطين الإنس طرقا لا تحصى في تحصيل أغراضهم من المكر والحيلة وقد شاهدنا نحن جماعة منهم خرجوا في بلادنا بالحيل والدهاء ثم فضحهم الله بعد ذلك بعدما كانوا فتنه لبعض المغفلين :

**ومن تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان**

ولو تتبعنا أمثال هؤلاء من المدعين والفتانين لجمعنا بذكرهم وتواريخهم مجلدات، وفي هذا القدر كفاية لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . أعادنا الله من إيقاظ الفتن بين الناس ويعصمنا من الوسواس الخناس. وفي القرآن العظيم : { والفتنة أشد من القتل } وفيه أيضا : { واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب } . قال في روح البيان : وفيه تحذير من شدة العقوبة لمن أهاج الفتن . وفي الحديث : (( الفتنة راتعة في بلاد الله واضعة حطامها فالويل لمن أهاجها )) . وفي بعض الأخبار: (( الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها )) . وفي حديث آخر: (( إن بين يدي الساعة لأياما ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج )) . الهرج من هرج الناس وقعوا في فتنة واختلاط وقتال . وفي آخر: (( إذا كانت الفتنة بين المسلمين فاتخذ سيفا

من خشب )) وذلك كناية عن عزل أهل الفتنة والكف عن القتال معهم . وفي آخر: (( من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله )) . إلى غير ذلك مما ورد في هذا الباب. وقد تقدم منه كثير في أحاديث النهي عن التشاحن والتباغض والتسبب فيها ، ثم إني أنبهك هنا على أمر وهو أن المنكر إذا خيف من نهيه الوقوع على منكر أشد منه فالنهي عنه حرام كما قال العلماء، هذا في منكر اتفق العلماء على كونه منكرا، وأما المختلف فيه فلا يجوز لأحد النهي عنه ولا سيما إن أدى إلى فتنة ما. قال عبد الباقي في شرح المختصر: إنه إذا جرت عادة الناس على شيء مما اختلف فيه ومسنده صحيح فلا ينبغي للمخالف أن يحمل الناس على مختاره فيدخل عليهم حيرة في دينهم. وقد تقرر أن من شرط تغيير المنكر الاتفاق على أنه منكر أو ضعف دليل جوازه لمخالفته نصا أو إجماعا اهـ بنقل صاحب الميسر. وقال الفقهاء أيضا : العمل مقدم على المشهور كما قال في مراقبي السعود :

**وقدم الضعيف إن جرى عمل به لأجل شبهة قد اتصل**

وفي هذا قلت في أرجوزة شرعت في نظمها ( ٢ ) :

إياك والإنكار في المختلف	فيه فلا إنكار فيه قد يفى
فليس للمفتي ولا للقاضي	على المخالف من اعتراض
إلا نصوص الوحي والإجماع	أو سنة فالخلف ذو امتناع
إلى أن قلت :	

**وإنما يقدم الأعمال على المشاهير على ما قالوا**

( ٢ ) يشير رحمه الله تعالى إلى أرجوزته التي سماها بجلاء القلوب من فتح علام الغيوب وقد اكتملت في مائة وخمسة عشر بيتا .

وكل من إلى إمام انتسب غير رسول الله سيد العرب  
ثم يوالي أو يعادي فيه فإنه مبتدع في تيه

وقد أجاز العلماء في أزمنتنا هذه المتأخرة أمورا كانوا ينهاون عنها  
لخيفة الوقوع فيما هو أشد من ارتكابها منها: السلام على شربة الخمر  
واللاعيبين بالنرد والشطرنج وأهل الفسق واللغو ، فأفتوا بالجواز فيها  
خشية الوقوع فيما هو أشد منها وأضر ذكره في نصاب الأحساب  
وغيره كذا في روح البيان . وقالوا: إن الواجب ترك سنة يخاف من  
الإتيان بها الوقعة على العرض والفتنة بين الجيران والبغض. قال في  
الطريقة المحمدية ما نصه: الثامن والأربعون - يعني من آفات اللسان -  
الفتنة وهي إيقاع الناس في الاضطراب والاحتلال والاختلاف والمحنة  
والبلاء بلا فائدة دينية كأن يغري الناس على البغي والخروج على  
السلطان وتطويل الإمام للصلاة ، وكان يقول لهم ما لا يفهمون مراده  
ويحملون على غيره . فلذا ورد: (( كلم الناس على قدر عقولهم )) أو لا  
يحتاط في التأمل والمطالعة في فهم مسألة أو نحوها من الكتاب فيذكر  
للناس أو يذكر ويفتي قولا مهجورا أو ضعيفا أو قولا يعلم أن الناس لا  
يعلمون به بل ينكرونه أو يتركون بسببه طاعة أخرى ، كمن يقول لأهل  
القرى والعجائز والإماء لا يجوز الصلاة بدون التجويد وهم ممن يعلم أنهم  
لا يقدرون على التجويد أو لا يتعلمونه فيتركون الصلاة رأسا وهي جائزة  
عند البعض ولو كان ضعيفا فالعمل به أولى من الترك أصلا . فعلى  
الوعاظ والمفتين معرفة أحوال الناس وعاداتهم في القبول والرد والسعي  
والكسل ونحوها ، فيتكلمون بالأصلح والأرفق لهم حتى لا يكون كلامهم  
فتنة للناس . وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ قد يكون سببا  
لزيادة المنكر وإصابة مكروه لغيره فيكون إثما . نعم إن علم أو ظن أن

بعضهم يقبله وإن قل ويعمل به أو إصابة مكروه له لا لغيره وأنه يصبر عليه فجائز وجهاد وقس على هذا. ثم قال: وحسبك في آفة الفتنة قوله تعالى: { والفتنة أشد من القتل } اهـ . قلت: وأنت ترى العلماء يشترطون لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروطاً منها:

١. القدرة عليه ، فإن عجز سقط عنه لأن السلف رضي الله عنهم كانوا معذورين في بعض الأزمان في ترك الإنكار باليد واللسان ويراعون حكم الوقت لعلمهم بأن لكل زمان دولة ورجالا .
٢. ومنها خوف الضرر على النفس من قتل أو نفي من بلد أو إخراج وظائفه التي بها معاشه نحو ذلك كما في حديث (( حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك )) . فانظر إلى كلام هؤلاء السادات ثم انظر إلى ما يحدث في بلادنا هذه كل حين من إيقاع الفتنة بين الناس بسبب مسألة ربما كانت ضعيفة أو مرجوحة أو مباحة مستوية الطرفين ، بل ربما كان العمل بها حراما أو مكروها فيحملون الناس على الأخذ بها فيوقدون نار الفتنة بين الجيران ، وربما أدت إلى قتال وإهراق دماء المسلمين كما وقعت بين إخواننا التجانيين في بلاد السودان وأرض فوت طور في مسألة جوهرة الكمال هل تقرأ هذه الصيغة في الوظيفة إحدى عشرة أو اثنتا عشرة، انظر إلى عظم هذه الفتنة بين هؤلاء وإلى ما أفسدت في الإسلام مما لا تسعه هذه الرسالة ، فوالله لو أنصف موقد نار هذه الفتنة بين الفريقين وسلك سبيل من تقدمه من العلماء والأولياء وراعى حكم الوقت في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فدعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة لما كان من أمره مع قومه ما كان ، ولراعى مصلحته ومصلحة جماعته والمسلمين لو أدى به الحال إلى ترك ذكر الجوهرة رأسا، مع أنه لو تقيد بالمشهور الذي عليه

الجمهور ربما حصل على مراده وبلغ إلى مأموله من غير فتنة تثير هنالك فيثيبه الله على حقن دماء المسلمين التي أريقت بسببه: { وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين } . ولقد اقتفى على أثره وأخذ بعجزه ويجره فتان مثله ظهر في أيامنا هذه المتأخرة بإحياء العقيدة الاتحادية بنشر فناء أهل الإلحاد عند أتباعه ( الدَّرْهَمُ لِيَيْنَ ) حيث يفتخرون دائما على الوصول إلى الحقيقة الكونية القدرية حيث لا أم ولا أب ولا مملوك ولا مالك ولا هذا ولا ذلك ، ولعمري إن أراد بجماعته الوصول إلى حضرة عين الجمع الذي هو الفناء في توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون وعباد الأصنام فلقد أوردتهم إلى عين حضرة جمع الوجود في وجود واحد إلي لم يقل به إلا الملاحدة حيث لا زيد ولا عمرو ( دَرَهْمٌ دَرَهْمٌ ) والعياذ بالله . وما هذا إلا لموت علماء بلادنا المحققين وأولياء عصرنا العارفين ، فوقعنا في فترة حتى يأتي الله بطبقة أخرى من العلماء المحققين فيحيي الله بهم الطريق ويظهر ما اندرس منها كما لم يزل حال الأمة كذلك منذ زمن السلف إلى آخر الدنيا . قال الشعراني في **لطائف المنن** : ثم إنه لما كانت الأصنام تعبد بين فترات الرسل عليهم الصلاة والسلام وترفض فيها الشرائع وترتكب فيها المحارم ويستحلون الدماء ويحكمون بها بالهوى ويتولاهم الشيطان ويزعمون مع ذلك أنهم ما عبدوا الأصنام إلا ليقربوهم إلى الله زلفى فكذلك الحكم في فترات الأولياء ، فإنها مقابلة لفترات الرسل عليهم الصلاة والسلام بل ربما وقع في فترات الأولياء ما هو أقبح من عبادة الأصنام فإن عبادها ما نفوا قط الإله وإنما قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى على زعمهم ، وأهل فترات الأولياء قد استحكم في غالبهم الضلال والفساد واستولى على خيالهم وطبائعهم المحال حتى عكسوا الأحوال في الأفعال والأقوال



وحكموا على المستحيل بالواجب وبالعكس وألحقوا الموجود بالمعدوم والحادث بالقديم . وبعضهم رأى أن كل شيء في الوجود هو الإله وأن عين هذا الوجود الحادث هي عين الله من الجماد والنبات والعقارب والحيات والجان والإنس والملك والشيطان، ويجعلون الخالق هو عين المخلوق من خسيس ونفيس ومرجوم وملعون ورئيس ومرءوس حتى الأباليس ( دَرَهْمُلْ دَرَهْمُلْ ) وهذا كلام لا يرضاه أهل الجنون ولا من كان في حبة مجنون . ثم قال : وقد نقلت هذه الأمور في زماننا هذا من الملاحظة وينكرون ذلك في الظاهر خوف القتل . يعني خوف القتل في زمنه وأما في زمننا فخوف الخلق والتعبير على الخروج من الإسلام بالكلية . ثم قال : بل الذي أقوله إن إبليس نفسه لو ظهر ونسب إليه هذا المعتقد لتبرأ منه واستحى من الله تعالى وإن كان هو الذي يلقي إلى نفوسهم ذلك . وقال : وقد حكيت لسيدي علي الخواص بعض صفات هؤلاء فقال : هؤلاء زنادقة وهو أنحس الطوائف لأنهم لا يرون حسابا ولا عقابا ولا جنة ولا ناراً ولا حلالاً ولا حراماً ولا آخرة ولا لهم دين يرجعون إليه ولا معتقد يجتمعون عليه وهم أخس من أن يذكروا لأنهم خالفوا المعقولات والمنقولات والمعاني وسائر الأديان التي جاءت بها الرسل عن الله تعالى ، ولا نعلم أحداً من طوائف الكفار اعتقد اعتقاد هؤلاء . فإن طائفة من النصارى قالت المسيح بن الله وكفرهم القوم الآخرون وطائفة من اليهود قالت العزيز بن الله وكفرهم القوم الآخرون فلم يجعلوا الوجود عين الله تعالى اهـ . قلت : وأتاني من ناحية دَرَهْمُلِيَيْنَ رجل قال لي : هل علمت معنى حديث : (( كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان )) ؟ - يشير لي بذلك إلى إلحادهم - فقلت له على الأثر إن هذا الحديث قد تكلم فيه المحققون من القوم بكلام يزيل

اللبس ونصه : قال في المدارج : وأما اللفظ الأول وهو كان الله ولا شيء معه . فهذا قد روي في الصحيح في بعض ألفاظ حديث عمران بن حصين وكان اللفظ الثابت (( كان الله ولم يكن شيء قبله )) وهو المطابق لقوله في الحديث الآخر الصحيح : (( أنت الأول فليس قبلك شيء )) ولم يقل فليس معك شيء . وأما قوله : وهو الآن على ما عليه كان، فزيادة في الحديث ليست منه بل زادها بعض المتحذلقين أي المدعين المتشبعين بما لم يبلغوا إليه من القدر وهي باطلة قطعاً، فإن الله مع خلقه بالعلم والتدبير والقدرة ومع أوليائه بالحفظ والكلاءة والنصرة وهم معه بالموافقة والمحبة . وصارت هذه اللفظة مجنا وترسا للملاحظة من الاتحادية فقالوا : إنه لا وجود سوى وجوده أزلا وأبداً وحالا ، فليس في الوجود إلا الله وحده وكل ما تراه وتلمسه وتذوقه وتشمه وتباشره فهو حقيقة الله تعالى الله عن إفكهم علواً كبيراً . وأما أهل التوحيد فقد يطلقون هذه اللفظة ويريدون بها لفظاً صحيحاً وهو أن الله سبحانه لم يزل منفرداً بنفسه عن خلقه ليس مخالطاً لهم ولا حالاً فيهم ولا ممازجاً لهم بل هو بائن عنهم بذاته وصفاته . وأما الشيخ - يعني إسماعيل الهروي - صاحب المنازل رضي الله عنه وأرباب الفناء فقد يعنون معنى آخر أخص من ذلك وهو المشار إليه بقوله أي في المنازل: (( لا يناسم رسمه سبقه )) أي لا يداني شخصك سبقه. ألا ترى أنك معه بل تراه وحده ، ولهذا قال: فتسقط الشهادات وتبطل العبارات وتفنى الإشارات . يعني إذا لم تشهد معه غيره وأسقطت الغير من الشهود لا من الوجود بخلاف ما يقوله الملحد الاتحادي إنك تسقط الغير شهوداً ووجوداً سقطت الشهادات والعبارات والإشارات لأنها صفات العبد المحدث المخلوق والفناء يوجب إسقاطها ، والمعنى أن الواصل إلى هذا المقام لا يرى مع

الحق سواه فيمحو السوى في شهوده وعند الملحد يمحوه من الوجود والله أعلم اهـ . وعبارة الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في هذه المسألة فإنه قال حديث : (( كان الله ولا شيء معه )) إن المراد بكان هنا كان الوجودية مثل : وكان الله عليما حكيمًا ، وليس المراد بها كان الفعل الماضي فلم يطلق ﷺ على الحق تعالى معية شيء معه فهو تعالى مع الأشياء ولا يقال إن الأشياء معه لأنها لم ترد. قال : وإيضاح ذلك أن المعية تابعة للعلم فهو تعالى معنا لكونه يعلمنا وليس لنا أن نقول إنا معه لأننا نعلم ذاته بخلاف حضرات الأسماء والصفات التي هي المرتبة لا بد من معية الخلق للحق تعالى معها لكونها تطلب العالم لتظهر آثارها فيه فإنه تعالى سمى نفسه الكريم والرحيم والغفور ونحو ذلك فكريم على من ورحيم بمن وغفور لمن ؟ ومن المحال أن يكون الحق تعالى محلا لهذه الآثار ولا بد من حضرة تحكم فيها هذه الأسماء بالفعل أو بالقوة إذ الإمكان لنا كالوجوب له تعالى . انتهى . ثم قال : فإن قلت : فلأي شيء لم يقل ﷺ في الحديث السابق : (( وهو الآن على ما عليه كان )) كما أدرجه بعضهم ؟ فالجواب : إنما لم يدرج ذلك ﷺ لأن الآن نص في وجود الزمان ولو جعلناه ظرفا لهوية الباري لدخل تحت ظرف الزمان وتعالى الله عن ذلك بخلاف لفظة كان فإنه حرف وجودي من الكون الذي هو عين الوجود فكأنه ﷺ قال : الله موجود ولا شيء معه في وجوده الذاتي فإن وجود غيره معه تعالى إنما هو بإيجاده وبإبقائه لا مستقلا . فعلم أن من أدرج هذه الزيادة المذكورة في الحديث فلا معرفة له بعلم كان ولا سيما في هذا الموضع . فإن قلت : فما الحامل لبعضهم على إدراجها ؟ فالجواب : الحامل له على ذلك تخيله أنها من كان يكون فهو كائن ومكون فلما رأى في الكون هذا التصريف

الذي يلحق الأفعال الزمانية تخيل أن حكمها حكم الزمان وليس كذلك فإن من أشبه شيئاً في أمر ما لم يلزم أن يشبهه من جميع الوجوه . فانظر يا أخي ما أعلمه ﷺ وما أكثر أدبه في كونه لم يطلق على الحق تعالى ما لم يطلقه تعالى على نفسه ذكره الشيخ محيي الدين في **لوائح الأنوار**. وقال في باب الأسرار من الفتوحات: من زاد في حديث: (( كان الله ولا شيء معه )) لفظة : (( وهو الآن على ما عليه كان )) فقد كذب القرآن. فإن الله تعالى قال : { كل يوم هو شأن } و { سنفرغ لكم أيها الثقلان } . وقد كان ولا أيام ولا شؤون في تلك الأيام . وقال تعالى : { إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كون فيكون } فكيف يصح قوله (( وهو الآن على ما عليه كان )) مع أنه مؤمن بالقرآن . هذا أعجب من عجب. انتهى. قلت: فلو أنصف هذا الفتان وخاطب العامة على قدر عقولهم لأراح المسلمين من فتنته التي إن لم تقع عاجلاً ستقع أجلاً لا محالة ولأبقى على ضعفاء العقول عقيدتهم السنية التي ورثوها من آبائهم وسالفي علمائهم. فلو دعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة على بصيرة من علم زمنه وقومه وضعف عقولهم وعلمهم فخاطب العامة كما كان سلفه يخاطبونهم لكان خيراً له ولإخوانه المسلمين: { فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم } .

## خاتمة

في إعلام الإخوان وتنبيههم على أن طرق ساداتنا الأولياء رضي الله عنهم لم تنزل فيما مضى توصل إلى الله تعالى ولا تزال فيما يأتي موصلة إلى أن يأتي المنتظر وهو سيدنا عيسى عليه السلام فتصير واحدة حين تصير المذاهب كلها مذهباً واحداً خلاف ما زعمه بعضهم من نسخها كلها سوى طريقة شيخنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه .

ولتقدم الكلام على حقيقة الولي وأن الزمان لا يخلوا من الأولياء إلى حين لا يبقى على الأرض من يقول الله فأقول وبالله التوفيق :

قال في فرائد الفوائد: الولي هو العارف بالله تعالى وصفاته المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي المعرض عن الذات والشهوات . ثم قال : الولاية على قسمين **صغرى وكبرى** .

- **فالصغرى** أن يتولى الله سبحانه عبده بالعكوف على طاعته ومنازمة أسباب سخطه وامتنال الأمور واجتتاب المنهيات ومجاهدة ضبط الحواس ومحاولة مراعاة الأنفاس .

- **والكبرى** أن يتولى الله عبده بأن يحو من قلبه كل ما سواه ويجمعه عليه بحيث لا يرى إلا إياه ، فلو حاول الالتفات لغيره لم يجد إلى ذلك سبيلاً ، بل لا يتصور ذلك في حقه لأن الالتفات لشيء فرع الشعور به ولا شعور له بغير مطلوبه ومرغوبه . فأهل الولاية الكبرى يحصل هذا لجميعهم إن شاء الله تعالى وأهل الولاية الصغرى قد يحصل ذلك لبعضهم لا لجميعهم اهـ بنقل صاحب الجيش .

قال في الرسالة القشيرية: الولي له معنيان أحدهما: فعيل بمعنى مفعول وهو من يتولى الحق سبحانه أمره . قال الله تعالى: { وهو يتولى الصالحين } فلا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى الله سبحانه رغباته .

**والثاني** فعيل مبالغة من الفاعل وهو الذي يتولى عبادة الله تعالى وطاعته فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان . وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي ولما يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ودوام حفظ الله تعالى إياه في السراء والضراء ، ومن شروط الولي أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع . ثم قال : سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: قصد أبو يزيد البسطامي بعض من وصف بالولاية فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه فخرج الرجل وتنخم في المسجد فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال : هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة فكيف يكون أمينا على أسرار الحق اهـ .

**قلت : الفرق بين العصمة والحفظ** أن الحفظ يجوز معه الوقوع في المعصية بخلاف العصمة فلا يتصور معها المعصية أبدا كما قال المحققون . وبالجملة فالولي وإن جازت فيه المعصية فرضا إلا أنه لا يجوز معه الإصرار عليها إذ ليست المعصية بالعظيم عند الله ، إذ قال رسول الله ﷺ: (( لو لم تذنّبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم بدلكم يذنبون فيتوبون فيتوب الله عليهم )) وإنما العظيم عند الله الإصرار على الذنب . ثم قال: بعد كلام : وما قدمناه من الحفظ المحكوم به للأولياء لا ينافي الهفوة والهفوات مع امتناع الإصرار منهم عليها فهو حد في الجملة وإلا فتلك الهفوات على تقديرها إنما تقع منهم في جانب الحق لا في جانب الحقيقة. المراد بالحق الشريعة ولذا قال ابن عطاء الله رحمه الله وقد بلغه قول أبي القاسم الجنيد - وقد سئل أيزني العارف بالله ؟ - { وكان قدر الله قدرا مقدورا } . لبيت شعري لو قيل له : أتتعلق همة العارف بغير الله ؟ لقال لا . فبان بهذا أنه إن قدر الله على أحدهم

الوقوع في المخالفة فيما يستعظم في حقه يكون في حكم غلبة الغفلة عليه في بعض الأزمنة كحكم غلبة سنة النوم على الخائف في بعض الأمكنة وعند الانتباه يقع منه شدة الندم فافهم . وفي الحديث عنه ﷺ : (( إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب )) وفي الصحيح أيضا: (( وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم )) وفيه أيضا عن زيد بن أسلم إن الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه أن يقول له اصنع ما شئت فقد غفرت لك . وحاصل ما ذكر عدم العزم على القبيح ابتداء ونفي الإصرار عليه انتهاء فالتوبة لازمة له لا تنفك عنه وهي ماحية للذنوب فمتى حصلت قبل الموت فلا تضر معها الذنوب الماضية. انتهى من الجيش عن الطرائف والتلائد . قال أبو بكر الأصبم : أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله تعالى والدعوة إليه . والولي من الولاء وهو القرب والنصرة فولي الله هو الذي يتقرب إلى الله بكل ما افترض الله عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في نور معرفة جلال الله تعالى فإن رأى دلائل قدرة الله ، وإن سمع سمع آيات الله ، وإن نطق نطق بالثناء على الله ، وإن تحرك تحرك في طاعة الله ، وإن اجتهد اجتهد فيما يقربه إلى الله ، لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى وليه وناصره ومعينه . قال تعالى : { الله ولي الذين آمنوا } من الصاوي على الجلالين . قال في روح البيان عند قوله تعالى : { ألا إن أولياء الله } الخ أي أحبباء الله وأعداء نفوسهم ، فإن الولاية هي معرفة الله ومعرفة نفوسهم ، فمعرفة الله رؤيته بنظر المحبة ومعرفة النفس برويتها بنظر العداوة عند كشف غطاء أحوالها وأوصافها ، فإذا عرفت حق المعرفة وعلمت أنها عدواة لله ولك وعالجتها بالمعاندة والمكابدة أمنت مكرها وكيدها وما نظرت إليها بنظر الشفقة والرحمة كما في التأويلات النجمية . قال المولى أبو

السعود رحمه الله : **الولي** لغة القريب والمراد بأولياء الله خُصَّ المؤمنون لقربهم الروحاني منه سبحانه اهـ . لأنهم يتولونه تعالى بالطاعة أي يتقربون إليه بطاعته والاستغراق في معرفته بحيث إذا رأوا رأوا دلائل قدرته وإذا سمعوا سمعوا آياته وإن نطقوا نطقوا بالثناء عليه وإن تحركوا تحركوا في خدمته وإن اجتهدوا اجتهدوا في طاعته اهـ قال في الاتحاف ما نصه: وفي بعض الإشارات إنما سميت الولي ولياً لأنه يليني دون ما سواي. وفيه أيضاً الولي كما قال الأكابر عليهم رحمة الملك القادر: هو الذي والى طاعة الله ظاهراً وباطناً وكان بها في سره وجهه معلناً بقول الله تعالى في محكم الكتاب: { فإذا فرغت فانصب } أي إذا فرغت من عبادة فاتعب في أخرى كما قاله بعض الأفاضل ، وبالتحقق بما ذكر يحصل القرب من حضرة الله وتتحقق أمارات سابق فضل الله وكمال اصطفاؤه واجتباؤه الذي هو إكسير ولاية الله كما قيل :

**ثم الولي مؤمن قد قرباً من ربه قرب اصطفاء واجتبا**

قال الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي في الطرائف والتلائد : أصل الولي من الموالاته وله معنى يعم كل مؤمن وآخر يختص بمن أخلص لله فولاه أمره وأخص منه من أفاض الله عليه ما فضله على غيره من أسرار ومعارف إلهية أنار بها بصيرته حتى شاهد أسرار صنعه وكشف لنفسه القدسية خفايا الملك والملكوت ، وهي مرتبة جليلة . قال : وله مراتب إلا أنه يشترط أن تكون له كرامة وهي تدل على صدق صاحبها وفصيلته ولا يجوز له مساكنتهما ولا ملاحظتهما فضلاً عن الاغترار بهما اهـ . بنقل صاحب الجيش. ونقل أيضاً عن اليدالي في **فرائد الفوائد** ما نصه : وأما شروطه فأن يكون عارفاً بأصول الدين حتى يفرق بين الخلق والخالق وبين النبي والمدعي وأن يتخلق بالأخلاق المحمودة التي يدل عليها الشرع كالورع وامتنال



الأوامر والعقل وما تثمره المعرفة كعدم تعلق قلبه بما سوى الله تعالى خوفا وطمعا لعلمه حدوث العالم وأنه في قبضته تعالى وكإخلاص العمل لعلمه الوجدانية ، إذ الربوبية لا تحتل الشركة في شيء . وإذا علم أن القدر سابق بما هو كائن لم يخف فوت شيء مما قدر له ولم يرج نيل شيء مما لم يقدر له وهذا هو المعبر عنه بالرضى، ويرفق بالخلق ويصفح عنهم عند إذابتهم له لعلمه أنهم لا يستطيعون لأنفسهم فضلا عن غيرهم دفع ضرر ولا جلب نفع وأن يلزم الخوف أبدا . ثم قال: قال في رسالة النصر: وليس من شرطه أي الولي أن يكون عالما بما تقوم به فروض الأعيان أي ما يحتاج إليه في خاصة نفسه ويحتاج المرید إليه في سلوكه إذ كثير من العلوم الظاهرة لا مدخل لها في السير والسلوك وإلا لزم الحط من مرتبة كثير من فحول الطريقة وأعلام الوجود فقد كان كثير منهم غير متزلعين بعلوم الشريعة . وأما العلم الباطن أي بنوعيه علم المعاملة وعلم المكاشفة فالمطلوب منه التبحر التام إذ هو المقصود بالذات منه لتسليك المرید وتعليمه على الطريقة والحقيقة فيكون عنده علم تام بالله وصفاته وأسمائه وما يتبع ذلك ويتعلق به من الأحكام والعلم بأفات الطريق ومكايد النفس والشيطان وطريق المواجيد وتحقيق المقامات قد حصل له ذلك على سبيل الذوق والوجدان وحصلت له في ذلك قوة و تمكن من رفع الموانع وقطع العلائق الظاهرة والباطنة وبصيرة نافذة يعرف بها قابلية أصحابه واستعدادهم ليحمل كل واحد على شاكلة قابليته واستعداده . قال : ومعنى الجمع بين الشريعة والحقيقة أن يكون قد أشرق باطنه بأنوار اليقين قائما بشعائر الدين أي مجذوبا سالكا ثم قال : والظاهر أنه إنما تشترط الإحاطة بعلوم الشريعة كلها في الكمل من الأولياء كالأقطاب ونحوهم كما هو صريح ما تلقيناه عن الشعري اهـ بتلفيق من الجيش. وأما حديث:

(( ما اتخذ الله وليا جاهلا ولكن إذا اتخذ علمه من لدنه علما يربو على علم العلماء وحكمة الحكماء )) فالمراد بهذا الجهل كما قال بعض الأكابر الجهل بما يجب لله من التنزيه والتعظيم والإجلال وما يجوز له وما يستحيل عليه من النقائص كالولد والوالد والزوجة فإذا أراد أن يتخذ الجاهل بهذا وليا علمه من لدنه علما يربو على علم العلماء وحكمة الحكماء . أي علمه بما ذكر من الواجب له تعالى والمستحيل عليه والجائز . وفي فتح الودود للشيخ سيدي المختار أن بعض التابعين قال لبعض الصحابة : إني أرى واحدا منا يكون أكثر علما من واحد منكم معاشر الصحابة وأنتم أتم منا إيمانا وأقوى إيقانا ؟ فقال الصحابي : إنما ذلك لأننا سبق في قلوبنا بذر الإيمان ثم تعلمنا العلم فصلح كله وأنتم تعلمتم العلم قبل الإيمان ففسد أكثره اهـ والدليل عليه أنه ﷺ كان إذا أتاه العج البدوي ألقى إليه ما يجب اعتقاده فإذا علم أنه رسخ في قلبه وكمل إيمانه قال للصحابة فقهوا أخاكم . فانظر كيف جعله أبا لهم قبل معرفته حكم فرض عينه وما ذلك إلا من جهة الإيمان لقوله تعالى : { إنما المؤمنون إخوة } وتقدم مثله في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه في الفصل الرابع قال ابن زكري رحمه الله تعالى : يؤخذ من حديث (( العلماء ورثة الأنبياء وأمناء الرسل )) أن العلماء الحقيقيين المذكورين في قوله تعالى : { إنما يخشى الله من عباده العلماء } أفضل من الأولياء الذين لم يؤهلوا لبث العلم ونشره وكذا من الشرفاء الذين لم يؤهلوا لذلك وإن كانوا أفضل من حيث البضعة . قال : وهذا هو الحق الذي انفصل عنه الأئمة المقتدى بهم . قال : وقال أبو إسحاق الشاطبي : وقد أثنى الله تعالى على كل منهما ولكل منهما رتبة عالية والجمع بينهما لا غاية فوقها كما كان الصحابة رضوان الله عليهم ومن ألحق بهم من التابعين . ثم بعدهم امتازت الطريقتان فخرج إلى جهة

العلم من وفقه الله وصار أغلب أحواله ومال إلى جهة الانقطاع إلى العبادة غير العلم من هياه الله له وهما في الحقيقة طريقة واحدة إذ شرط العالم أن يكون عاملا بالعلم والعمل لا يصح عمله إلا بشرط العلم فلا يكون العلم علما في الشرع إلا بالعمل ولا يكون العمل عملا شرعا إلا بالعلم غير أنهما يختلفان باللقب الغالب لأنهم يسمون العالم من كان أغلب أعماله العلم والولي من كان غالب أعماله الانقطاع إلى العبادة فإذا كل عالم ولي لله وكل ولي لله عالم . ثم قال بعد كلام طويل : وينبغي أن يعلم أنه ليس المراد به أهل العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكفنه المهابة اهـ . وفي لطائف المنن : كل علم تكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لأهلها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الأمل ونسيان الآخرة فما أبعد صاحبه من أن يكون من ورثة الأنبياء . وهل ينتقل الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التي كان بها عند الموروث عنه . انتهى كلام الشاطبي باختصار من صاحب الجيش ، إلى غير ذلك مما عرفوا به الولي وقد تقدم كثير منه في أوصاف العارف والأوصاف كلها متقاربة وبعضها باعتبار البداية وبعضها باعتبار النهاية ، ثم إن هذه الأوصاف قد تظهر عليه فيجب التصديق به كما قال الشيخ سيدي المختار الكنتي في جذوة الأنوار ونصه: فإيمان رجل تيقن خصوصيته - يعني الولي - ولم يتبعه ولم يوافقه على أقواله وأفعاله فلا حجة له عند الله يوم القيامة ، ومما يشهد لذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : الولي في قومه كالنبي في أمته . فكما يجب تصديق النبي ﷺ كذلك يجب التصديق به والاقتران به ومحبته وإجلاله لتمام متابعتة لنبيه المقتبس من نور مشكاته فالأنبياء حجج الله والأولياء أنصار الله اهـ . وقد لا يظهر ذلك عليه وذلك لا ينافي أنه ولي إذ لا يصح لأحد أن يقطع على المولى الكريم

ويحجر على فضله الواسع بأنه لا يكون إلا لمن صدقت عليه ضوابط الولاية وقواعدها ، وقد يبلغ الجهل بأقوام إلى إنكار الولاية عن كل موجود من أهل زمانهم لما استحكم في قلوبهم من حصر الولاية وتحققها بالضوابط فإذا عرض تلك الضوابط على كل موجود من أهل زمانه وجدها لا تطابقه فينفي عنه الولاية ويصير حاله أنه يؤمن بولي لا وجود له في الخارج ولم يدر أن الولاية هي مجرد اصطفاء من الله تعالى على عباده ولا يقدر على ضبطها مخلوق من المخلوقين .

قاله اللمطي في الإبريز ثم قال : وكم من أحد إذا طالع الكتب فإذا عرض تلك الصورة على أولياء زمانه شك فيهم أجمعين لما يشاهد فيهم من الأوصاف التي لا تكتب في الكتب ولو أنه شاهد الذين دونت بكراماتهم قبل تدوينها لوجد فيهم من الأوصاف ما أنكره على أهل زمانه اهـ . ثم قال في سماعه عن سيدي عبد العزيز الدباغي رحمه الله تعالى: من توهم أن الولي لا يعجزه في أمر يطلبه فقد وصفه بوصف من أوصاف الربوبية وهو القدرة ، ومن ظن أنه لا يصدر منه شيء من المخالفات فقد وصفه بوصف من أوصاف النبوة وهو العصمة .

والولاية لا تزاحم النبوة . ثم قال : والولي كسائر الناس تارة تظهر الطاعة على جوارحه وتارة تظهر المخالفة عليها كسائر الناس . وإنما امتاز عنهم بأمر واحد وهو ما خصه الله تعالى به من المعارف ومنه من الفتوحات ومع ذلك فالمخالفة إن ظهرت عليه فإنما هي بحسب ما يظهر لنا لا في الحقيقة لأن المشاهدة التي هو فيها تأبى المخالفة وتمنع من المعصية منعا لا ينتهي إلى حد العصمة حتى تزاحم الولاية النبوة فإن المنع من المعصية ذاتي في الأنبياء عرضي في الأولياء ، فإذا العارف الكامل إذا صدرت منه مخالفة فهي صورية لا حقيقية قصد بها امتحان من شاهده واختباره ولذلك أسرار فنطلب من الله تعالى أن يوفقتنا

بالإيمان بأوليائه كما وفقنا بالإيمان بأنبيائه عليهم الصلاة والسلام . ثم قال : ومن علم سيرة النبي ﷺ في أكله وشربه ونومه ويقظته وجميع أحواله في بيته وحروبه وغزواته وكيف يدال له مرة ويدال عليه أخرى وسائر أحواله هانت عليه معرفة الأولياء ولا يستنكر ما يراه على ظاهرهم من الأمور الفانية والأوصاف البشرية ، ثم قال : فعلى العاقل الذي يحب الخير لنفسه أن يكثر من مطالعة سيره ﷺ فإن ذلك يهديه إلى معرفة الأولياء العارفين اهـ بنقل صاحب الجيش ونقل عن الطرائف أيضا ما نصه: لم يخل زمان من ولي من أولياء الله تعالى يحفظ به البلاد والعباد ويجري على يديه الزوائد والإمداد يتجلى عليه طورا باسمه الظاهر فيظهر بمعالي الخصوصية وطورا باسمه الباطن فيبطن تحت جلابيب البشرية فينخرق ذلك الحجاب لعين الصادق المبصر ويقف دون ذلك الجلابب قدم الأعمى فيقول : { ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون } . وقال أيضا: الأولياء كثيرون لا ينقص عددهم ولا يقبض مددهم ولو نقص واحد منهم لنقص نور النبوة إلا أن معرفتهم صعبة فلا يراهم إلا من رآهم بعين مددهم إذ الضدية حجاب كثيف اهـ . قال الشعراني في لطائف المنن: من الناس فرقة صدقوا بكرامات الأولياء الذين ليسوا في زمانهم وكذبوا بأوليائه زمانهم فهم كما قال الشاذلي رضي الله عنه : ما هي إلا إسرائيلية صدقوا بموسى وكذبوا بمحمد ﷺ اهـ قال الشيخ أبو محمد اليافعي رحمه الله : عليك بالاعتقاد في أهل عصرك من أولياء وعلماء وإياك أن تكون ممن يصدق بأن الله أولياء وعلماء عاملين ولكن لا يصدق بأحد معين فإن هذا محروم من الإمداد لأن من لم يسلم لأحد معين لم ينتفع بأحد أبدا اهـ . قال في ضياء النهار : فإن قلت : متصوفة هذا الزمان ليسوا كمتصوفة الصدر الأول ومن هنا جاء الطعن والشنآن قلت : فقهاء

الزمان ليسوا كفقهاء الصدر الأول ونحاة الزمان ليسوا كنحاة الصدر الأول وخطباء الزمان ليسوا كخطباء الصدر الأول وقضاة الزمان ليسوا كقضاة الصدر الأول وقراء الزمان ليسوا كقراء الصدر الأول وفرسان الزمان ليسوا كفرسان الصدر الأول وملوك الزمان ليسوا كملوك الصدر الأول ووزراء الزمان ليسوا كوزراء الصدر الأول وعمال الزمان ليسوا كعمال الصدر الأول ونصحاء الزمان ليسوا كنصحاء الصدر الأول وتدريس الزمان ليس كتدريس الصدر الأول فما بلنا لم نر نقصا ولا حدوثا ولا تغيرا في شيء من ذلك سوى فيمن انتمى إلى الله وأثر ذكر الله على ما سواه وألقى همته في تعظيم رسول الله والحض على اتباع السنة والذب عنها ، ثم قال: فإذا تقرر هذا وعلمنا أن كل طائفة من العالمين ليست كمن انتمت إليه في الصدر الأول غير أنها قد حازت رتبة من قد نسبت إليه بقدر استطاعتها وأفرغت مجهودها بقدر استطاعتها فيما انتحلت ولا حول ولا قوة لها فلا يخفى على حل منصف أن من انتمى إلى أهل رتبة شريفة قد نال بمجرد انتمائه إليهم شرفا فأحرى إن انتحل مما انتطوه وتعاطى ما تعاطوه اهـ من الإتحاف.

**قلت :** فكما أن كبراء كل طائفة من هذه الطوائف قد أدخلوا في نحلتهم أمورا بنوها على أصلهم الصحيح بحسب الحال والوقت فكذلك أدخل كبراء من انتمى إلى الله أمورا في الدين بنوها على أصل صحيح فأجازوا أشياء كان السلف يكرهونها أو يحرمونها وأحدثوا أحوالا و هيئات للعبادة لم يكن أكابر الصدر الأول يعملون بها لعلمهم بأن لكل وقت دولة ورجالا كما قال بعضهم (( يحدث للناس أحكام بقدر ما أحدثوا من الفجور)) وقال بعضهم : وكذلك يحدث لهم أعمال بقدر ما أحدثوا من الفجور . قال في سلسلة الأنوار للشيخ سيدي أحمد بن عطية رضي الله عنه ما نصه ببعض اختصار وتقديم وتأخير: إياك أن تقول

طلبت أبا أحبه في الله أو شيخا يدلني على الله فلم أجده فإنك لو طلبته بصدق ونية خالصة لوجدته وتستفيد منه كل خير في الظاهر والباطن لكن بعد حصول التوبة وخلوص النية وترك البدعة والافتداء بالسنة ، إذ بذلك تنال هذه المنزلة إن شاء الله ، واعلم وفقني الله وإياك لما فيه رضاه أن السادات الأولياء رضي الله عنهم لا يخلو منهم زمان لكن حجبوا عنا لكثرة فجورنا حتى لا نراهم إلا بشرا مثلنا أخفاهم الحق سبحانه عن أبصارنا فإذا قال لنا قائل إن فلانا ولي من أولياء الله قلنا هذا محال لا يتصور في العقل أنه ولي لا سيما إن كان أقيم في الأسباب نفوا عنه الكمال وقالوا ليس هذا من أحوال الرجال إنما هو بشر مثلنا ، وقد قالها الذين من قبلهم حيث قالوا : { ما هذا إلا بشر مثلكم } الآية . وفي معناه قال الشيخ سيدي عبد الله العثماني في قصيدته :

فعسكر الأبرار مكمل العدد      ما دامت الأرحام تحمل الولد  
يبعثهم مدبر الأحيان      من شكل أهل ذلك الزمان  
يخيفهم في خلقه عن خلقه      وذاك فاعلم من عظيم لطفه

وقال أبو المواهب التونسي :

اختفاء رجال كل عصر      تحت سوء الظنون قدر جليل

قال ابن عطاء الله رضي الله عنه : اختفاء أهل الله أكثر من ظهورهم مع بقاء وجودهم لأن الله تعالى سلب التصديق من قلوب الخلق فلا تهزهم الموعظة ولا يذكرهم الحديث والآية . قال بعضهم : والله لا خلت الدنيا من الرجال لأنهم دعائم الوجود على كل حال. ذكره الشاطبي . قال الإمام الخروبي الطرابلسي رضي الله عنه في كفاية المرید ما نصه: ولقد أدى الحال في هذا الزمان أن الناس إذا سمعوا ما كان عليه الرجال في الصدر الأول من الأحوال والمقامات والمجاهدات وما فتح الله علي أيديهم من الفتوحات وصفاء المعاملات وترقي الدرجات وما أظهر الله

على أيديهم من الكرامات من الحكم الربانية والعلوم اللدنية تعجبوا من ذلك وقالوا : تلك أمة قد خلت وطريق اندرست وربما إذا رأوا أحدا من المشايخ يقرع باب الكريم لينال من فضله العميم سخروا به واستخفوا بحقه ويؤذونه أما علموا أن السادات الأقدمين بشر مثلنا لهم نفوس كنفوسنا وشهوات كشهواتنا لكن جاهدوا في الله حق جهاده حتى اجتباهم وجرعوا أنفسهم المرارة حتى تمتعوا بالحلاوة ولا يصيب الشفاء من لم يتجرع مرارة الدواء اهـ . قال بعضهم رحمه الله : لما علم الله تعالى من عباده ما علم من التكذيب بأهل هذه الطريق وعدم الصدق معهم أخفاهم الله تعالى في خلقه وحجبهم عنهم سترًا منه عليهم ولطفًا منه تعالى بعباده لأن جميع الخلق يتوسلون إلى الله بأوليائه ويعتقدون أنهم موجودون في كل زمان لكن انطمست منهم الأبصار لأجل الخطايا والذنوب والأوزار كما قال الشيخ سيدي أبو الحسن الحارثي رضي الله عنه في قصيدته :

وبأهل وقتنا لقد حجبوا عنا لأجل انغماسنا في بحر الخطيئة  
 أيارب يا مولاي يا من له اللجا إليك شكايتي في دفع مصيبة  
 واعلم وفقني الله وإياك أن حجب الأولياء عن الخلق من أعظم  
 المصائب والعقوبات لأن أولياء الله رضي الله عنهم لا ينقطعون أبدا ما  
 دامت الدنيا فإذا مات منهم واحد ترقى لمقامه آخر وهذا اعتقاد سعداء  
 الخلق ولذلك قال الشيخ سيدي أبو العباس المرسي في قوله تعالى: { ما  
 ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها } أي ما نذهب بولي إلا  
 ونأت بخير منه أو مثله ، فمن أراد الله به خيرا وفقه لصحبتهم وأعانه  
 على طريقهم ورزقه محبتهم هم القوم لا يشقى جليسهم اهـ . وكان الشيخ  
 سيدي مكين الدين الأسمر رضي الله عنه يقول : كما أن للدنيا أبناء من  
 استند إليهم كفاه كذلك للآخرة أولياء من أحبهم واستند إليهم أغناه ولا



تقل طلبتهم فلم أجدهم فإنك لو طلبتهم بصدق ونية لوجدتهم وسبب عدم وجودك كثرة فجورك لأنك لو تركت الفجور وأحسنت الظن بعباد الله لظهرت لك الأولياء بكثرة فتلوح عليك أنوارهم وتنجلي لك أسرارهم ولا يرى العرائس المجرمون . وقال الشيخ ابن عطاء الله رضي الله عنه : إياك يا مسكين أن تعتقد أن أولياء الله لم يوجدوا فتحجب عن رؤيتهم وتفوتك صحبتهم ومحبتهم . قال أبو المواهب التونسي رضي الله عنه : ذكر لي بعض الإخوان أنه قال لرجل من الصالحين بمصر يا سيدي تمنيت أن أرى وليا من أولياء الله بهذا البلد فقال لي : إذا لم تتكلم أنا أطعك عليهم فقلت له نعم فأخذ بيدي ودخل من باب زويلة ولم يزل يشير لي بيده تارة لتارة لحمال وتارة لمكاري بالأجرة وتارة لدلال وتارة لتاجر وتارة لقاظ وتارة لحرفوش وتارة لشرطي ثم قال لي: يا ولدي لا تظن أن نور الله يطفأ من هذه الأمة لأن نورها فياض ومددها قوي، ألم تسمع قوله عليه السلام (( أمتي كالمطر لا يدرى أولها خير أم آخرها )) الحديث ذكره الثعالبي في رياض الصالحين اهـ . ثم اعلم وفقني الله وإياك أن رجلا كان من أهل الصلاح والدين فدخل ذات يوم بمسجد القرويين لصلاة الجمعة فنظر لما فيه من الخلائق وقال في باطنه : يا ترى هل في هذا المسجد ولي من أولياء الله فما تم كلامه حتى جذبته رجل من خلفه وقال له : والله ما في الصف الأول الذي أنت فيه إلا خمسون رجلا لو سألوا الله في القيامة لقامت فالتفت في خلفه فلم يجد أحدا فكان يدعو الله في سجوده ويقول في دعائه : اللهم انفعني ببركاتهم ونور قلبي حتى أرى منهم ولو رجلا واحدا نتوسل به إلى الله تعالى فلما قضيت الصلاة خرج على باب المسجد الذي يليه فإذا برجل رمى بنعله إلى الأرض وأدخل رجله اليمنى فيه وبقيت اليسرى مرفوعة فسمعه يقول سبحان الله طويت الأرض فعلم أنه

ولي من أولياء الله فأتى إليه ليتبرك به ويطلب منه الدعاء الصالح فلم يجده بين الناس قال والله من ذلك اليوم لا أظن في جميع المسلمين إلا الولاية ولا فيهم عاص غيري اهـ . وفي معناه كان الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن عطية رضي الله عنه يقول :

**فكل الذي لاقيت فالخضر اعتقد وكل الليالي ليلة القدر فاجتهد**

لقوله عليه السلام: (( لو حسنت ظنك في حجر لاستفدت منه )) الحديث لأن المؤمن كله بخير على كل حال اهـ . قال في لطائف المنن : فأولياء الله أهل كهف الإيواء فقل من يعرفهم ، قال : وسمعتة يعني شيخه أبا العباس رضي الله عنه يقول : معرفة الولي أصعب من معرفة الله فإن الله معروف بكماله وجماله ومتى تعرف مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما يشرب وهم ظاهرهم مزين بأحكام الشرع وباطنهم مشغل بأنوار الفقر ، ثم قال فيه : وإذا أراد الله أن يعرفك بولي من أوليائه طوى عنك شهود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته . قال في البغية بعد هذا الكلام : وذلك لأن الولي لا يلزم من ثبوت خصوصيته انعدام بشريته ، وبيانه أن الخصوصية في ما يخص الله تعالى به عبده من أوصافه العلية ونعوته القدسية ليغطي بذلك أوصاف نفسه البشرية ويوصله إلى حضرة معارفه السنية وهذا الستر وارد من الله تعالى على العبد من عين الجود والمنة وليس بذاتي له ، وأما بشريته فهي الأوصاف الذاتية للعبد والأمر الذاتي يستحيل انعدامه وإنما اللازم من ذلك الستر عدم غلبة ذلك الوصف على العبد بحكم الوارد الموجب لتعطيل أحكامه لا لانقلابه وانعدامه ، فإذا قدر زهاب هذا الوارد الغالب بقي الوصف البشري الذاتي غالبا قاهرا فمن أراد الله أن يوصله إلى أحد من أهل ولايته أيده بأنوار عنايته فطوى عنه أوصاف بشرية ذلك الولي الذاتية وأشهده تلك الخصوصية الواردة عليه من آثار النعوت

الأسمائية والصفاتية ، ومن لم يرد الله به ذلك عميت عليه في تلك الخصوصية الأنبياء وانطمست بينه وبينها المسالك فاهم . وههنا دقيقة وهي أن كل قاصد إلى الولي من المريدين لا يرى إلا ما هو متلبس به في باطنه لما ذكره صاحب الذهب الإبريز عن شيخه القطب سيدي عبد العزيز رضي الله عنه من أن الولي الكامل يتلون على قلوب القاصدين الخ كلامه، فكل من قصد الولي معتقدا فيه الكمال مصدقا بما منحه الله تعالى من سني الكرامات ولأحوال كان جزاؤه من الولي الكبير المتعال أن لا يريه منه إلا ما يشرح له الصدر وينفس حبه البال . وكل من قصده معتقدا فيه غير ذلك لا يرى إلا ما يسوءه ويستهو به في الردى والمهالك جزاء وفاقا . وقد قال سيدنا الشيخ رضي الله عنه في جواب له عن حقيقة الشيخ الواصل ما نصه : وأما التصديق للأولياء فهو أمر إلهي يضعه الله في القلب فلا يقدر على الانفكاك عنه ولو رأى منه ألف معصية لكن إن كان المرید صادقا فثواب صدقه أن لا يرى سوى ما يسره إلى آخر كلامه رضي الله عنه فليراجعه من أراد هـ. وقال أبو يزيد رضي الله عنه : أولياء الله عرائس ولا يرى العرائس إلا من كان محرما لهم وأما غيرهم فلا وهم مخدرون عنده في جمال الأانس لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة هـ . وسئل سهل بن عبد الله رضي الله عنه كيف يعرف أولياء الله ؟ فقال : إن الله لا يعرفهم إلا لأشكالهم أو من أراد أن ينفعه بهم ولو ظهروا حتى يعرفهم الناس لكانوا حجة عليهم ومن خالفهم بعد علمه بهم فقد قعد عنهم كذلك ولكن الله تعالى جعل اختياره تغطية أمورهم رحمة منه بخلقه ورأفة ولكن الله أخبر بكرامتهم فقال : { الله ولي الذين آمنوا } فأفردهم به هـ . قال ابن عطاء الله في حكمه: سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل إليهم

إلا من أراد أن يوصله إليه . أي لأنه يلبسهم لباس التلبيس بين الأنام ويظهرهم بما يحقرهم في أعين العوام اهـ . قال في عدة المرید: لا يتوصل إلى الشيخ المربي والاسم الأعظم بسبب ولا استعداد وطلب ولكن بمنة الله سبحانه وبساط العبودية فالتزمها وبالله التوفيق اهـ بنقل صاحب الجيش. قلت : ومن أعظم الحجب المانعة من معرفة أولياء الله: - كون واحد منهم في سعة من الدنيا ورغد من المعيشة فيعترضون عليه حسدا من عند أنفسهم كما قال أهل الكتاب في حق النبي عليه السلام : لو كان نبيا لاشتغل عن النساء . فأنزل الله تعالى في حقه : { أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما } قال الشعراني في مننه : ومما أنعم الله تبارك وتعالى به عليّ عدم استكثاري على علماء الزمان شيئا من أمتعة الدنيا أو وظائفها فإن ذلك من توابع ناموس العلم ولا أقول كغيري قل أن يسلم من اتسع في الدنيا من الشبهات في الحرام إلا إذا كان ذلك في مناقشتي لنفسي بل أقول هم أعلم بالحلال والحرام مني . وقد كان الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول : لا بد للعالم من مال وجاه حتى لا يذل لأحد من الخلق ولا يحتاج إليه . انتهى ، وذكر الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه في رحلته إلى العراق قال : لما قدمت العراق واجتمعت بمحمد بن الحسن في الجامع فعزم على أن آتية في منزله فأجبتة إلى ذلك فقدم إلى بغلته بسرج محلى بالذهب حتى أتيت إلى منزله فرأيت أبوابا عراقية ودهاليز منقوشة بالذهب والفضة فذكرت ما فارقت عليه مالكا رحمه الله تعالى من ضيق المعيشة وبكيت فقال محمد بن الحسن : لا يروعك يا أبا عبد الله ما رأيت فما هو إلا من حقيقة حلال ومكسب وإخراج زكاة مالي كل سنة، وما أظن أن الله تعالى يطالبني بفرض فيه ونعم المال للرجل يسر به

الصديق ويكمد به العدو. قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه :  
ثم إنه كساني خلعة بألف دينار فلما أردت السفر زودني بثلاثة آلاف  
درهم وعرض عليّ أن أشاطره في جميع ماله فأبيت ثم إنني اجتمعت  
بالزعفراني فرأيتَه في دنيا واسعة فأعطاني أربعين ألف درهم لما  
عزمت على السفر وعرض عليّ أربع ضياع له وقال : قد سمحت  
لك بها فلم أقبل فورد جماعة من الحجاز فسألتهم عن مالك فذكروا  
لي أن الله تعالى وسع عليه في الدنيا وأنه صار له ثلاثمائة وستون  
جارية تتوب إحداهن منه في السنة ليلة واحدة. قال الإمام الشافعي  
رضي الله تعالى عنه : فلما سافرت إلى الإمام مالك ودخلت المدينة  
وافيته في المسجد في صلاة العصر فصليت معه ثم نظرت إلى كرسي  
من حديد وعليه مخدة من قباطي مصر مكتوب عليها بالحرير لا إله إلا  
الله محمد رسول الله وحول الكرسي أربعمئة دفتر أو يزيدون ، فبينما  
أنا كذلك إذ رأيت مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه قد دخل من  
باب النبي ﷺ وقد فاح عطره في المسجد يحمل أذنيه أربعة فلما  
وصل إلى الكرسي قام الحاضرون كلهم له وجلس على الكرسي فألقى  
مسألة في جراح العمد فما زال يتكلم في العلم ويستدل حتى نزل من  
الكرسي فقامت وسلمت عليه فضمني إلى صدره ثم مسك بيدي وأتى  
بي إلى منزله فرأيت بناء غير البناء الأول الذي كنت أعهده قبل  
رحلتي إلى العراق فبكيت فقال لي مالك مم بكائك كأنك يا أبا عبد  
الله ظننت أننا بعنا الآخرة بالدنيا طب نفسا وقر عينا هذه هدايا  
خراسان وهدايا مصر تجيئني من أقصى البلاد وقد كان النبي ﷺ  
يقبل الهدية ويرد الصدقة وإن لي ثلاثمئة خلعة من خراسان  
وثلاثمئة خلعة من قباطي مصر عندي من العبيد مثلها وهي كلها  
هدية مني إليك وفي صناديقي تلك خمسمئة ألف دينار أخرج زكاتها

كل حول نصفها هدية مني إليك ، فقلت : إنك موروث وأنا موروث وما جنتك لمثل ذلك فتبسم مالك رضي الله عنه في وجهي وقال : أبيت إلا العلم فلما أردت السفر إلى مكة خرج معي ماشيا حافيا فقلت له : ألا تركب دابة ؟ فقال : استحي من رسول الله ﷺ أن أطأ مكان قدمه بحافر دابتي . قال الشافعي رضي الله تعالى عنه: فسرت بذلك وعلمت أن ورعه على حاله لم ينقص وأن كثرة المال جمال للعلماء لا يضرهم إن شاء الله تعالى وأعطاني مالا جزيلا فلما وصلت إلى مكة فرقته على بني عمي بإشارة أمي خوفا عليّ أن افتخر عليهم ، ولما بلغ مالكا ذلك استحسنته مني ووعدني بأنه يرسل إليّ كل سنة مثل ما وصل إليّ منه ، قال : وأقام مالك رضي الله تعالى عنه يحمل إليّ كل سنة من المال ما يكفيني إحدى عشرة سنة فلما مات مالك إلى رضوان الله ورحمته ضاق عليّ الحجاز فخرجت طالبا أرض مصر فعوضني الله تعالى ابن عبد الحكم فقام بكفايتي في مصر . انتهى . فقد علمت يا أخي أن ناموس العلماء لا يتم إلا باتساع الدنيا عليهم كالمملوك فكما ينفق الملك على جنده كذلك العالم ينفق على طلبته وكما أن الجند يحفظون دين الإسلام من العدو الظاهر فكذلك طلبه العلم يحفظونه من العدو الباطن وأن كمال الدين لا يحصل إلا بالمملوك والعلماء وكذلك بلغنا عن الإمام أشهب صاحب مالك أنه كان في سعة من الدنيا وكانت معيشته كمعيشة المملوك. وكانت بلاد جيزة مصر أقطاعا للإمام الليث بن سعد رضي الله تعالى عنه وكان خراجها كل سنة مائة ألف دينار لم تجب عليه زكاة قط . وكان الفخر الرازي له ألف مملوك خلاف الجواري والخدم والخيل ، فأياك يا أخي أن تعترض ولو بقلبك على أحد من علماء زمانك إذا تشبه بالإمام مالك أو غيره من العلماء السابقين في توسعة الدنيا وملابسها ومراكبها فإن

ذلك من الجهل بك فإن العلماء والأولياء على أقدام الرسل عليهم الصلاة والسلام فمنهم من كان له مال ومنهم من لا مال له كسيدنا سليمان وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام . ومن الأولياء كسيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي إبراهيم بن أدهم وسيدي أحمد الزاهد رحمهم الله ، فكل واحد منهم قائم بمرتبة هو كامل فيها لا تضره سعة الدنيا عليه ولا ضيقها فإياك يا أخي أن تعترض على مثل سيدي محمد البكري أو على سيدي محمد الرملي إذا ركبا الخيول المسومة أو لبسا الثياب النفيسة فإن ذلك اعتراض بالجهل وحسد منك وأظنك أنه لو حصل لك ما هما فيه من الدنيا ما كنت ترده أبدا وما حث الأكابر أصحابهم على الزهد في الدنيا إلا خوفا عليهم من ذل الطمع لا غير وإلا فلو جاءتهم الدنيا بغير طمع ولا ميل كان من الأدب مع الله تعالى قبولها . إلى آخر كلامه فانظره .

- ومن أعظم الحجب المانعة أيضا كون واحد منهم متلبسا بفقر وقلة ذات يد فيستبعدون من أمثاله أن يكون وليا لله تعالى ظنا منهم أن من والاه الله تعالى واصطفاه لا يتركه على هذه الحالة كما كان الكفار يقولون في أتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى في قوم نوح : { وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين } وقال أيضا: { قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون } وقال في كفار قريش : { قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا } وقال لنبيه ﷺ في حق أصحاب الصفة والفقراء المهاجرين : { واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا } وقال فيما قاله كفار قريش للنبي ﷺ : { وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي

في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها} فإن هذا الحجاب زيادة على حجاب البشرية أكبر الحجب عندنا اليوم من غيره فإن جهلة بلادنا لا يرون الولاية إلا من له سعة في المال وكثرة الجموع ونفوذ الكلمة فيستبعدون الولاية المجردة عن هذه المذكورات ثم أوسع عبارة في هذه المسألة شيخنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه فإنه قال في جواهر المعاني بعدما وصف شيخ التربية الذي يوصل إلى الله تعالى: وأما الشيخ الذي هذه صفته كيف يتصل به بماذا يعرف؟ فالجواب أن الشيوخ المتصفين بهذا الأمر كثيرون وأغلبهم في المدن الكبار فإنها مقرهم وأما معرفتهم والاتصال بهم فإنه عسير وأغرب وجودا من الكبريت الأحمر لأنهم اختلطوا بصور العامة وأحوالهم ومن سألهم عن هذا الحال نفروه وطردهوه وحلفوا له ما عندهم من هذا الأمر شيء والعلة الموجبة لهم لهذا أنه قد فسد نظام الوجود بمشيئة الحق سبحانه وتعالى التي لا منازع لها وليس لكل آدمي إلا السعي في أغراضه وشهواته وليس بالاعتراض عن الحضرة الإلهية وما تستحقه من توفية الحقوق والآداب وليس للعامة في هذا الوقت من السعي للأولياء إلا لأغراض فاسدة يريدونها من التمتع بالدنيا ولذاتها وشهواتها والنجاة من المصائب والعطب في هذه الدار مع إقامتهم وإصرارهم على الدواهي المهلكات العظام من الكبائر الفاحشة التي لا عقبى لصاحبها إلا دار البوار وليس لهم عن هذا الميدان خروج ولا هم في الرجوع إلى الحضرة الإلهية ولوج ، فلما عرف العارفون ما في العامة من هذا الأمر احتجبوا عن العامة وطردهوهم بكل وجه وبكل حال وكان اقتضاء ذلك أن يسكنوا في البراري والقفار وكان مراد الحق منهم أن يبقوا في وسط العامة ويسكنوا في وسطهم لأمر أرادها الحق منهم سبحانه وتعالى وحكم بها عليهم فلا منازع له في حكمه ولم



يجدوا مساعدا في الخروج عن العامة في البراري والقفار لما عليهم من حكم الله الذي لا خروج لهم عنه ولا يجدون سبيلا إلى إصلاح العامة وردهم إلى الحضرة الإلهية فهم بمنزلة من أقيم بين جماعة الحمقاء يرمونه بالحجر وكلف بالصبر والإقامة بينهم، فهم في عذاب فلهذا احتجوا عن العامة وطردوهم بكل حال وربما شم العامة روائح وصولهم من وراء الحجب فنهضوا إلى التعلق بهم فيما يريدونه من أغراضهم فخلط العارفون عليهم بوجوه من التخليط استتارا عن العامة بإظهار أمور من الزنا والكذب الفاحش والخمر وقتل النفس وغير ذلك من الدواهي التي تحكم على صاحبها أنه في سخط الله وغضبه ، والأمور التي يقتحمها العارفون في هذا الميدان إنما هي تصورات خيالية يراها غيرهم حقيقة فيفعلون في تلك الصور أمورا منكرا في الشرع وهم في الحقيقة لم يفعلوا شيئا فاستتروا بذلك عن العامة حفظا لمقامهم وتحريرا لأدابهم . وإذا عرفت هذا فقد اختلط الصادقون والكاذبون في هذا الميدان ولا يعرف هذا من هذا ولا حيلة لأحد في معرفة العارف الواصل أصلا ورأسا إلا في مسألة نادرة في غاية الندور وهو أن بعض الكُمَّل ظهروا في مظاهر الصور الشرعية الكاملة فمن ظهر بهذا المظهر وادّعى المشيخة بمعرفة فيه إنه يعرف بدلالته على الله تعالى والرجوع إليه والتزهد في الدنيا وأهلها وعدم المبالاة بها وبوجودها مع وجود صفة الفتح في غيره على يديه ، فإن ظهر للمريد في حقه أن لا يلقي نفسه إليه حتى يتعرف تواتر أخباره من ثقة الواردين عليه والمجاورين له فإن ظهرت الصفة المعروفة عليه فليصحبه وإلا فلا ، ومن رام الوصول إلى شيخ في هذا الوقت ولم يجد حيلة في معرفته وخاف من الوقوع في حبال الكذابين فعليه بالتوجه إلى الله بصدق لازم وانجاش إليه بقلب دائم وداوم التضرع إليه والابتهاال

إليه في الكشف له عن الشيخ الواصل الذي يخرج من هذه الغمة وأن يدلّه عليه وأن يوفقه لامتهال أمره حتى يقع في الغرق في لجج بحره فلا حيلة له إلا هذا. وأكبر من ذلك وأولى وأنفع وأبلغ في الوصول إلى المراد وأرفع لمن لم يجد حيلة في العثور على الشيخ الكامل استغراق ما يطيق عليه من الأوقات في كثرة الصلاة على النبي ﷺ بالتأديب والحضور وتوهم القلب أنه جالس بين يديه ﷺ وليداوم على ذلك فإن من داوم على ذلك وكان اهتمامه بالوصول إلى الله تعالى اهتمام الظمان بالماء أخذ الله بيده وجذبه إليه إما أن يقيض له شيخاً كاملاً واصلاً يأخذ بيده وإما أن يقيض له نبيه ﷺ يربيه وإما أن يفتح له باب الوصول ورفع الحجب بسبب ملازمته للصلاة على حبيبه ﷺ فإنها أعظم الوسائل إلى الله تعالى في الوصول إليه وما لازمها أحد قط في طلب الوصول إلى الله فخاب قط اهـ . قال في البغية ما نصه : قال الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى ورضي عنه في مؤلفه الذي يسماه **الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال** ما نصه: ومن حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه إن الله عز وجل في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام ، والله في الخلق أربعون قلوبهم على قلب نوح عليه السلام ، والله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام ، والله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام ، والله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام ، والله في الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة فبهم



وقال بعض العارفين : والقطب هو الواحد المذكور في حديث ابن مسعود أنه على قلب إسرائيل ومكانه في الأولياء كالنقطة في الدائرة التي هي مركزها به يقع صلاح العالم اهـ وكلام اليافعي هذا صريح في أن من الأولياء من ليس من أهل الدائرة وهم الصالحون وعددهم كثير ، ويؤخذ منه أنهم هم المعبر عنهم في حديث ابن مسعود بالعامية وكلامه أيضا صريح في أن أحوال الأولياء منها ما لا يكشف لأحد ومنها ما يكشف للخاصة منهم فقط ومنها ما يكشف للخاصة والعامية ، أي والعامية منهم وهم الصالحون لا غير، وإلا فمن أين لغير الولي أن يعرف الولي ، فكلامه هذا كالتفسير لحديث ابن مسعود رضي الله عنه اهـ ففي النزهة للعارف بالله تعالى سيدي أحمد ابن عبد القادر التستاوني رضي الله عنه ما نصه : ويحكى عن الخضر عليه السلام أنه اجتمع ببعض الصالحين فقال له ذلك الصالح هل تعرف الأولياء جملة ؟ فقال عليه السلام : أهل الدائرة وغيرهم منهم من أعرفه ومنهم من لا أعرفه . فسأله عن عدد أهل الدائرة فقال هم واحد وثلاثة وأربعة وسبعة وعشرة وأربعون وسبعون وثلاثمائة اهـ وقوله منهم من أعرفه ومنهم من لا أعرفه نص في أن الصالحين يعني عامة الأولياء الذين ليسوا من أهل الدائرة يعرف بعضهم لا كلهم لأنه إذا كان الخضر عليه السلام لا يعرف كلهم فغيره بالأولى والله تعالى أعلم . وقد قال سيدنا الشيخ رضي الله عنه فيما ذكره عنه صاحب الجامع رحمه الله تعالى أن الأولياء الذين ليسوا من أهل الديوان كثيرون ومع كثرتهم فهم طوائف كل طائفة لها عدد لا ينقص فإذا مات الواحد منهم خلفه غيره في مرتبته ، قال رضي الله عنه : ومنهم طائفة تسمى الضنابيين عددهم أربعة آلاف . قال: وكذلك الذخائر طائفة أخرى عددهم أربعة آلاف أيضا . قال: ومرتبة هاتين الطائفتين أنهم يعتقدون وجود الكون ولا يرونه لأنهم غرقى في بحار الألوهية اهـ ملفقا من البغية . قال في منيل المآرب للشيخ محمد مصطفى ما

العينين ما نصه : وبالجمله فأنواع الأولياء كثيرون وأصنافهم منهم الخاملون ومنهم المشتهرون ، وإياك ثم إياك يا أخي أن تظن أنهم محصورون أو أنهم في بلد متميزون ، بل كلما سمعته من عددهم فاعلم أنه إنما قيل تقريبا للأذهان إلى آخر ما قاله فانظره . قلت : فإذا علمت ما نقلناه هنا من كلام المحققين من حقيقة الولي وصعوبة علمه إلا لمن وفقه الله وأراد اصطفاؤه ، وكثرة الأولياء وعدم حصرهم في عدد أو في بلد حتى سيدنا الخضر عليه السلام مع جلالة أمره لا يعرفهم جميعا وأن الزمان لا يخلو منهم أبدا ، علمت بطلان قول من قال بنسخ الطرق وعدم بقاء من يصلح للتربية في واحدة منها سوى طريقتنا التجانية لأن هذا لم يقل به أحد لا من المتقدمين ولا من المتأخرين سوى هذا المدعي الفتان ، ولا ريب في أن المعمور من الدنيا مملوء بآلاف الملايين من المسلمين والمؤمنين ممن ليس من أهل طريقتنا ولا من غيرها ولم يعرفوا من الطرق إلا ما كان مشتهرا في بلدهم أو بالقرب منهم لكثرة طرق أهل الله تعالى وانتشارها في أقاصي المعمور وجزائر الدنيا كما سنذكره إن شاء الله ، فوجودهم فيها يوجد من الأولياء من يصلح للإرشاد والتربية والتسليك والإفادة كما في حديث (( لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم وخذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك )) وفي حديث (( أمتي كالغيث لا يدرى أولهم خير أم آخرهم )) ولم يقل أحد من العلماء والأولياء إن هذه الطائفة منحصرة أو ستنحصر في طريقة واحدة من الطرق لأن الطرق وإن كان بعضها ينقطع بطول المدة فإن منها ما لا ينقطع ما دام أصل الولاية ووجود الأولياء باقيا ، ومعلوم أن الولاية لا تنقطع رأسا إلا بعد نزول سيدنا عيسى عليه السلام كما ذكره المحققون ، وأما انقطاع التربية المصطلحة بعد القرون الثلاثة لما كثر فيه الكذابون المبطلون كما ذكره الإمام زورق رضي الله عنه وبقاء التربية بالإفادة بالهمة على اتباع الكتاب والسنة اللذين لا يضل

من اهتدى بهما فهذا لا نطول بذكره لشهرته عند الخاصة والعامة ، وإنما كلامنا في الرد على من أنكر بقاء التربية بالكلية من الطرق كلها إلا من طريقتنا التجانية . وأما قول شيخنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه إن جميع الأولياء يدخلون زمرتنا ويأخذون أورادنا ويتمسكون بطريقتنا من أول الوجود إلى يوم القيامة حتى الإمام المهدي إذا قام آخر الزمان يدخل زمرتنا بعد مماتنا وانتقالنا إلى دار البقاء . فكلامه هذا رضي الله عنه يؤيد قول من قال إن النون في قوله : كل الطرق تدخل عليها طريقتنا فتبطلها . للمتكلم ومعه غيره والمراد به أمثاله من مشايخ الإسلام وكبراء طرق السادات الصوفية الكرام ، والمراد بطريقتهم طريق الحق المشروع الدال بلسان الخاص والعام على التخلق بوصف العبودية لله الملك العلام ، فلا ريب أن هذه الطريقة تنسخ سبل الباطل والضلال المشار إليها بقوله تعالى : { ولا تتبعوا السبل.. } وتبطلها بالكلية ولا تدخل طريق منها على طريقتهم فتبطله كما في إشارة قوله تعالى : { لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد } . والدليل على ما قلناه أن من تقدمه رضي الله عنه من الأولياء وأكابر الطرق من أول الوجود إلى زمنه رضي الله عنه ما كانوا على طريقته الخاصة المنسوبة إليه لعدم ظهورها في تلك الأزمنة لأنها إنما ظهرت في أواخر القرن الثاني عشر من الهجرة ، وفيه أيضا إشارة إلى مقامه رضي الله عنه الذي أشار إليه في قوله : كل الشيوخ أخذوا عني من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور . وفيه أيضا إشارة إلى اتحاد طرق أهل الله واتفاقها في المقصد والعمل وإن اختلفت المسالك فهي راجعة إلى صدق التوجه إلى الله تعالى من حيث يرضى بما يرضى الله تعالى . وعبرة كل واحد على قدر ما نال منه ، إذ كل عبارة فيه إنما هي مخبرة عن صدق توجه صاحبها وكل من له نصيب من صدق التوجه له نصيب من التصوف إذا كان توجهه يرضاه الحق من حيث يرضاه وإلا فهو

زنديق واسم التصوف عليه لا حقيقة له كما قاله في شرح منظومة الشيخ محمد بن البنا للشيخ أحمد بن عجيبة رضي الله عنه . والله در الفقيه الصوفي ابن عبد الله محمد بن أحمد سباطه في رجزه :

طريق أهل الله شيء واحد      فلا يرى التفرق إلا جاحد  
مذهبهم من جملة المذاهب      كل على نهج الصواب ذاهب  
وافهم مقالة لديهم أتت      طريقتنا لغيرها قد نسخت

إلى آخرها أو يكون نسخ طريقة الشيخ رضي الله عنه وإبطاله لجميع الطرق من حيث التعلق والسلوك ، فمن سلك على طريق غيره ثم بدا له الترك إلى طريقته رضي الله عنه الخاصة به فدخل في عهدا وتمسك بحبلها المتين فلا ريب في وصوله وتمسكه بالعروة الوثقى ولا يقال في حق هذا إنه نقض عهد المشايخ فغايبته أنه كمن حلف على أمر فرأى الحنث أفضل فإن له أن يحنث ويكفر عن يمينه بل يسن له الحنث في ذلك كما ذكره العلماء فإن طابعه رضي الله عنه ينزل على طوابع غيره من الأولياء لمقام الختمية والكتمية كما قال رضي الله عنه : طابعنا ينزل على كل طابع ولا ينزل طابع عليه . وقال أيضا : كل الطرق تدخل في طريقة الشاذلي رضي الله عنه إلا طريقتنا هذه المحمدية الإبراهيمية الحنفية فإنها مستقلة بنفسها ، فلا ينبغي لنا إلا التفرد بها لأنه أعطاها لنا منه إيلنا ﷺ ، وقال : لا يصل شيء إلا على يدي ، وهو الذي ربانا وأوصلنا حتى بلغنا المنى ﷺ حمدا وشكرا لله تعالى . وقال رضي الله عنه : كل الطرق تدخل عليها طريقتنا فتبطلها ، وطابعنا يركب على كل طابع و لا يحمل طابعنا غيره . فليس في كلامه رضي الله عنه إلا الأمر بالتفرد بها وعدم جمعها مع غيرها وأنها لا تلقن إلا لمن التزم عدم الترك إلى الممات وأن من ترك غيرها لأجل الدخول فيها فقد هدي إلى صراط مستقيم لمقام الختمية الخاصة به رضي الله عنه ، ومن تركها لغيرها فأمره مفوض إلى الله . وليس في كلامه رضي الله عنه عبارة

ولا إشارة إلى نسخ الطرق بالكلية بل فيه إثباتها وأنها كلها على الحق المبين لقوله رضي الله عنه كما في جواهر المعاني : واعلم أن هذا الورد العظيم لا يلحق لمن كان له ورد من أوراد المشايخ رضي الله عنهم إلا أن تركه وانسلخ منه ولا يعود إليه أبدا وعاهد الله على ذلك فعند ذلك يلحقه الورد من له الإذن الخاص من الشيخ رضي الله عنه وإلا فلا يلحقه له إن لم ينسلخ عن ورده الذي بيده فيتركه وورده وطريقته لأن أوراد المشايخ رضي الله عنهم كلها على هدى وبينة من الله وكلها مسلكة وموصلة إلى الله تعالى . ثم قال : وهذا ليس منا تكبرا واستعلاء على المشايخ رضي الله عنهم ، حاشا وكلا ومعاذ الله بل هذا الشرط مشروط في طريقتنا لا غير فمن أراد الدخول في طريقتنا فلا بد له من هذا الشرط ولا خوف عليه من صاحبه ولا من غيره أيا كان من الأولياء الأحياء والأموات في الدنيا والآخرة ، وهو آمن من كل ضرر يلحقه لا في الدنيا ولا في الآخرة لا من شيخه ولا من غيره ولا من الله ورسوله ﷺ بوعده صادق ولا خلف له . ومن أبى الخروج عن ورده الذي بيده لشيخه فلا شيء عليه فيترك وردنا ويمكث على ورده وطريقته ، فقد قلنا أوراد السادات رضي الله عنهم كلها على هدى من الله اهـ كلامه بلفظه . هذا يكذب قول من قال بنسخ الطرق كلها إلا طريقته رضي الله عنه فإن الأرض تنط وحق لها أن تنط من كثرة الأولياء والعارفين وشيوخ التربية ممن ليس من أهل طريقته الخاصة به رضي الله عنه ، بل منهم من لا يعرف حقيقتها أصلا كما هو مشاهد ، ومن جال في المعمور من مشارق الأرض ومغاربها طولها وعرضها يرى من الأولياء والصالحين ما يرغم أنف هذا المدعي المتشبع بما لم يعط المحجر على الله الواسع ، وأنت ترى في أرض مصر والشام والحجاز واليمن وعراق وبغداد بل وفي فاس بعينها من الزوايا وحلق الذكر والمشايخ من أهل الطرق الذين منهم من جماعته يملأ بلاد هذا المختبط الفتان ما لم



يعلم قدره إلا الله من نقشبندية وقادرية وشاذلية ورفاعية وأحمدية ودسوقية وملولية وكبروية وسهروردية وخلوتية وجلوتية وكبواشية وغزالية ورومية وسعدية وحسنية وشعبانية وقلقنشية وحمزوية وعمروية وعثمانية وعلوية وعباسية وزينبية وعيسوية وبحروية وحدادية وعيبية وخضرية وشطارية وبيصوصية وملاصية وعيدروسية ومتبولية وشنبلية وأويسية وناصرية ودمراشية وشناوية ومحمدية وقلندرية وجولقية وصديقية وملامتية وهمدانية وركنية ونورية ومولوية وجهرية وبرهانية وخفيفية ووفائية وزروقية وبكرية وجزولية وخواطرية ومشارعية وحاتميه وغرابية ومدينية وقشرية وحلاجية وخرازية وخشنية ومدارية وعشقية وغوثية وجندية وسهلية ودرقوية ودباغية وحرافية وبدوية وعجيبية وأحمرية وسنوسية ومريدية أعني بها طريق مولانا الشيخ أحمد بكة الشهير بأحمد بمبا وسماها الورد المأخوذ عن الله بواسطة رسول الله ﷺ . هذه هي الطرق المشتهرة على وجه الأرض اليوم زيادة على طريقتنا التجانية الغراء ، وبعضها تفرعت عن بعض وتشعبت من بعضها طوائف تغلغلوا في لتصوف ولبسوا الحق بالباطل من غلاة الصوفية وأرباب الأهوية فدنسوا ذلك الجمال الرائق والبهاء الفائق بمواجيد شيطانية وأذواق لهوية تسببت من رعونات بعض المتمشيخة بالأنساب أو من المتشبهين بالصالحين بلبس لباسهم والتحلي بزئهم طلبا للجاه والرياسة فضلوا وأضلوا كثيرا فهؤلاء هم ذئاب البشر الذين ورد فيهم الأثر بقوله: (( يخرج في آخر الدنيا رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من الدين ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الحنظل يقول الله تبارك وتعالى أبي تغترون أم علي تجترون فبي حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم منهم حيران )) وعلى هؤلاء يصيح أئمة الطريق المحققين من كل جانب وبدعهم وفسقوهم وأخرجوهم من الدين بالكلية ، ثم إن هذه الطرق التي ذكرناها منها ما هو

معمور بالأولياء والشيوخ والمواريد حتى قيل: إن للسوسية اليوم ثلاثمائة زاوية في بلاد مصر والحجاز والمغرب في كل زاوية خليفة من قبل شيخ الطريقة ومنها ما اندرس حتى لم يتعلق بها إلا قليل ومنها ما انقطع بالكلية كما هو شأن الطرق فإن أكثرها ينقطع مع طول الزمان حتى طلب شيخنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه تشعب طريقته في الخلق وأنها لا ينقطع إلى آخر الدهر وضمنت له فهي مزية لها على سائر الطرق إلا ما ثبت للشاذلية أيضا أنه ﷺ ضمن لها أن لا تنقطع إلى يوم القيامة. واعلم أنما ذكرته هنا من الطرق ليس مرادي به حصرها على هذا العدد بل إنما ذكرت ما اشتهر وتداوله الناس في هذه الأزمنة المتأخرة لأن طرق أهل الله كما قيل فعلى عدد الرسل عليهم السلام أو أكثر . ولقد شاهد الناس ما ذكره الشيخ رضي الله عنه في طريقته من كونها لا تنقطع بل تزداد كل حين موارد وعلماء وأولياء من كل نوع ومن كل ناحية حتى بلغت إلى أقاصي البلاد من كل جهة كما قال رضي الله عنه : (( المدفع الكبير يضرب من بعد )) وقال أيضا كما في الإفادة الأحمدية : (( تأتي فيضة على أصحابنا حتى يدخل الناس طريقتنا أفواجا تأتي هذه الفيضة والناس في غاية ما يكون من الضيق والشدة )) ويعني بهذه الفيضة كما فسره بعض أصحابه أنه يفتح على عدد كثير من أصحابه رضي الله عنه وليس في كلامه رضي الله عنه تعيين لوقت إتيان هذه الفيضة ولا أنها تكون على يد واحد معين من أصحابه أو في بلد خاص دون آخر ، وإنما أخبرنا رضي الله عنه بأن طريقته تزداد جماعة وأولياء مع طول الزمان شيئا فشيئا حتى يصير إليها أكثر الخلق في آخر الزمان الذي هو زمن الضيق والشدة لكثرة الفتن والمحن فيه لقرب الساعة وخراب الدنيا قرب ظهور المنظر كما ورد في حديث علامات ظهوره رضي الله عنه ، فإنه قال بعد سوق كلام طويل في هذا الحديث (( ويكون في المغرب الهرج والخوف ويستولي عليهم

الجوع والغلاء وتكثر الفتنة ويأكل الناس بعضهم بعضا فعند ذلك يخرج رجل من المغرب الأقصى من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهو المهدي القائم في آخر الزمان وهو أول أشراط الساعة (( اه ذكره القرطبي. وفي آخر: )) ليصيب هذه الأمة بلاء حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم فيبعث الله تعالى رجلا من عترة أهل بيتي يملأ به الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض )) الحديث بطوله. وقول شيخنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه : (( تأتي الفيضة والناس في غاية ما يكون من الضيق والشدة )) يؤيد قول من قال من السادات : إن الفيضة إلى الآن لم تقع وإنما تقع في زمن المنتظر لأن الهرج والغلاء والفتن المذكورة في الحديث حتى يأكل الناس بعضهم بعضا غاية ما يكون من الضيق والشدة. لأن هذا الضيق الذي نحن فيه من غلاء الأسعار في بعض الديار من كساد سعر الفستق في بلاد الأفرنج مع ما نحن عليه بحمد الله من الخصب بوجود المعيشة والقوت مع المعافاة في أبداننا والأمن في سربنا بوجود برزخ الأروبيين بيننا وبين بغاة بلادنا وأي ضيق في هذا ؟ وهل بلغنا من هذا الضيق الذي يستدل به هذا المتبجح الفتان من كونه الفيضة الموعودة عشر ما كان من الضيق والفتن والمحن في زمن أسلافنا ؟ وهلا سأل هذا الفتان عن جنابه الأسلاف الذين كانوا يأكلون في أيام الغلاء الجلود والأجياف بعد فناء ما في أيديهم من البهائم والبقول اللينة والأوراق المغذية ؟ وهل بلغنا عنهم أن الغلاء بلغ بهم إلى حد يأكل بعضهم بعضا ؟ فالنفس إلى بقاء الفيضة إلى زمن المنتظر كما قاله بعض أصحاب الشيخ رضي الله عنه أميل فيأخذها المنتظر ممن له الإذن الصحيح في الحرمين من كمل حيث يبايع بالخلافة بين الركن والمقام كما ورد في الحديث عن صاحب اللواء والمقام عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية والإكرام فبأخذه إياها يأخذها الخلق أجمعون قطعا فتصير طرق أهل الله

متحدة في الخارج كما اتحدت في الباطن فتنسخ طريقته رضي الله عنه جميع الطرق من حيث التعلق والسلوك مع بقاء أعيانها كما ينسخ نور الشمس نور الكواكب مع بقاء أعيانها . ويرجح ما قلناه كون مذهب المجتهدين كلها تنسخ بظهوره كما أخبر به المحققون فيرجع الخلق كلهم إلى مذهبه واجتهاده حيث كان خليفة لرسول الله ﷺ في أمته ظاهرا وباطنا ولهذا يذبح علماء السوء الذين ينكرون عليه بنسخ المذاهب كلها بعد ظهوره في أول الأمر ثم إن أكثر عليهم بالذبح ويزيده الله تعالى التأييد والغلبة على أعداء الدين حتى تصير أموال الخلق كلها بيده يتبعه بعض العلماء من الذين لا يعرفون حقيقة أمره من علماء الظاهر نفاقا وطمعا مما في يده من الأموال والحطام الفانية . ويؤيد ما قلناه في هذه الفيضة أن سيدنا ومولانا الشيخ عمر رضي الله عنه قد سئل عنها فقال : فأرجوا الله إليكم أن يكون المراد بها أنا العبد الفقير والإمام الفاطمي رضي الله عنه . صدق الله رضي الله عنه في مقاله لأن من سلك في يديه من الأصحاب والمواريث وما تشعب من سنده إلى أقاصي المعمور والنواحي شرقا وغربا منذ حياته إلى الآن لم يحصل لأحد من أصحاب شيخنا رضي الله عنه بعده كما اتفق على ذلك أهل الطريق حتى إن سنده المتصل إلى الشيخ أكثر شيوخا اليوم من غيره من الأسانيد ما بين خليفة ومقدم كما شوهد ، وكفاه تصديقا على ما قاله أن سلسلته هي الباقية الآن في الحرمين الشريفين. وقد التقينا مع جماعات من أهل الطريقة من أصحاب الإجازات هنالك فرأينا أسانيدهم مأخوذة من سنده رضي الله عنه ، ولهذا يصح أن تنسب إليه الفيضة وإلى كل من فتح الله عليه بسلوك جماعات عديدة في يده واهتدائهم بسببه من أهلها كسيدنا الشيخ محمد الحافظ رضي الله عنه وغيره ، وإن علمنا أنها باقية لا تقع حقيقتها إلا في زمن المنتظر كما قاله بعض أكابر الطريقة لأن الشيء إذا ابتداء ظهوره بل ظهور أماراته يصح أن يقال فيه قد ظهر كما ترى زيدا يأتي

من بعيد فتقول جاء زيد مع أنه لم يصل كما في القرآن العظيم : { أتى أمر الله { أي الساعة وأتى بصيغة الماضي لتحقق وقوعه ولظهور أماراته وقرب مجيئه ولأنه قد تقدم أن كل أهل صدق من الأمة فمن مقدمات الإمام الفاطمي المنتظر رضي الله عنه كما أن كل كذاب فتان من مقدمات الدجال المحذر ، ولهذا لما سئل سيدنا ومولانا الشيخ عمر في زمنه هل أنت المهدي ؟ قال : نعم أنا مهدي زمني لا المهدي المنتظر. صدق رضي الله عنه لأنه مهدي في نفسه ومهدي يهدي غيره بإذن الله .

هذا ولقد مال بعض أهل الطريقة إلى التعصب للطريقة من غير علم فلبس على العامة في بعض المسائل وزرع العداوة والبغضاء بينه وبين أصحاب الطرق بل بينه وبين إخوانه في الطريقة حتى ادّعى الفيضة بعض من المسمى بالعلماء في بلادنا لنفسه خاصة ونفاها عن شيخنا ومولانا الشيخ عمر رضي الله عنه وغيره واغتر بوجوده من الطائفة ما لو التفت مع تيار جماعات شيخنا الحاج عمر رضي الله عنه في زمنه لاضمحت فيها كتفلة طرحت في بحر زاخر فأحرى لو انضمت جماعته رضي الله عنه إلى جماعات أولاده ومواريده من زمنه إلى يومنا هذا . فإن لم يكن شيخنا عمر رضي الله عنه مع جلاله أمره وكثرة أتباعه هو الفيضة فيستحيل أن يكون أمثال هذا المدّعي المتشبع الفيضة ، ولا ريب أن هناك من هو أكثر جماعة وأتباعا من هذا المدّعي من أهل الطريقة بل ومن غيرها ولم يدع الخلافة فضلا عن الفيضية . والله در ابن معطي البرزخي حيث يقول : والحي قد يسبق ألف ميت مع ألف ميت . مع أن الشأن ليس في كثرة الأتباع والجماعة وإنما الشأن في الهداية والاستقامة على ما عليه أهل السنة والجماعة حتى قيل إنما سمي الدجال دجالا لأنه يغطي الأرض بكثرة جموعه ولا يلزم منه كونه على الحق وأفضل من في الأرض يومئذ لأن الله تعالى لا ينظر إلى صورنا وأموالنا بل ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا ، فإذا كانت للناس قلوب

وأعمال صالحة يكونون مقبولين مطلقا سواء كانت لهم صورة حسنة وأموال فاخرة أم لا ، وإلا فالظبي وإن كان واحدا فهو خير من قطيع الخنزير. والسواد الأعظم المذكور في الحديث كما قاله المحققون هو الواحد على الحق . وهل هذا المدّعي بدع في دعاويه؟ ولعمري ما من مرتبة موعودة لمعين لم يظهر إلا وادّعاها غيره قبل ظهوره كما ادّعى المهديّة جماعات لا يعلمهم إلا الله كما تقدم ذكره قبل ظهوره كما ادّعى الختمية في الولاية جماعات قبل حصولها للشيخ مولانا أحمد التجاني رضي الله عنه . وعد في البغية كثيرا منهم وأعني بالختمية كما قاله في البغية الختمية الكبرى التي معناها أن لا يظهر أحد في ذلك المقام قبله ولا بعده بالظهور الذي ظهره فيه من الكمال فافهم اهـ . لأن الختمية في كلام القوم تأتي على معان :

- الأول منها بلوغ الرتبة العليا من القطبانية وصاحب هذا الختم يكون واحدا في زمنه لأنه هو القطب وهذا قد يخلو عنه زمان لأنه ليس كل قطب يبلغ هذه الرتبة ولكنه يتعدد بوجود مثله في زمان آخر .

والثاني هو الإمام العدل المسمى عند أهل الكشف بالمنتظر الذي يظهره الله آخر هذه الأمة فيختم الله به الولاية المحمدية الظاهرة وهذا غير المهدي لأن المهدي ليس بقطب وهذا يكون واحدا في الزمان لا شك .

والثالث هو الذي تختم عليه الولاية العامة الباطنة وهو واحد كذلك أيضا وهو سيدنا عيسى عليه السلام .

والرابع هو الختم الأكبر الذي ختم به الولاية المحمدية وهو واحد أيضا في الزمان لا يكون منه إلا واحد من عصر النبي ﷺ إليه فيختم الله به الولاية المحمدية الباطنة . وإلى الأول والثالث أشار الشيخ محيي الدين في الفتوحات بقوله : الختم ختمان ختم الولاية العامة وختم الولاية المحمدية ، فالأول يكون على يد عيسى عليه السلام لا يوجد بعده ولي . والثاني يكون في كل

زمان يختم الله به الولاية التي تحصل من الإرث المحمدي فلا يكون في الأولياء المحمديين أعلى مقاما منه . وقال في الفصوص في حق هذا الثاني وخاتم الأولياء الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب وهو حسنة من حسنات خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ اهـ ونحوه في الإنسان الكامل اهـ وأما الختم الأكبر فقد ذكره في الفتوحات في مواضع منه وألف فيه بالخصوص كتابه الذي سماه **عنقاء مغرب في شمس الأولياء وختم المغرب** ، ثم ادعاها هو بنفسه ظنا من أنه له ثم رجع عن ذلك في آخر أمره وخبر أنه أعلم أنه ليس له ما ظن وإنما هو لغيره وكلامه في غير ما موضع من الفتوحات صريح في أنه غيره وذكر فيها أنه اجتمع به يعني برزخيا وأطلعته على العلامة التي أخفاها الله منه وذكر أنه رآه مبتلى بالإنكار عليه لما تحقق به من العلم في سره وهذا لا ينافي ما نقل عنه من أنه قال : طالما جلت ببصيرتي في الغيوب أطلع عليه وعلى مقامه واسمه واسم بلده ومكانه وكيف حاله فما أطلعني الله تعالى على شيء منه ولا شممت له رائحة أصلا اهـ لأنه لا يبعد أن يكون الله تعالى أراه إياه ليتحقق وجوده عيانا أو لغير ذلك مما تقتضيه حكمته تعالى في ذلك الاجتماع ويستتر عنه اسمه وبلده لأمر آخر اقتضته مشيئته وحكمته تبارك وتعالى اهـ ملفقا من الإتحاف والبغية .

**قلت :** فإذا ثبت أن الحاتمي رضي الله عنه اجتمع بالختم الأكبر اجتماعا برزخيا وأطلعته على العلامة التي أخفاها الله منه إلى آخر كلامه المتقدم ولا يبعد من مثله رضي الله عنه أن يعلم أنه الممد لجميع الأقطاب في كل زمان ما يفيضونه من الأمداد على جميع العوالم الخلقية وهو يستفيض من الحقيقة المحمدية فيما يفيضه على كل قطب مدة حياته وفيما يفيضه على العوالم الخلقية في زمانه بلا واسطة وإن لم يروا هذه الحقيقة لكونها محجوبة لأن كونها محجوبة عنهم لا يقتضي كونها محجوبة عن جميع الأقطاب ، ألا تراه

رضي الله عنه قد خص من بينهم باجتماعه معه في البرزخ وإطلاعه له على العلامة التي أخفاها الله منه إلخ وذلك لأن حقيقة الختمية ومزاياها ليست في حقيقة الكتمية ، وإيضاح ذلك أنا قد علمنا أن الخاتم الأكبر هو الذي يمد جميع الأقطاب والأولياء من أول الوجود إلى النفخ في الصور وهذا غير مكتوم عنا بل إنما كان محتجبا عن بعضهم قبل ظهوره وإخباره به لأمر اقتضته مشيئته وحكمته تبارك وتعالى كما بقي اسمه وبلده محتجبا كذلك عن الحاتمي مع إطلاعه تعالى له خاصة عليه حتى بوجود عينه عيانا . وأما الختمية الخاصة بالخاتم الأكبر فلا يطلع عليها أحد ولا يعلمها إلا الله تعالى وسيد الوجود ﷺ وهي مكتومة عن جميع الخلق حتى الملائكة والنبیین إلا سيد الوجود ﷺ فإذا علمت هذا علمت أنما جهل الحاتمي هو حقيقة الكتمية المكتومة عن جميع المخلوقات حتى الملائكة والأنبياء إلخ لا الختمية الكبرى التي من حقيقتها ومزاياها مد جميع الأقطاب من الحضرة المحمدية ولو لم يعلم بذلك عامة الأقطاب فضلا عن غيرهم . وأما ما ذكره الحاتمي رضي الله عنه في بعض كتبه أن القطب يستمد من روحانية الأنبياء والنبي ﷺ هو الممد له بهذا المدد التام ومقوية باستطاعة هذا المقام يصح أن يصدر منه هذا الكلام قبل اجتماعه مع الختم الأكبر في البرزخ وإطلاعه له على العلامة التي أخفاها الله منه أو بعد هذا الاجتماع فيكون مراده باستمداده الخاص به من حضرة الختم الأكبر ولكن لما كان هذا الوساطة مجهولا محجبا عن عامة الأقطاب فضلا عن غيرهم سكت عنه ولم يذكره في ضمن كلامه. فقد أجاب شيخنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه لما سئل عن حقيقة القطبانية ما نصه: القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق تبارك وتعالى مطلقا في جميع الوجود جملة وتفصيلا حيثما كان الرب إلها كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من عليه ألوهية الله تعالى ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق



والخلق فلا يصل إلى الخلق شيء كائنا ما كان من الحق إلا بحكم القطب وتوليه ونيابته عن الحق في ذلك وتوصيله كل قسمة إلى محلها ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلا فترى الكون كله أشباحا لا حركة لها وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلا وقيامه فيها في أرواحها وأشباحها ثم تصرفه في مراتب الأولياء فيذوق مختلفات أذواقهم فلا تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه فهو المتصرف في جميعها والممد لأربابها وله الاختصاص بالسر المكتوم الذي لا مطمع لأحد في دركه والسلام . وفي بعض أجوبته أيضا التصريح بأن قطب الأقطاب منذ جلوسه على كرسي القطبانية لا تقع بينه وبين النبي ﷺ حجابية أصلا حيثما جال رسول الله ﷺ من حضرة الغيب ومن حضرة الشهادة إلا عين قطب الأقطاب متمكنة من النظر إليه لا يحتجب عنه في كل لحظة من اللحظات اهـ وغير ذلك من كلامه رضي الله عنه مما فيه إشارة إلى حقيقة القطبانية وصفات القطب وأحواله وما خص به في مرتبة خلافته عن الله تعالى وعن رسول الله ﷺ ، وليس في شيء من كلامه ذكر الوساطة بل لم يصرح في خلافته عن الله كون رسول الله ﷺ هو الوساطة الممد له مع العلم به إجماعا لأن التعريف بحقيقة القطب شيء والتعريف بحقيقة الاستمداد بالوسائط شيء آخر وحذف هذه الحقيقة في باب التعريف بتلك لا يخل الكلام ولا يفهم منه عدم وجود المحذوف بالكلية والله أعلم . فقد علمت خطأ من قال من علماء بلادنا بعد كلام الحاتمي المتقدم من أن القطب يستمد من روحانية الأنبياء إلخ إنه لم يعرف الحضرة الكتمية التي منها استمداد القطب إلخ فكأن هذا المتخبط لم يعلم تباين حقيقة الختمية والكتمية وإلا لا يحط على مقام مثل هذا السيد في العلم والاطلاع والكشف بعدم معرفته الحضرة الكتمية التي لا يطلع عليها إلا الله تبارك وتعالى وسيد الوجود ﷺ فإن ذلك يوجب الحط من مراتب كثير من الخلق

حتى الملائكة والعياذ بالله وهذا لا يقول به أحد من عامة المسلمين فضلا عن الخاصة.

هذا ، ولقد جهل كثير من العلماء مراد القوم بالختمية صغراها وكبراهها أيضا حتى ظن بعضهم أن المراد بها أن لا وجود لولي بعد ظهور صاحب هذا المقام وأن لا وجود لطريق من طرق التربية والإرشاد بعد ذلك الولي مع أن هذا لم يقل به أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين ممن نسب إليه الختمية لأن الختمية بهذا المعنى لا يقع إلا بعد نزول صاحبها الذي هو سيدنا عيسى عليه السلام . وفي هذا القدر كفاية لمن وفقه الله . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

## الفهرس

الصفحة	الموضوع
1	<b>المقدمة</b>
4	<b>الفصل الأول</b> : في جواز رؤية الباري جلا وعلا بالأبصار عقلا في الدنيا و وجوبها سمعا في الآخرة عند أهل السنة والجماعة
14	<b>الفصل الثاني</b> : في وقوعها له صلى الله عليه وسلم خاصة ليلية الإسراء والخلاف فيه وفي تكفير من ادعاها من بعده ﷺ
32	<b>الفصل الثالث</b> : في جواز رؤية الباري جل وعلا في المنام ووقوعها لكثير من الأولياء والصالحين والخلاف فيه :
40	<b>الفصل الرابع</b> : في مراد القوم بالمشاهدة والمعرفة والفرق بين الرؤية والمشاهدة ومرادهم بالكشف والوصول والمسمى بالعارف عندهم وأن من أعظم المكر والضلال قول بعضهم : العارف لا يضره ذنب.
80	<b>الفصل الخامس</b> : في مرادهم بالفناء والبقاء والجمع والتفرقة وأقسام الفناء ممدوحها ومذمومها ومتوسطها
114	<b>الفصل السادس</b> : في التحذير من إيقاظ الفتنة والسعي فيما يوحد نارها بين المسلمين وما جاء في ذلك من الوعيد الشديد
148	<b>خاتمة</b> : - من الله علينا بحسنه - في إعلام الإخوان وتنبيههم على أن طرق ساداتنا الأولياء رضي الله عنهم لم تزل فيما مضى توصل إلى الله تعالى ولا تزال فيما يأتي موصلة إلى أن يأتي المنتظر وينزل سيدنا عيسى عليه السلام فتصير واحدة حين تصير المذاهب كلها مذهباً
186	الفهرس